

وقف لله تعالى

إغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات

جفع الفقير إلى عفوريته

عبد الغني المحمّد السّلاماني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

حقوق الطبع محفوظة

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضًا مِّنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أُذِنَ لَهُ
وَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا . أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الرَّؤُفَ
الْكَرِيمَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَأَنْ يَأْجُرَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ سَعَى بِهِ إِلَى
مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(الطبعة الثالثة سنة ١٤١٠ هـ)

مهداة من :

عبد العزيز المحمد الكاظم

وقف لله تعالى

إِعْتِنَا مَ الْأَوْقَاتِ فِي الْبَاقِيَاتِ
إِصْنَانِحَاتِ قَبْلَ هُجُومِ هَامِ
الذَّاتِ وَمَشَيْتِ الشَّمْلِ
وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ

جُفِعَ الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوَرَبِهِ

بِعَبْدِكَ الْغَيْرِ الْحَسَنِ السَّامِعِ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

حقوق الطبع محفوظة

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضًا مِّنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أُذِنَ لَهُ
وَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا . أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الرَّؤُوفَ
الْكَرِيمَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَأَنْ يَأْجُرَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ سَعَى بِهِ إِلَى
مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(الطبعة الثالثة سنة ١٤١٠ هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنُسْتَهْدِيهِ ، وَنُتَوِبُ إِلَيْهِ ،
وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ
يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الداعي إلى التوحيد ، الساعي بالأنصح
لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، الْمُحَذِّرُ لِلْعَصَاةِ مِنْ نَارٍ تَلْظِي بِدَوَامِ الْوَقِيدِ ، الْمُبَشِّرُ
لِلْمُؤْمِنِينَ بِدَارٍ لَا يَنْقُذُ نَعِيمُهَا وَلَا يَبِيدُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ،
صَلَاةٌ لَا تَزَالُ عَلَى كَرَرِ الْجِدِّ يَدِينُ فِي تَجْدِيدِ ، وَسَلَامٍ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وَبَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْبُدُوهُ وَيَخْشَوْهُ وَيَخَافُوهُ
وَنَصَبَ لَهُمُ الْأَدْلَةَ الدالة على عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ لِيَهَابُوهُ ، وَيَخَافُوهُ خَوْفَ
الْإِجْلَالِ وَالْتَعَظِيمِ .

وَذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا شِدَّةَ عَذَابِهِ وَدَارَ عِقَابِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ نَبَذَ أَمْرَهُ وَعَصَاهُ
لِيَتَّقُوهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ .

وَدَعَا عِبَادَهُ إِلَى خَشْيَتِهِ وَتَقْوَاهُ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِثَالِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيُجِبُهُ
وَيَرْضَاهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ .

وَبَعْدَ فَقَدْ عَزَمْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَجْمَعَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، وَمِنْ كَلَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْ كَلَامِ أَهْلِ
الْعِلْمِ ، مَا يَحُثُّنِي وَإِنْخَوَانِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَانَا ، مِنْ
الْكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَالْأُمُورِ الْعِظَائِمِ وَالْمُزْعِجَاتِ الْمُقْلِقَاتِ
الصُّعَابِ .

وَسَمَّيْتَ هَذَا الْكِتَابَ « إِعْتِنَامَ الْأَوْقَاتِ فِي الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ هُجُومِ
هَادِمِ اللَّذَاتِ ، وَمُشْتَتِ الشُّمْلِ وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ » .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ
الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

تَكَلَّمَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ فِي صِفَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَذَوَاهِيهِ وَأَسَامِيهِ فَقَالَ : فَاسْتَعِدَّ يَا
مُسْكِينٍ لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ شَأْنُهُ الْمَدِيدُ زَمَانُهُ الْقَاهِرُ سُلْطَانُهُ الْقَرِيبُ أَوَانُهُ يَوْمٌ
تُرَى السَّمَاءُ فِيهِ قَدْ انْفَطَرَتْ ، وَالْكَوَاكِبُ قَدْ انْتَشَرَتْ ، وَالْبَحَارُ قَدْ سُجِّرَتْ ،
وَالنُّجُومُ قَدْ انْكَدَرَتْ ، وَالشَّمْسُ قَدْ كَوَّرَتْ ، وَالْجِبَالُ قَدْ سِيرَتْ ، وَالْعُشَارُ
قَدْ غُطِّلَتْ ، وَالْوُحُوشُ قَدْ حُشِرَتْ ، وَالنَّفُوسُ قَدْ زُوِّجَتْ ، وَالْجَجِيمُ قَدْ
سُعِّرَتْ ، وَالْجَنَّةُ قَدْ أُزْلِفَتْ ، وَالْجِبَالُ قَدْ نُسِفَتْ ، وَالْأَرْضُ قَدْ مُدَّتْ .

يَوْمٌ تُرَى الْأَرْضُ فِيهِ قَدْ زُلْزِلَتْ زِلْزَالَهَا ، يَوْمٌ فِيهِ تُخْرِجُ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ،
وَتُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ، يَوْمٌ تُحْمَلُ
الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً .

﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالْمَلِكُ
عَلَى أَرْجَائِهَا ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا
تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ .

يَوْمٌ فِيهِ تُسِيرُ الْجِبَالُ وَتُرَى الْأَرْضُ بَارِزَةً ، يَوْمٌ تُرْجُ فِيهِ الْأَرْضُ رَجًّا ،
وَتُبْسُ فِيهِ الْجِبَالُ بَسًّا ، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ، يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ فِيهِ كَالْفَرَاشِ
الْمُبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ .

يَوْمٌ تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ،
وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ، يَوْمَ تَبْدُلُ
الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ ، وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .

يَوْمَ تَنْسَفُ الْجِبَالُ فِيهِ تَسْفًا فَتُتْرَكُ قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا
أَمْتًا ، يَوْمَ تَرَى الْجِبَالُ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، يَوْمَ تَنْشَقُّ فِيهِ
السَّمَاءُ فَتَكُونُ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ يَوْمَ
فِيهِ يُعْرَفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِيمَاهِمُ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، يَوْمَ تَعْلَمُ فِيهِ كُلُّ
نَفْسٍ مَا أُخْضِرَتْ ، يَوْمَ تَنْطِقُ فِيهِ الْجَوَارِحُ .

يَوْمَ شَيَّبَ ذِكْرُهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ إِذَا قَالَ لَهُ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَأَيْكَ قَدْ
شُبِّتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شَيَّبَنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا » وَهِيَ
الْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَغَمٌّ يَتَسَاءَلُونَ ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ :

وَتَحَدَّثَتُ الْأَرْضُ الَّتِي كُنَّا بِهَا	أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ
وَتَظَلُّ تَشْهَدُ وَهِيَ عَذْلٌ بِالَّذِي	مِنْ فَوْقِهَا قَدْ أَحْدَثَ الثَّقَلَانِ
وَتُمَدُّ أَيْضًا مِثْلُ مَدِّ أُدِيمِنَا	مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانِ
وَتَقْيُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَكْبَادِهَا	كَالْأَصْطِوَانِ نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ
كُلُّ يَرَاهُ بَعَيْنِهِ وَعَيْنَانِهِ	مَا لِإِمْرِيءٍ بِالْأَخِذِ مِنْهُ يَدَانِ
وَكَذَا الْجِبَالُ تُفْتَتُّ فِتْنًا مُحْكَمًا	فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُتْبَانِ
وَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ	وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
وَتُبْسُ بَسًا مِثْلَ ذَلِكَ فَتَنْشِي	مِثْلَ الْهَبَاءِ لِنَاطِرِ الْإِنْسَانِ
وَكَذَا الْبَحَارُ فَإِنَّهَا مَسْجُورَةٌ	قَدْ فُجِرَتْ تَفْجِيرَ ذِي السُّلْطَانِ
وَكَذَا لِكَ الْقَمَرَانِ يَأْذُنُ رَبُّنَا	لَهُمَا فَيَجْتَمِعَانِ يَلْتَقِيَانِ

هَذِي مُكَوَّرَةٌ وَهَذَا خَاسِفٌ وَكِلَاهُمَا فِي النَّارِ مَطْرُوحَانِ
 وَكَوَاكِبُ الْأَفْلَاقِ تُنْشَرُ كُلُّهَا كَلَالِيءٌ تُثْرَثُ عَلَى مِيدَانِ
 وَكَذَا السَّمَاءُ تُشَقُّ شَقًّا ظَاهِرًا وَتُمُورٌ أَيْضًا أَيْمًا مَوْرَانِ
 وَتَصِيرُ بَعْدَ الْإِنْشِقَاقِ كَمِثْلِ هَذَا الْمَهْلِ أَوْ تَكُ وَرْدَةٌ كِدَهَانِ

وقال القحطاني رحمه الله :

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلِهِ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمِنْ أَوْطَانِ
 يَوْمُ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلِهِ وَتَشَيَّبُ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ
 يَوْمُ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ شَرُّهُ فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
 يَوْمُ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ وَفِدَاءً عَلَى نُجُبٍ مِنَ الْعِيقَانِ
 وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَظَى يَتَلَمَّظُونَ تَلْمُظَ الْعَطْشَانِ

« موعظة »

فَيَا أَيُّهَا الْمُهْمِلُونَ الْغَافِلُونَ تَيَقَّظُوا فَإِلَيْكُمْ يُوجَّهُ الْخَطَابُ وَيَا أَيُّهَا
 النَّائِمُونَ انْتَبَهُوا قَبْلَ أَنْ تُنَاخَ لِلرَّحِيلِ الرِّكَابُ قَبْلَ هُجُومِ هَادِمِ الذَّاتِ وَمُفْرِقِ
 الْجَمَاعَاتِ وَمِذْلِ الرِّقَابِ ، وَمُشْتَتِ الْأَحْبَابِ ، فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لَا يَعُوقُهُ عَائِقُ
 وَلَا يُضْرَبُ دُونُهُ حِجَابُ ، وَيَا لَهُ مِنْ نَازِلٍ لَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا يَلْجُ مِنْ
 الْأَبْوَابِ ، وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلَا يُوقِّرُ كَبِيرًا وَلَا يَخَافُ عَظِيمًا وَلَا يَهَابُ أَلَا
 وَإِنَّ بَعْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ، وَوَرَاءَهُ هَوْلُ الْبَعْثِ
 وَالْحَشْرِ وَأَحْوَالِهِ الصَّعَابِ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ وَالْإِزْدِحَامِ فِي الْأَجْسَامِ وَالْمِيزَانِ
 وَالصِّرَاطِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ .

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ

أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَاتِكَ ، وَأَدْخَلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا
مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا ، وَأَجْزَلُ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ
وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعَنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفُ رَحْمَةً لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

إِغْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ الْمَوْتَ أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
شِدَائِدِهِ وَسَكَرَاتِهِ وَغُمُومِهِ هُوَ الْخَطْبُ الْأَفْطَحُ ، وَالْأَمْرُ الْأَشْنَعُ ، وَالْكَأْسُ الَّتِي
طَعَّمَهَا أَكْرَهَ وَأَبْشَعَ .

وإنَّه الحادثُ الهائلُ العظيم ، الهادمُ لِلذَّاتِ ، وَالْأَقْطَعُ لِلرَّاحَاتِ ، وَالْأَجْلَبُ
لِلْكَرِيهَاتِ ، وَإِنَّ أَمْرًا يُقْطَعُ أَوْصَالُكَ ، وَيُفْرَقُ أَعْضَاءُكَ ، وَيُفْتَتُّ أَعْضَادُكَ ،
وَيُهْدَدُ أَرْكَانُكَ ، لَهُوَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ ، وَالْخَطْبُ الْجَسِيمُ ، وَإِنَّ يَوْمَهُ لَهُوَ الْيَوْمُ
الْعَقِيمُ .

وَمَا ظَنُّكَ رَحِمَكَ اللَّهُ بِنَازِلٍ يَنْزِلُ بِكَ ، فَيَذِيبُ رَوْنَقَكَ وَبَهَاءَكَ ، وَيُغَيِّرُ
مَنْظَرَكَ وَحُسْنَكَ وَيَمْحُو صُورَةَ جَمَالِكَ ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ اجْتِمَاعِكَ وَاتِّصَالِكَ .

وَيُرْدُكَ بَعْدَ النُّعْمَةِ وَالنُّظَرَةِ وَالسُّطُورَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالنُّخُورَةِ وَالْعِزَّةِ إِلَى حَالَةٍ
يَبَادِرُ أَحَبُّ النَّاسِ لَكَ وَأَرْحَمُهُمْ بِكَ وَأَعْظَفُهُمْ عَلَيْكَ فَيَقْدِفُكَ فِي حُفْرَةٍ مِنْ
الْأَرْضِ قَرِيبَةٍ أَنْحَاوْهَا مُظْلِمَةٌ أَرْجَاوْهَا مُحْكَمٌ عَلَيْكَ طِينُهَا وَأَحْجَارُهَا مُتَحَكِّمٌ
فِيكَ هَوَامُّهَا وَدِيْدَانُهَا .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتِمَكَّنُ مِنْكَ الْإِعْدَامُ ، وَتَخْتَلِطُ بِالرُّغَامِ ، وَتَصِيرُ تُرَابًا تُوْطَأُ
بِالْأَقْدَامِ ، وَرُبَّمَا ضُرِبَ مِنْكَ إِنَاءٌ فَخَّارٍ أَوْ أَحْكَمُ مِنْكَ بِنَاءُ جِدَارٍ أَوْ طَلْيٌ مِنْكَ
مَحْبَسُ مَاءٍ أَوْ مَوْقِدُ نَارٍ .

أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

لَعَلَّ إِنَاءَ مِنْهُ يُصْنَعُ مِرَّةً فَيَكُلُّ مِنْ أَرَادَ وَيُشْرَبُ
وَيُنْقَلُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى وَمَا دَرَى فَوَاهَا لَهُ بَعْدَ الْبَلَاءِ يَتَغَرَّبُ
ثُمَّ إِيْلِمُ وَفَقْنَا اللّٰهَ وَإِيَّاكَ لِلْإِسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَانَنَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ
وَالْكُرُوبِ وَالْأُمُورِ الْمُزْعِجَاتِ .

أَنَّهُ جَدِيرٌ بِمَنِ الْمَوْتُ مَصْرَعُهُ ، وَالتُّرَابُ مَضْجَعُهُ ، وَالْدُّوْدُ أُنْيَسُهُ وَمُنْكَرٌ
وَنَكِيرٌ جَلِيسُهُ ، وَالْقَبْرُ مَقَرُّهُ ، وَبَطْنُ الْأَرْضِ مُسْتَقَرُّهُ ، وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدُهُ ،
وَالْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ مَوْرِدُهُ .

أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِكْرٌ إِلَّا فِي الْمَوْتِ ، وَلَا ذِكْرٌ إِلَّا لَهُ ، وَلَا اسْتِعْدَادٌ إِلَّا
لِأَجْلِهِ ، وَلَا تَذْيِيرٌ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا تَطَلُّعٌ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا تَأْهُبٌ إِلَّا لَهُ ، وَلَا تَغْرِيجٌ
إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا اهْتِمَامٌ إِلَّا بِهِ ، وَلَا انْتِظَارٌ وَلَا تَرْبُصٌ إِلَّا لَهُ .

وَحَقِيقٌ بِالْعَاقِلِ أَنْ يُعَدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْمَوْتَى وَيَرَاهَا مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ، فَإِنَّ
كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ قَالَ اللّٰهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي
غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ أَتَى أَمْرَ اللّٰهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ وَقَالَ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ »
الْحَدِيثُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَوْتِ إِلَّا الْإِعْدَامُ وَانْحِلَالُ الْأَجْسَامِ وَنِسْيَانُكَ
أُخْرَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، لَكَانَ وَاللّٰهِ لِأَهْلِ اللَّذَاتِ مُكْدَرًا ، وَلِأَصْحَابِ النَّعِيمِ
مُنْغَصِيًا وَمُغْيِرًا ، وَلِأَرْبَابِ الْعُقُولِ الرَّاجِعَةِ عَنِ الرَّغْبَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ زَاجِرًا
وَمُنْفِرًا ، وَلِلْمُنْهَمِكِ فِي الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا مُنْذِرًا وَمُزْعِجًا وَمُحَذِّرًا .

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ : إِنَّ هَٰذَا الْمَوْتَ نَعَصَ عَلَى أَهْلِ النَّعِيمِ نَعِيمَهُمْ ،
فَاطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ ، فَكَيْفَ وَوَرَاءَهُ يَوْمٌ يُعَدُّ فِيهِ الْجَوَابُ وَتَذَهُّشُ فِيهِ
الْأَلْبَابُ ، وَتَفْتَنَى فِي شَرْحِهِ الْأَقْلَامُ وَالْكِتَابُ .

وَلَمْ يَمُرَّرْ بِهِ يَوْمَ فَظْلِعَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِ الْحِمَامِ
وَيَوْمِ الْحَشْرِ أَفْظَعُ مِنْهُ هَوْلًا إِذَا وَقَفَ الْخَلَائِقُ بِالْمَقَامِ
فَكَمْ مِنْ ظَالِمٍ يَبْقَى ذَلِيلًا وَمَظْلُومٍ تَشْمُرُ لِلْخِصَامِ
وَشَخْصٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرًا تَبَوَّأَ مَنْزِلَ النُّجُبِ الْكَرَامِ
وَعَفُو اللَّهِ أَوْسَعُ كُلِّ شَيْءٍ تَعَالَى اللَّهُ خَلَّاقُ الْأَنَامِ

ومن كلام بعضهم يا ابن آدم لو رأيت ما حل بك وما أحاط بأرجائك
لبقيت مصروعاً لما بك ، مذهولاً عن أهليك وأصحابك .

يا ابن آدم أما علمت أن بين يديك يوماً يصم سماعه الآذان ، ويشيب
لرؤعه الولدان ، ويترك فيه ما عزر وما هان ، ويهجر له الأهلون والأوطان .

يا ابن آدم أما ترى مسير الأيام بجسمك ، وذهابها بعمرك ، وإخراجها
لك من سعة قصرِك إلى مضيق قبرِك ، وبعد ذلك ما لذكر بعضه تتصدع
القلوب ، وتنضج له الجوانح وتذوب ، ويفر المرء على وجهه فلا يرجع
ولا يؤوب ، ويود الرجعة وأنى له المطلوب .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ
فِي غَفْلَةٍ ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي
جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّيْرُ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْحَسَنِينَ ﴾ ، وقال تبارك
وتعالى : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ اقْتَرَبَ
لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ أَيُودِ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ
لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ
الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ

الإنسان وأنى له الذكرى يقول يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١﴾ ، وقال تبارك وتعالى : ﴿٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣﴾ ، وقال تعالى : ﴿٤﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَاعْمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴿٥﴾ ، وقال تعالى : ﴿٦﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿٨﴾ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقْ وَأُكِّنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ ، وقال تبارك وتعالى : ﴿١٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١﴾ .

شِعْرًا :

لِأَمْرِ مَا تَصَدَّعَتِ الْقُلُوبُ	وَبَاحٍ بِسِرِّهَا دَمْعٌ سَكِيبُ
وَبَاتَتْ فِي الْجَوَانِحِ نَارٌ ذِكْرَى	لَهَا مِنْ خَارِجٍ أَثَرٌ عَجِيبُ
وَمَا خَفَّ اللَّيْبُ لِغَيْرِ شَيْءٍ	وَلَا أَعْيَا بِمَنْطِقِهِ الْأَرِيبُ
ذَرَاهُ لَا إِمَامَهُ فَلَا تَلُومًا	قَرُبَتْ لِأَثَمٍ فِيهِ يَحُوبُ
رَأَى الْأَيَّامَ قَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ	مُرُورَ الرِّيحِ يَدْفَعُهَا الْهَبُوبُ
وَمَا نَفْسٌ يَمُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا	وَمِنْ جُثْمَانِهِ فِيهِ نَصِيبُ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْ يَذْرِي مَقَامَ	بِهِ الْوِلْدَانُ مِنْ رَوْعِ تَشْيِبُ
وَهَذَا الْمَوْتُ يَذْنِيهِ إِلَيْهِ	كَمَا يُذْنِي إِلَى الْهَرَمِ الْمَشْيِبُ
مَقَامٌ تُسْتَلَدُ بِهِ الْمَنَايَا	وَتُدْعَى فِيهِ لَوْ كَانَتْ تُجِيبُ
وَمَاذَا الْوَصْفُ بِالْبَعَّةِ وَلَكِنْ	هِيَ الْأَمْثَالُ يَفْهَمُهَا اللَّيْبُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِي

الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَا وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

الحمد لله المستحق لغاية التَّحْمِيدِ ، الْمُتَوَحِّدِ فِي كِبَرِيَّائِهِ وَعَظَمَتِهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ ، الْغَنِيِّ الْمُغْنِي الْمُبْدِي الْمُعِيدِ ، الْمُعْطِي الَّذِي لَا يَنْفَدُ عَطَاؤُهُ وَلَا يَبِيدُ ، الْمَانِعِ فَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ وَلَا رَادٍّ لِمَا يُرِيدُ .

خَلَقَ الْخَلَائِقَ وَأَوْضَحَ لَهُمْ أَحْسَنَ طَرِيقٍ ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الْأَمْرِ الرَّشِيدِ ، وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ ، وَبَشَّرَ مَنْ أَطَاعَهُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ وَالتَّخْلِيدِ ، وَحَذَّرَ مَنْ عَصَاهُ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ .

وَحَثَّهُمْ عَلَى ذِكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ وَوَعَدَهُمْ بِالْمَزِيدِ ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ .

وَحَكَّمَ عَلَى خَلْقِهِ بِالْفَنَاءِ فَمَا لِأَحَدٍ عَنْهُ مَحِيصٌ وَلَا مَحِيدٌ ، فَكَمْ أَبْكِي الْمَوْتَ خَلِيلًا بِفِرَاقِ خَلِيلِهِ ، وَكَمْ أَيْتَمَ طِفْلاً فَشَغَلَهُ بَيْكَاؤُهُ وَعَوِيلُهُ .

أَوْحَشَ الْمَنَازِلَ مِنْ أَقْمَارِهَا ، وَنَفَّرَ الطُّيُورَ مِنْ أَوْكَارِهَا ، وَعَوَّضَهُمْ مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ بِالتَّغْنِيصِ وَالتَّشْكِيدِ .

فَالْمَلِكُ وَالْمَمْلُوكُ وَالْغَنِيُّ وَالصُّعْلُوكُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، تَسَاوَتْ قُبُورُهُمْ فِي الْقَفْرِ وَالْبَيْدِ .

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ أَذَلَّ بِالْمَوْتِ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَكَسَرَ بِهِ مِنَ الْأَكَاسِرَةِ
كُلَّ جَبَّارٍ صَنِيدٍ ، وَأَخْرَجُوا مِنْ سَعَةِ الْقُصُورِ إِلَى ضَيْقِ الْقُبُورِ ، وَقُطِعَ حَبْلُ
أَمْدِهِمُ الْمَدِيدُ .

أَخَذَ بِهِ الْأَبَاءَ وَالْجُدُودَ وَالْأَطْفَالَ مِنَ الْمُهُودِ ، وَأَسْكَنَهُمْ بَعْدَ اللَّيْلِ وَالسَّعَةِ
وَالرَّفَاهِيَةِ مَضِيقَ اللَّحُودِ ، وَغَفَّرَ وَجُوهَهُمْ فِي التُّرَابِ بَعْدَ لَيْلِ الْوَسَائِدِ وَالْفُرَشِ
النَّاعِمَةِ وَالتَّمْهِيدِ وَبَقُوا فِي تَحْتَ الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ .

فَيَا بُؤْسَ لِلدُّنْيَا شَدَّ مَا عَنْ ثَذِيهَا فَطَمَتَهُمْ وَمِنْ سُمِّهَا أَطْعَمَتَهُمْ وَيَدِيهَا
الْبَاطِشَةَ لَطَمَتَهُمْ ، وَفِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَغِيَابَاتِ الثُّرَى طَرَحَتَهُمْ ، فَقَلَبَتْ قَائِمَ
تِلْكَ الْأَغْيَانِ ، وَطَمَسَتْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الْحَسَنَاتِ .

وَأَعْمَتْ تِلْكَ الْأَبْصَارَ ، وَأَصَمَّتْ تِلْكَ الْأَذَانَ وَأَسَالَتْ الْحَدَقَ عَلَى
الْحُدُودِ وَالْوَجَنَاتِ ، وَغَسَلَتْ بِالصَّدِيدِ جَمِيعَ الْقَسَمَاتِ ، وَمَلَأَتْ بِالثُّرَابِ
اللَّهَازِمَ وَاللَّهَوَاتِ .

وَكَسَرَتْ تِلْكَ الضُّوَاهِكَ وَالرَّبْعِيَّاتِ ، وَعَبَثَتْ الدِّيدَانَ بِجُسُومِ أَوْلِيكِ
الْفِتْيَانِ وَالْفَتَيَّاتِ ، لَطَالَمَا اغْرُبُوا ضَاكِكِينَ ، وَتَقَلَّبُوا فَاكِهِينَ ، وَبَاثُوا عَلَى
سُرُرِهِمْ مُطْمَئِنِّينَ آمِنِينَ .

فَكَمْ بِهَا مِنْ لِسَانٍ فَصِيحٍ ، طَالَمَا مَا أُنْشِدَ وَخَطَبَ ، وَأُرْهَبَ وَأُرْغَبَ ،
وَمَدَّحَ وَأُطْنَبَ ، وَكَمْ مِنْ فَصِيحٍ لِسَانٍ وَعَظِيمٍ بَيَّانٍ أَخْرَسَهُ الْحَدَثَانُ ،
وَتَحَكَّمَتْ فِي جَسَدِهِ الْهَوَامُّ وَالْدِّيدَانُ .

وَلَوْ كَشَفَ الْأَجْدَاثَ مُعْتَبِرًا لَهُمْ لَيَنْظُرَ آثَارَ الْبَلَاءِ كَيْفَ يَصْنَعُ
لَشَاهَدَ أَحَدًا قَدْ تَسِيلُ وَأَوْجُهَاً

مُعَفَّرَةٌ فِي التُّرْبِ شَوْهَا تُفْرَعُ
غَدَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى مُكْفَهَّرَةٌ
عَبُوساً وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْبَشْرِ تَلْمَعُ
فَلَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ فِيهِمْ
وَلَا حَامِلاً مِنْ نَابِهِ يَتَرَفُّعُ
وَأُنَى لَهُ عِلْمٌ بِذَلِكَ بَعْدَمَا
تَبَيَّنَ مِنْهُمْ مَا لَهُ الْعَيْنُ تَلْمَعُ
رَأَى مَا يَسُوءُ الطَّرْفَ مِنْهُمْ وَطَالَمَا
رَأَى مَا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ وَيُمْتِعُ
رَأَى أَعْظَمَ لَا تَسْتَطِيعُ تَمَاسُكاً
تَهَافَّتْ مِنْ أَوْصَالِهَا وَتَقَطَّعُ
مَجْرَدَةً مِنْ لَحْمِهَا فَهِيَ عِبْرَةٌ
لِذِي فِكْرَةٍ فِيمَا لَهُ يَتَوَقَّعُ
تَخَوَّنَهَا مَرُّ اللَّيَالِي فَأَصْبَحَتْ
أُنَابِيْبَ مِنْ أَجْوَافِهَا الرِّيحُ تُسْمَعُ
أُزِيلَتْ عَنِ الْأَعْنَاقِ فَهِيَ نَوَاكِيسُ
عَلَى التُّرْبِ مِنْ بَعْدِ الْوَسَائِدِ تُرْفَعُ
عَلَاهَا ظِلَامٌ لِلْبَلَى وَلَطَالَمَا
غَدَا نُورُهَا فِي جَنْدِسِ الظُّلَمِ يَلْمَعُ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَوْماً عَلَا مَفْرقاً لَهَا
نَفَائِسُ تَيْجَانٍ وَدُرٍ مُرْصَعُ
تَبَاعَدَ عَنْهُمْ وَخَشَّةٌ كُلُّ وَامِقِ
وَعَافَهُمُ الْأَهْلُونَ وَالنَّاسُ أَجْمَعُ

وَقَاطَعَهُمْ مَنْ كَانَ حَالَ حَيَاتِهِ
يُوصِلُهُمْ وَجِدًا بِهِمْ لِي
يُكَيِّمُهُمُ الْأَعْدَاءُ مِنْ سُوءِ حَالِهِمْ
وَيَرْحَمُهُمْ مَنْ كَانَ ضِيًّا
فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ غَرَّهُ طُولُ عُمُرِهِ
وَمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ زَخَا
أَفِقْ وَانْظُرِ الدُّنْيَا بَعَيْنِ بَصِيرَةٍ
تَجِدُ كُلَّ مَا فِيهَا وَدًا
فَأَيْنَ الْمُلُوكُ الصَّيِّدُ قَدَمًا وَمَنْ حَوَى
مِنَ الْأَرْضِ مَا كَانَتْ بِهِ أ
حَوَاهُ ضَرِيحٍ مِنْ فَضَاءٍ بَسِيطَهَا
يُقَصِّرُ عَنْ جُثَمَائِهِ
فَكَمْ مَلِكٍ أَضْحَى بِهَذَا مَذَلَّةً
وَقَدْ كَانَ حَيًّا لِلْمَهْ
يُقَوِّدُ عَلَى الْخَيْلِ الْعِشَاقِ فَوَارِسًا
يَسُدُّ بِهَا رَحْبَ الْفَيْ
فَأَصْبَحَ مِنْ بَعْدِ التَّعَمُّرِ فِي ثَرَى
تُورِي عِظَامًا مِنْهُ بِهِ
بَعِيدًا عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ إِسَابُهُ
فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْقِيَامِ
غَرِيبًا عَنِ الْأَخْبَابِ وَالْأَهْلِ ثَاوِيًا
بِأَقْصَى فَلَاةٍ خَرَقُهُ لَبَا

تُلْحِ عَلَيْهِ السَّافِيَاتُ بِمَنْزِلِ
 جَدِيْبٍ وَقَدْ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُمْرِغُ
 رَهِيْنًا بِهِ لَا يَمْلِكُ الدَّهْرُ رَجْعَةً
 وَلَا يَسْتَطِيعُنُ الْكَلَامَ فَيَسْمَعُ
 تَوَسَّدَ فِيهِ التُّرْبُ مِنْ بَعْدِ مَا اغْتَدَى
 زَمَانًا عَلَى فُرْشٍ مِنَ الْخَزْرِ يُرْفَعُ
 كَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ لَنْ تَرَى
 مِنَ النَّاسِ حَيًّا شَمْلُهُ لَيْسَ يُصْنَعُ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبَسْنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِيْنَ ، وَخَصَّنَا
 مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ
 وَابْتِدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا
 وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا
 ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وقال رحمه الله :
 اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ كَثْرَةَ ذِكْرِ
 الْمَوْتِ تَرْدَعُ عَنِ الْمَعَاصِي وَتُلَيِّنُ الْقَلْبَ الْقَاسِي ، وَتُذْهِبُ الْفَرَحَ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
 وَزَخَارِفِهَا وَلَذَاتِهَا .

وَتُحْكِكُ عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَاتِ وَإِصْلَاحِ أَحْوَالِكَ وَشُؤْنِكَ

والتَّسْخِرَ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ خَلْقِهِ ، وَتَنْفِيذِ الْوَصَايَا وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ
وَالدِّيُونِ .

قال بَعْضُهُمْ فَضَحَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ هَذَا الْمَوْتُ فَلَمْ يَتْرِكْ فِيهَا لِذِي عَقْلٍ فَرَحاً .
وقال آخَرُ مَا رَأَيْتُ عَاقِلاً قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُهُ حَذِيراً مِنَ الْمَوْتِ حَزِيناً مِنْ
أَجْلِهِ .

وقال آخَرُ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا .
وقال آخَرُ : مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ رُبَّمَا تَمَنَّاهُ فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُؤْتَاهُ .
وقال آخَرُ يُوصِي أَخاً لَهُ : يَا أَخِي إِحْذِرِ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَصِيرَ إِلَى دَارٍ تَتَمَنَّى بِهَا الْمَوْتَ فَلَا يُوجَدُ .

وقال آخَرُ : وَأَمَّا ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَمراً مُقَدَّراً
مَفْرُوعاً مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَكْسِبُكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالِاسْتِعْدَادِ
وَالْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالتَّفَكُّرُ وَالنَّظَرُ فِيمَا تَقْدَمُ عَلَيْهِ وَفِيمَا يَصِيرُ أَمْرُكَ
إِلَيْهِ .

وَيُهَوِّنُ عَلَيْكَ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَيُصَغِّرُ عِنْدَكَ نَوَائِبَهَا ، فَإِنْ كَانَ سَبَبُ مَوْتِكَ
سَهْلاً وَأَمْرُهُ قَرِيباً فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى كُنْتَ مَأْجُوراً مَعَ النِّيَّةِ
الصَّالِحَةِ فِيمَا تُقَاسِيهِ ، مُثَاباً عَلَى مَا تَتَحَمَّلُهُ مِنَ الْمَشَاقِّ .

واعلم أَنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَذْكَارِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَإِقْبَالِكَ عَلَى مَا
تَذْكُرُهُ . قال الله جلا جلاله وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ
كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ فِي
تَحْرِيكِ لِسَانِكَ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ بِقَلْبِكَ .

وإنما مثل الذكر الذي يَعْقِبُ التنبية ، ويكون معه النفع والإيقاظ من الغفلة والنوم أن تُحْضِرَ المذكورَ قلبك وتَجْمَعَ لَهُ ذَهْنُكَ وتَجْعَلَهُ نَصَبَ عَيْنِكَ ومِثَالاً نَحَاطِراً بَيْنَ يَدَيْكَ ، وأن تنظر إلى كل ما تحبه من الدنيا من وَلَدٍ أو أَهْلٍ أو مَالٍ أو غير ذلك ، فتَعْلَمَ عِلْماً لَا يَشُوْبُهُ شَكٌّ أَنَّكَ مُفَارِقُهُ إِمَّا فِي الْحَيَاةِ أَوْ فِي الْمَمَاتِ ، وهذه سُنَّةُ اللَّهِ الْجَارِيَةُ فِي خَلْقِهِ وَحُكْمُهُ الْمُطْرِد .

وتُشِعِرُ هَذَا قَلْبَكَ وتُفَرِّغُ لَهُ نَفْسَكَ فَتَمْنَعُهَا بِذَلِكَ عَنِ الْمِيلِ إِلَى ذَلِكَ المحبوب والتعلق به والهلكة بسببه .

فَعُقِبِي كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتٍ وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمٍ يُوزَّعُ فِي الْبَيْنَيْنِ وَفِي الْبَنَاتِ وَفِيمَنْ لَمْ تُؤْهِلْهُمْ بِفَلَسٍ وَقِيَمَةِ حَبَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَتُسَانَا الْأَجْبَةُ بَعْدَ عَشْرِ وَقَدْ صِرْنَا عِظَاماً بِأَلْيَاتٍ كَأَنَّا لَمْ نَعَاشِرْهُمْ بِوُدٍّ وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ حِلٌّ مُوَاتٍ

واعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ مِمَّا يُعِينُكَ عَلَى الْفِكْرَةِ فِي الْمَوْتِ وَيُفَرِّغُكَ لَهُ وَيُكْثِرُ اشْتِغَالَ فِكْرِكَ بِهِ تَذَكُّرُ مَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانِكَ وَخِلَانِكَ وَأَصْحَابِكَ وَأَقْرَانِكَ وَزُمَلَائِكَ وَأَسَاتِذَتِكَ وَمَشَايِخَتِكَ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَكَ وَتَقَدُّمُوا أَمَامَكَ .

كَانُوا يَحْرِصُونَ حِرْصَكَ وَيَسْعَوْنَ سَعْيَكَ ، وَيَأْمَلُونَ أَمْلَكَ ، وَيَعْمَلُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَمَلَكَ وَقَصَبَتِ الْمُنُونُ أَعْنَاقَهُمْ وَقَصَمَتِ ظُهُورَهُمْ وَأَصْلَابَهُمْ ، وَفَجَعَتِ فِيهِمْ أَهْلِيَهُمْ وَأَجْبَاءَهُمْ وَأَقْرِبَاءَهُمْ وَجِيرَانَهُمْ فَأَصْبَحُوا آيَةً لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

وَيَتَذَكَّرُ أَيْضاً مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْاِعْتِنَاءِ بِالْمَلَابِسِ وَنُضَافَتِهَا وَنُضْرَةِ بَشَرَتِهِمْ ، وَمَا كَانُوا يَسْتَحْبُّونَهُ مِنْ أَرْدِيَةِ الشَّبَابِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي نَعِيمٍ يَتَقَلَّبُونَ ، وَعَلَى الْأَسِيرَةِ يَتَّكُونَ ، وَبِمَا شَاؤُوا مِنْ مَحَابِبِهِمْ يَتَنَعَّمُونَ .

وفي أمانيتهم يقومون ويقعدون ، لا يفكرون بالزوال ، ولا يهتمون
بانتقال ، ولا يخطر الموت لهم على بال ، قد خدعتهم الدنيا برحارفها ،
وخلبتهم وخدعتهم بروثها ، وحدثتهم بأحاديثها الكاذبة ، ووعدهم
بمواعيدها المخلفة الغرارة .

فلم تزل تقرب لهم بعيدها ، وترفع لهم مشييدها ، وتلبسهم غصتها
وجديدها ، حتى إذا تمكنت منهم علائقها ، وتحكمت فيهم رواشيقها ،
وتكشفت لهم حقائقها ، ورمقتهم من المنية رواقها .

فوثبت عليهم وثبة الحقيق وأغصتهم غصة الشريق ، وقتلتهم قتلة
المحتيق ، فكتم عليهم من عيون باكية ، ودُموع جارية ، وخذود دامية ،
وقلوب من الفرح والسرور لفقدهم نحالة . وأنشدوا في هذا المعنى :

وريان من ماء الشباب إذا مشى
يميد على حكم الصبا ويميد
تعلق من دنياه إذ عرضت له
خلوباً لألباب الرجال تصيد
فأصبح منها في حصيد وقائم
وللمرء منها قائم وحصيد
خلا بالأمانى واستطاب حديثها
فينقص من أطماعه ويزيد
وأذنت له الأشياء وهي بعيدة
وتفعل تذني الشيء وهو بعيد
أنيحت له من جانب الموت رمية
فراح بها المغرور وهو حصيد

وصَارَ هَشِيمًا بَعْدَمَا كَانَ يَانِعًا
وَعَادَ حَدِيثًا يُنْقِضِي وَيَبِيدُ
كَأَنَّ لَمْ يَنْلُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَذَّةً
وَلَا طَلَعَتْ فِيهِ عَلَيْهِ سَعُودُ
تَبَارَكَ مَنْ يُجْرِي عَلَى الْخَلْقِ حُكْمَهُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُ مَحِيدُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمِّنَّا مِنَ
الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ النَّاسَ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ عَلَى أَقْسَامٍ فَمِنْهُمْ الْمُتَهَمِكُ
فِي لَذَائِهِ الْمُتَابِرِ عَلَى شَهَوَاتِهِ ، الْمُضَيِّعُ فِيهَا مَا لَا يَرْجِعُ مِنْ أَوْقَاتِهِ ، لَا يَخْطُرُ
الْمَوْتُ لَهُ عَلَى بَالٍ ، وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِزَوَالٍ ، وَاتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، فَأَصَمَّهُ
وَأَعَمَّاهُ وَأَهْلَكَهُ وَأَزْدَاهُ .

فَإِنَّ ذِكْرَ لَهُ الْمَوْتُ تَفَرَّ وَشَرَّدَ ، وَإِنْ وُعِظَ أَنْفَ وَبَعُدَ ، وَقَامَ فِي أَمْرِهِ الْأَوَّلِ
وَقَعَدَ ، قَدْ حَادَّ عَنْ سِوَاءِ نَهْجِهِ ، وَنَكِبَ عَنِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى
بَطْنِهِ وَفَرَجِهِ ، ثَبَّتَ يَدَاهُ وَخَابَ مَسْعَاهُ .

وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وَقَوْلَهُ
تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ .

وهذا وأمثاله إن ذكر له الموت تصامم عن ذكره كأن لم يسمع ولم يمكنه
من فكره رجاء أن يبلغ ما أمل أو يدرك بعض ما تحيل فعمره ينقص ،
وحرصه يزيد ، وجسمه يخلق ويضعف ، وأمله جديد ، وحثفه قريب .

يحرص حرص مقيم ويسير إلى الآخرة سير مجد كأن الدنيا عنده حق
اليقين والآخرة ظن من الظنون .

أتحرص يا ابن آدم حرص باقي وأنت تسير ويحك كل حين
وتعمل طول دهرك في ظنون وأنت من المنون على يقين
وقسم آخر وقليل ما هم من أزيل عن عينيه قذاها ، وكشف عن بصيرته
عماها ، وعرضت عليه الحقيقة فرآها ، وأبصر نفسه وهواها ، فزجرها
ونهاها ، وأبغضها وقلاها .

فلبى المُنَادِي ، وأجاب الداعي ، وشمر لتلافي ما فات ، والنظر فيما هو
آت ، وتأهب لهجوم هادم اللذات ، ومفرق الجماعات ، واستعد لحلول
الشتات والائتقال إلى محلة الأموات .

ومع هذا فهو يكره أن يشهد وقائعه أو يرى طلائعه وليس يكره الموت
لذاته ولا لأنه هادم لذاته ، ولكنه يخاف أن يقطع عن الاستعداد ليوم
المعاد ، والاكساب ليوم الحساب .

ويكره أن تطوى صحيفة عمله قبل بلوغ أمله ، وأن يُبادر بأجله قبل
إصلاح خله ، وتدارك زلله ، فهو يريد البقاء في هذه الدار لقضاء هذه
الأوطار والإقامة بهذه المحلة بسبب هذه العلة .

شِعْرًا :

أهون بداركم الدنيا وأهليها واضرب بها صفحات من محبيها

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أُعَشِّقُهَا وَلَا أُرِيدُ بَقَاءَ سَاعَةٍ فِيهَا
لَكِنْ تَمَرَّغْتُ فِي أَدْنَسِهَا حُقْباً وَبِتُّ أَنْشُرَهَا جِيناً وَأَطْوِينَهَا
أَيَّامَ أَسْحَبُ ذَيْلِي فِي مَلَاعِبِهَا جَهْلًا وَأُهْدِمُ مِنْ دِينِي وَأَبْنِيهَا
وَكَمْ تَحَمَّلْتُ فِيهَا غَيْرَ مُكْتَرِبٍ مِنْ شَامِخَاتِ ذُنُوبٍ لَسْتُ أَخْصِيهَا
فَقُلْتُ أَبْقَى لَعَلِّي أَهْدِمُ مَا بَنَيْتُ مِنْهَا وَأَدْنَسِي أَنْفِيهَا
وَمِنْ وَرَاءِ عِقَابٍ لَسْتُ أَقْطَعُهَا حَتَّى أَخْفَفَ أَحْمَالِي وَأَلْقِيهَا
يَا وَيْلَتِي وَبِحَارِ الْعَفْوِ زَاخِرَةٌ إِنْ لَمْ تُصِيبْنِي بِرَشٍّ فِي تَشْنِيهَا .

هَذَا لِلَّهِ دَرُّهُ يُرْجَى لَهُ الْمَغْفِرَةُ مِنَ اللَّهِ وَالسُّرُورُ وَالْحُبُورُ لِتَوْبِيخِهِ نَفْسَهُ
وَاسْتِعْظَامِهِ لِذُنُوبِهِ وَرَجَائِهِ الْمَغْفِرَةَ .

وَقَالَ ابْنُ السَّمَاكِ إِنَّ الْمَوْتَى لَمْ يَبْكُوا مِنَ الْمَوْتِ وَلَكِنَّهُمْ يَبْكُونَ مِنْ
حَسْرَةِ الْفَوَاتِ فَاتَتْهُمْ وَاللَّهُ دَارٌ لَمْ يَتَزَوَّدُوا مِنْهَا ، وَدَخَلُوا دَاراً لَمْ يَتَزَوَّدُوا لَهَا .

فَأَيَّةُ سَاعَةٍ مَرَّتْ عَلَى مَنْ مَضَى وَأَيَّةُ سَاعَةٍ بَقِيَتْ عَلَيْنَا وَاللَّهُ إِنْ الْمُتَفَكَّرُ فِي
هَذَا لَجَدِيذٌ أَنْ يَتْرَكَ الْأَوْطَانَ ، وَيَهْجُرَ الْخِلَانَ ، وَيَدْعَ مَا عَزَّ وَمَا هَانَ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ كَانُوا يَشْهَدُونَ الْجَنَازَةَ فَيَرَى فِيهِمْ ذَلِكَ أَيَّاماً كَأَنَّ
فِيهِمْ الْفَكْرَةَ فِي الْمَوْتِ ، وَفِي حَالِ الْمَيِّتِ .

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّخِيرِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَلْقَى الرَّجُلَ مِنْ
خَاصَّةِ إِخْوَانِهِ قَدْ بَعْدَ عَهْدِهِ بِهِ فَلَا يَزِيدُهُ عَلَى السَّلَامِ حَتَّى يَظُنَّ الرَّجُلُ فِي
صَدْرِهِ عَلَيْهِ مَوْجِدَةٌ ، أَيْ غَضَبٌ كُلُّ ذَلِكَ لِأَنْشِغَالِ فِكْرِهِ بِالْجَنَازَةِ وَتَفَكُّرِهِ
فِيهَا وَفِي مَصِيرِهَا حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا مِنْهَا لَقِيَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَلَاطَفَهُ وَكَانَ مِنْهُ
عَلَى أَحْسَنِ مَا عَهْدَ وَقَالَ الْأَعْمَشُ كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَازَةَ وَلَا نَذَرِي مَنْ الْمُعْزَى
فِيهَا لِكَثْرَةِ الْبَاكِينَ وَإِنَّمَا بُكَاءُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَى الْمَيِّتِ .

شِعْرًا :

ماذا تُؤمِّلُ والأَيَّامُ ذَاهِبَةٌ وَمِنْ وَرَائِكَ لِلْأَيَّامِ قُطَاعُ
وَصِيحَةٌ لِهُجُومِ الْمَوْتِ مُنْكَرَةٌ صُمْتُ لِوَقْعَتِهَا الشَّنْعَاءِ أَسْمَاعُ
وُغْصَةٌ بِكُؤُوسٍ أَنْتَ شَارِبُهَا لَهَا بِقَلْبِكَ الْآمُ وَأَوْجَاعُ
يَا غَافِلًا وَهُوَ مَطْلُوبٌ وَمُتَّبَعُ أَتَاكَ سَيْلٌ مِنَ الْفُرْسَانِ دَفَاعُ
تُحْذِرُنَا إِلَيْكَ طِعَانًا فِيكَ نَافِذَةٌ تَعْدِي الْجَلِيسَ وَأَمْرٌ لَيْسَ يُسْطَاعُ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ تُلْقَى عَلَى جَبَلٍ لِأَصْبَحَ الصَّخْرُ مِنْهُ وَهُوَ مِيَاغُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ
وَنَبِّهْنَا لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْنَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
وَالْمَعَايِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فصل في ذكر كلام بعض المرضى والمحتضرين

وَلَمَّا اخْتُضِرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا فَلَمَّا رَأَتْهُ تَمَثَّلَتْ بِهَذَا الْبَيْتِ .

لَعَمْرِكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فَكَشَفَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنْ قُولِي : ﴿ وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ فِي كَمْ كَفَّنَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَبِضُ سَحُورِيَّةٌ . فَقَالَ : خُذُوا
هَذَا الثَّوْبَ لِثَوْبٍ كَانَ عَلَيْهِ قَدْ أَصَابَهُ مِسْكٌ أَوْ زَعْفَرَانٌ فَاغْسِلُوهُ ثُمَّ كَفِّنُونِي فِيهِ

مَعَ ثَوْبَيْنِ آخَرَيْنِ وَكَانَ ثَوْبًا خَلِقًا . فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا هَذَا تُرِيدُ أَنَّهُ خَلَقَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْحَيُّ أَخَوَجُ إِلَى الْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ إِنَّمَا هَذَا لِلْمُهْلِ « أَيُّ لِلصَّدِيدِ وَالْقَيْحِ » .

وَيُرَوَّى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا أُحْتُضِرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا لَهُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّا نَرَاكَ أَلِيمٌ بِكَ فَأَوْصِنَا بِوَصِيَّةٍ وَزَوَّدْنَا مِنْكَ بِمَوْعِظَةٍ .

فَقَالَ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ثُمَّ مَاتَ جَعَلَ اللَّهُ رُوحَهُ فِي الْأَفْقِ الْمُبِينِ فَقَالُوا وَمَا الْأَفْقُ الْمُبِينُ قَالَ قَاعٌ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ فِيهِ رِيَاضٌ وَأَشْجَارٌ وَأَنْهَارٌ فَمَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَدَأْتَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ بِكَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ جَعَلْتَهُمْ فَرِيقًا لِلنَّعِيمِ وَفَرِيقًا لِلسَّعِيرِ فَاجْعَلْنِي لِلنَّعِيمِ وَلَا تَجْعَلْنِي لِلسَّعِيرِ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَهُمْ وَمَيَّزْتَهُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَهُمْ فَجَعَلْتَ مِنْهُ شَقِيئًا وَسَعِيدًا وَغَوِيًّا وَرَشِيدًا فَلَا تُشَقِّنِي بِمَعَاصِيكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَلِمْتَ مَا تُكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَهَا وَلَا مَحِيصَ لَهُمْ مِمَّا عَلِمْتَ فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَسْتَعْمِلُهُ بِطَاعَتِكَ .

اللَّهُمَّ إِنْ أَحَدًا لَا يَشَاءُ إِلَّا مَا تَشَاءُ فَاجْعَلْ مَشِيئَتِي أَنْ أَشَاءَ مَا يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدَّرْتَ حَرَكَاتِ الْعِبَادِ فَلَا يَتَحَرَّكُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِكَ فَاجْعَلْ حَرَكَتِي فِي تَقْوَاكَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَجَعَلْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَامِلًا يَعْمَلُ بِهِ فَاجْعَلْنِي مِنْ خَيْرِ الْقَسَمَيْنِ .

اللهم إنيك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً فاجعلني من ساكني جنتك .

اللهم إنيك أردت الضلال بقوم وضيقته به صدورهم فاشرخ صدري للإيمان وزينه في قلبي .

اللهم إنيك دببت الأمور فجعلت مصيرها إليك فأحيني حياة طيبة وقربي إليك زلفى .

اللهم من أصبح ثقته ورجاؤه غيرك فانت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة إلا بك قال أبو بكر وهذا كله في كتاب الله عز وجل له .

وقال الشعبي رحمه الله لما طعن عمر رضي الله عنه أتني بلبن فشرب منه فخرج اللبن من طعنته فقال الله أكبر وجعل جلساؤه يثنون عليه خيراً .

فقال وددت أن أخرج من الدنيا كفافاً كما دخلت لا علي ولا لي والله لو كان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس لا فتدث به من هول المطلع .

ولما احتضر عشي عليه ورأسه في الأرض فوضع أبنه عبد الله رأسه في حجره فلما أفاق من العشي قال لابنه عبد الله ضع رأسي على الأرض كما أمرتك فقال له أبنه يا أبتني وهل الأرض وحجري إلا سواء قال ضع رأسي على الأرض كما أمرتك فوضعه .

قال فمسح خديه بالتراب ثم قال ويل لعمر ويل لعمر ويل لأمر عمر إن لم يغفر الله لعمر فإذا قضيت فأسرعوا بي إلى حفرتي ، فإنما هو خير تقديمويني إليه أو شر تضعونه عن رقابكم .

ولما احتضر عثمان رضي الله عنه جعل يقول ودمه يسيل : لا إله إلا

أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغِيثُ بِكَ عَلَى أُمُورِي
وَأَسْأَلُكَ الصَّبْرَ عَلَى بَلَائِي .

وَيُرَوَّى أَنَّ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَمَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا
يُبْكِيكَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَبْكِي لِذَنْبٍ أَعْلَمُ أَنِّي أَتَيْتُهُ وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ
أَذْنَبْتُ ذَنْبًا حَسِبْتُهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ دَخَلْتُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِنَا وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَرَأَيْتُ مِنْ
جَزَعِهِ مَا سَاءَ نِي فَقُلْتُ هَذَا الْجَزَعُ كُلُّهُ لِمَاذَا وَقَدْ كُنْتَ تَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى كَذَا
يَعْنِي عَلَى حَالَةِ صَالِحَةٍ فَقَالَ وَمَا لِي لَا أَجْزَعُ وَمَنْ أَحَقُّ مِنِّي بِالْجَزَعِ وَاللَّهُ لَوْ
أَتَتْنِي الْمَغْفِرَةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَأَهْمَنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ فِيمَا أَفْضَيْتُ بِهِ إِلَيْهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ لِغُلَامِهِ وَقَدْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ يَا غُلَامُ شَدَّ كِتَافِي وَعَفَّرْ
بِالتُّرَابِ نَحْدِي فَقَعَلَ الْغُلَامُ ثُمَّ قَالَ دَنَا الرَّحِيلُ اللَّهُمَّ لَا بَرَاءَةَ لِي مِنْ ذَنْبٍ وَلَا
عُذْرَ لِي فَأَعْتَذِرُ بِهِ وَلَا قُوَّةَ فَأَنْتَصِرُ بِهَا ثُمَّ قَالَ أَنْتَ لِي « ثَلَاثَا » ثُمَّ صَاحَ
صَيْحَةً وَمَاتَ فَسَمِعُوا صَوْتًا فِي الْبَيْتِ يَقُولُ اسْتَكَانَ الْعَبْدُ لِمَوْلَاهُ فَقَبْلُهُ وَأَذْنَاهُ «
وَمَعْنَى اسْتَكَانَ ذَلِكَ وَخَضَعَ .

وَقَالَ حَذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَيُنَادِي مَنَادُ أَيُّهَا النَّاسُ
الرَّحِيلُ الرَّحِيلُ .

رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَوَفَدَيْنِ كُلَّمَا تَرَحَّلَ وَفَدَّ جَاءَ فِي إِثْرِهِ وَفَدَّ
وَقَالَ آخِرُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّمَا أَنْتَ نَازِلٌ مِنَ الدُّنْيَا فِي مَنْزِلٍ تَعْمُرُهُ أَيَّامَ
عُمْرِكَ ، ثُمَّ تُخْلِيهِ عِنْدَ مَوْتِكَ لِمَنْ يَنْزِلُهُ بَعْدَكَ .

أَخْلَرَ لِمَنْ يَنْزِلُ ذَا الْمَنْزِلِ وَارْحَلَ فَقَدْ آتَى أَنْ تَرَحَّلَ

وَارْحَلْ بِمَا قَدْ كُنْتَ جَمَعْتَهُ وَاَحْمِلْهُ إِنْ حُلِّيتَ أَنْ تُحْمَلَ
هَيْهَاتَ لَا تَخْرُجُ مِنْهُ بِشَيْءٍ فَافْعَلْنَ مَا شِئْتَ أَنْ تَفْعَلَ
وَاقْعُدْ مِنَ الْغَيْضِ إِلَّا فَقُمْ وَاطْلَعْ إِلَى الْكَوَاكِبِ أَوْ فَانْزِلِ
فَلَسْتُ بِالْخَارِجِ إِلَّا بِمَا جِئْتَ فَسَلِّمْ وَبِكَ وَاسْتَنْبِئْ
وَخَلْ هَذَا الْأَمَانِي فَمَا تُثِيرُ إِلَّا شَرًّا مَا يُؤْكَلُ
كَمْ مِنْ فَتَى طَوَّلَ آمَالُهُ فَقَصَّرَتْ دُيَّاهُ مَا طَوَّلَ
فَجَاءَهُ الْمَوْتُ عَلَى غِرَّةٍ فَمَاتَ مِنْ قَبْلِ الَّذِي أُمِّلُ
فِيَا إِلَهِي الَّذِي جُودُهُ قَدْ غَمَرَ الْآخِرَ وَالْأَوَّلُ
رَحْمَاكَ يَا رَحِيمُنْ فِي فَتْنَةٍ لَيْسَ لَهُمْ دُونُكَ مِنْ مُؤْمِلُ
قَدْ حَجَبَتْهَا عَنْكَ آثَامُهَا وَأَنْزَلَتْهَا شَرًّا مَا مَنْزِلُ
وَلَيْسَ إِلَّا عَفْوُكَ الْمُرْتَجَى فَذُلُّهَا مَاذَا الَّذِي تَعْمَلُ

اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ
وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزُّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُغْفِرَ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

مرض أبو الدرداء فقالوا ندعوا لك طبيباً قال الطبيبُ أَمْرَضَنِي . فقال له رَجُلٌ
مِنْ أَصْحَابِهِ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ اشْتَهَيْ أَنْ أَسَامِرُكَ اللَّيْلَةَ « أَيْ أَتَعَلَّلَ مَعَكَ
وَأُوْنِسُكَ .

فقال أبو الدرداءِ أَنْتَ مُعَافَى وَأَنَا مُبْتَلَى فَالْعَافِيَةُ لَا تَدْعُكَ أَنْ تُسَهَّرَ ،

والبلا لَا يَدْعُنِي أَنْ أَنَامُ أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنْ يَهَبَ لِأَهْلِ الْعَافِيَةِ الشُّكْرَ وَلِأَهْلِ الْبَلَاءِ الصَّبْرَ .

وَلَمَّا اشْتَدَّ الْمَرَضُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَاوَزَهُ بِطَيْبٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَرَأَاهُ قَالَ : إِنَّهُ قَدْ سُقِيَ السُّمُّ وَلَا آمَنَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ .

فَرَفَعَ عُمَرُ بَصَرَهُ وَقَالَ لَا يُؤْمَنُ أَيُّضًا الْمَوْتُ عَلَى مَنْ لَمْ يُسَقَّ السُّمُّ فَقَالَ الطَّيِّبُ وَهَلْ أَحْسَسْتِ بِذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ نَعَمْ عَرَفْتُ ذَلِكَ حِينَ وَقَعَ فِي بَطْنِي .

قَالَ تُعَالِجُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَذْهَبَ نَفْسُكَ فَقَالَ عُمَرُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَيْرُ مَذْهُوبٍ إِلَيْهِ وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنْ شِفَائِي عِنْدَ شَحْمَتِ أُذُنِي مَا رَفَعْتُ إِلَيْهِ يَدَيَّ اللَّهُمَّ خَرُّ « أَيُّ اخْتَرْتُ » لِعُمَرَ فِي لِقَائِكَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا أَيَّامًا قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَمَرِضَ الرَّيِّعُ بْنُ خَيْثَمٍ فَقَالُوا لَهُ نَدْعُوا لَكَ طَبِيبًا فَتَفَكَّرَ وَقَالَ أَيْنَ عَادُ وَثَمُودَ وَأَصْحَابُ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا قَدْ كَانَتْ فِيهِ الْأَدْوَى وَالْأَطِبَّاءُ فَلَا أَرَى الْمُدَاوِيَّ وَلَا الْمُدَاوَى كُلَّ قَضَى وَمَضَى وَاللَّهِ لَا أَدْعُو طَبِيبًا أَبَدًا .

ذَهَبَ الْمُدَاوِيَّ وَالْمُدَاوَى وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنْ اشْتَرَاهُ

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ دَخَلْنَا عَلَى مُغِيرَةَ الْخُرَّازِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقُلْنَا لَهُ كَيْفَ تَجِدُكَ فَقَالَ أَجِدُنِي مُوقَرًّا « أَيُّ مُثْقَلًا » بِالْآثَامِ فَقُلْنَا لَهُ فَمَا تَشْتَكِي .

قَالَ الْحَسْرَةُ عَلَى طُولِ الْغَفْلَةِ قُلْنَا لَهُ فَمَا تَشْتَهِي قَالَ الْإِنَابَةَ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ وَالنُّقْلَةَ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ قَالَ فَبَكَى الْقَوْمُ جَمِيعًا .

وَدَخَلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ عَلَى عَطَاءِ السُّلَمِيِّ وَهُوَ مَرِيضٌ فَوَجَدَهُ قَدْ عَلَاهُ

الغبار والصفار فقال يا عطاء لو خرجت إلى صحن الدار فكان يضربك الهواء
فتجد له راحة .

قال يا أبا سعيد وبهذا تأمرني إني لاستحيي من الله عز وجل أن أخطو
خطوة في راحة بدني .

وقال منصور دخلت على عطاء السلمي بعد هذا أعوده وهو مريض فرأيت
يتسّم فعجبت من ذلك فكأنه فهم عني .

فقال أتعجب يا ابن أخي فقلت وكيف لا أعجب فقال وكيف لا أضحك
وقد دنى فراق من كنت أخافه وأحذره .

ودنى قدومي على خالي كنت أرجوه وآمله أتجعل مقامي مع مخلوق
أخافه كقدومي على خالي أرجوه ، قال هذا قبل أن يحضره وينزل به الموت .

وقال أحمد بن أبي الحواري دخلت على أحد المتعبدين وهو مريض
فقلت كيف تجدك ، فقال بحال شريفة أسير كريم حيس جواد مع أغوان
صديق .

والله لو لم يكن لي مما ترون عوضاً إلا ما أودع قلبي من محبته لكنت
خليقاً أن أدوم على الرضى عنه وما الدنيا وما غاية البلاء فيها هل هو إلا ما
ترون من هذه العلة .

ويوشك إن اشتد بي الأمر أن يدخلني إلى سيدي ولنعمه العلة رحلت
بمحب إلى محبوب قد أحزنه طول التخلف عنه .

كانك قد رحلت عن المباني ووارثك الجنادل والصعيد
وناداك الحبيب فلم تجبه وقربك منه في الدنيا بعيد

وَأَصْبَحَ مَالِكُ الْمَجْمُوعُ نَهْباً وَعُطِّلَ بَعْدَكَ الْقَصْرُ الْمَشِيدُ
وَصَارَ بُنُوكَ أَيْتَاماً صِغَاراً وَعَائِقُ عِرْسِكَ الْبَعْلُ الْجَدِيدُ
وَأَكْبَرُ مِنْهُ أَنَّكَ لَسْتَ تَذَرِي شَقِيَّ أَنْتَ وَنَحَكَ أَمْ سَعِيدُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا
بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى
خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرُّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ
عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لِنِعْمَائِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

رُوي أَنَّ مَالِكََ بْنَ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ دَخَلَ عَلَى شَابٍ يَعُودُهُ فَوَجَدَهُ خِيَالاً
عَلَى فِرَاشِهِ كَالشَّنِّ (المعنى يابس عليه جلده من شِدَّةِ المرضِ) .

فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْجَوَابَ بِلِسَانِهِ فَأَشَارَ بِطَرَفِهِ وَإِذَا بِصَوْتِ
الْمَوْذِنِ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمَوْذِنُ وَيُشِيرُ بِأَصْبَعِهِ عِنْدَ الشَّهَادَتَيْنِ ثُمَّ أَمَرَ وَلَدَهُ
فَوَضَاهُ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَى الْقِبْلَةِ لِيُصَلِّيَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بِالْإِيمَاءِ .

ثُمَّ قَالَ يَا مَالِكُ الْبَلَاءُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ رَاحَةٌ مَعَ بَقَاءِ الْإِيمَانِ يَا مَالِكُ نِعْمَةُ لَا
تُعَدُّ وَبَلَاؤُهُ وَاحِدٌ .

قَالَ مَالِكٌ فَتَعَجَّبْتُ مِنْ يَقِينِهِ وَصَبْرِهِ وَصِدْقِ وَفَائِهِ وَخَالِصِ مَحَبَّتِهِ ، فَلَمْ
يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْبَةَ عَدْتُ رَجُلًا مَرِيضًا
فَلَمَّا قَعَدْتُ عَنْده قُلْتُ لَهُ كَيْفَ حَالُكَ فَقَالَ :

خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَامَتْ قِيَامَتِي غَدَاتٍ أَقَلُّ الْحَامِلُونَ جَنَازَتِي

وَعَجَّلْ أَهْلِي حَفَرَ قَبْرِي وَصَيَّرُوا
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا قَطُّ صُورَتِي غَدَاةً أَتَى يَوْمِي عَلَيَّ وَسَاعَتِي

وَيُرَوَّى عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ كُنْتُ آتِي قَبْرَ أَبِي الْمُرَّةَ بَعْدَ الْمُرَّةِ فَشَهِدْتُ
يَوْمًا جَنَازَةً فِي الْمَقْبَرَةِ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا فَتَعَجَّلْتُ بِحَاجَتِي وَلَمْ أَتِهِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ
رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ يَا بُنَيَّ لِمَ لَا تَأْتِينِي فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَتِ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ بِي إِذَا
أَتَيْتُكَ قَالَ أَيُّ وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ وَإِنَّكَ لَتَأْتِينِي فَمَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَطْلُعَ مِنَ
الْقَنْطَرَةِ حَتَّى تَصِلَ إِلَيَّ وَتَقْعُدَ عِنْدِي ثُمَّ تَقُومُ فَلَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَجَاوَزَ
الْقَنْطَرَةَ .

شِعْرًا :

وَلَمَّا حَلَلْنَا مِنْ بَجَايَةِ جَانِبًا
وَجَدْتُ لَهَا طِيبًا وَرَوْحًا وَرَاحَةً
فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا الَّذِي أُمَرَجْتَ لَهُ
فَأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي جَهِلْتُ وَإِنِّي
فَقَالُوا طَلَبْنَا عِلْمَ ذَاكَ فَلَمْ نَجِدْ
تَضَوُّعَ بَطْنِ الْأَرْضِ مِنْهَا كَأَنَّمَا
فَقَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَاكَ وَرُبَّمَا
خَلِيلِي مَا بَالِي وَبَالُ مَصَائِبِ
وَمِمَّا شَجَانِي وَهُوَ أَعْظَمُ أَنِّي
وَلَمْ أَدْرِ مَا كَانَتْ تَحِيَّةُ خَصْمِي
وَأَعْظَمُ مِنْهُ مَوْقِعًا وَأَشَدُّهُ
بَأْنِي فِي تِلْكَ الْمَسَالِكِ سَالِكُ

تُصَانُ بِهِ تِلْكَ الْجُسُومُ وَتُكْرَمُ
كَأَنِّي لِأَنْفَاسِ الصَّبَا أَتَنَسَّمُ
مَقَابِرُ مِنْهَا لَا طِيءٌ وَمُسْتَمُّ
لَأَذْرِي بِذَاكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَأَفْهَمُ
سِوَى رِمَمٍ مِمَّنْ تُحِبُّ وَتُعْظِمُ
تَفْتَقُ مِنْ دَارَيْنِ مِسْكٌ مُخْتَمُّ
تَشْهَرُ بِالذَّمِّ السَّرَارُ الْمُكْتَمُ
يُرَاجُ لِذَاكِرَاهَا فُوَادِي وَيُكَلِّمُ
قَذَفْتُ بِهَا مُسَوْدَةَ الْجَوْفِ تَلْطِمُ
لَهُ هَلْ يُبْشِرِي أَمْ بِشُغَاءٍ تَقْصِمُ
وَمَا نَخْصِنِي أَذْهَى عَلَيَّ وَأَعْظَمُ
أَسَاقُ إِلَيْهَا إِنْ أَيْتُ وَأَرْغَمُ

وَمَا أَنَا أَذِرِي مَا آلَاقِي وَمَا الَّذِي عَلَيْهِ إِذَا مَا كَانَ ذَلِكَ أَقْدَمُ
فَهَلْ مِنْ دَمٍ أَبْكِيهِ صِرْفًا فَإِنَّمَا يُبْكِي عَلَى هَذَا مِنَ الْمُقَلَّةِ الدَّمُ

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّوْءِ فَوْقَ مَا
نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنَا عَنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ
تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا
رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى :

واعلم رحمك الله أَنَّ أَمْرَ الْخَاتِمَةِ وَمَا يُحْذَرُ مِنْ سُوءِهِ أَمْرٌ إِذَا ذُكِرَ حَقِيقَةً
ذِكْرُهُ انْفَطَرَتْ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَصَدَّعَتْ لَهُ الْأَكْبَادُ وَتَقَطَّعَتْ .

ولَوْلَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا حَدَّدَ الْأَجَالَ لَزَهَقَتِ الْأَنْفُسُ عِنْدَ أَوَّلِ ذِكْرِهِ
وَلَكِنَّهَا مَرْبُوبَةٌ مُدَبَّرَةٌ مَقْهُورَةٌ مُصَرَّفَةٌ تُخْرَجُ إِذَا أُذِنَ لَهَا فِي الْخُرُوجِ وَتُلْجُ إِذَا
أُذِنَ لَهَا فِي الْوُلُوجِ .

وما يَمْنَعُ الْقُلُوبَ مِنَ الْإِنْشِقَاقِ وَالْإِنْصِدَاعِ وَالْإِنْقِطَاعِ وَالَّذِي
يَلْقَى الْمُخْتَوِّمَ لَهُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ عَذَابٌ لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لِشِدَّتِهِ وَلَا
آخِرَ لِمُدَّتِهِ .

وَمَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَيَخَافُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُخْتَمُ لَهُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ ، وَمَا الَّذِي

أَمْنُهُ مِنْهُ ، وَالْحَاتِمَةُ مُغَيَّبَةٌ ، وَالْعَاقِبَةُ مَسْتُورَةٌ ، وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ وَالنَّفْسُ كَمَا تَرَى ، وَالشَّيْطَانُ مِنْهَا بِحَيْثُ تَذَرِي .

وهي مُصْنِغِيَّةٌ وَمُسْتِمَعَةٌ إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ فَهِيَ مُلْتَفِتَةٌ نَحْوَ الشَّيْطَانِ وَمُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ .

هِيَ النَّفْسُ إِنْ تَنْظُرْ إِلَى الْحَقِّ نَظْرَةً فَإِنَّ لَهَا فِي غَيْرِهِ تَظَاهِرَاتٍ وَإِنْ تَهَضَّتْ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ تَهْضَةً فَإِنَّ لَهَا عَنْهُ غَدَاً تَهْضَاتٍ إِلَى اللَّهِ أَشْكُوهَا فَبِاللَّهِ حَوْلُهَا وَبِاللَّهِ تَمْضِي فِي الْأُمُورِ وَتَأْتِي

وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ الرَّجُلُ لَيَعْمَلْ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

وَإِنْ الرَّجُلُ لَيَعْمَلْ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » وَأَشَدُّ بَعْضُهُمْ :

قَدْ جَرَّتِ الْأَقْلَامُ فِي ذَا الْوَرَى	بِالْخُتْمِ مِنْ أَمْرِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ
وَحَطَّتِ الشَّيْءَ عَلَى حُكْمِهِ	فِي عِلْمِهِ السَّابِقِ مِنْهُ الْقَدِيمِ
فَمِنْ عَزِيزِ رَأْسِهِ فِي السُّهَى	وَمِنْ ذَلِيلِ وَجْهِهِ فِي التُّخُومِ
وَمِنْ صَحِيحِ شِدَّتِ أَرْكَانِهِ	وَأَخْرُ وَاهِي الْمَبَانِي سَقِيمِ
كُلُّ عَلَى مِنْهَا جِهٍ سَالِكٌ	كُلُّ عَلَى تَقْدِيرِ رَبِّ عَلِيمِ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ كَيْفَ تَقْرُ عَيْنُ عَاقِلٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَكَيْفَ يَسْتَقِرُّ بِهِ فِيهَا قَرَارٌ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ وَتَوَقَّعْ هَذَا الْمَالِ وَاشْتَغَالِ هَذَا الْخَاطِرِ وَتَقْسِمِ هَذَا الْبَالِ .

كَلَّا لَا حُلُولَ لَهُ وَلَا قَرَارَ وَلَا رَبْعَ وَلَا دَارَ وَلَا قَلْبَ إِلَّا مُسْتَطَارَ ، وَلَا نَوْمَ يَنَامُهُ إِلَّا غَرَارَ حَتَّى يَذَرِي أَيْنَ مَسْقُطُ رَأْسِهِ وَمَحْطُ رِجْلِهِ وَمَوْضِعُ رِجْلِهِ ، وَمَا الْمَوْرِدُ وَالْمَنْهَلُ فِي أَيِّ الْمَحَالِّ يَجِلُ فِي أَيِّ الْمَنَازِلِ يَنْزِلُ :

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَذَرِ فِي أَيِّ الْمَكَائِنِ تَنْزِلُ
لَكِنَّ حِجَابُ الْغَفْلَةِ الَّذِي غَطَّى الْقُلُوبَ كَيْفَ فَلَا يُرَى مَا وَرَاءَهُ وَالْوَقْرُ
الَّذِي فِي الْأَذَانِ عَظِيمٌ فَلَا يَسْمَعُ مِنْ نَاصِحٍ دُعَاءُهُ .

روى في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُجَاءُ بِالْمَوْتِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أُمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

فَيَقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرِيْبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا
الْمَوْتُ .

ثم يُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرِيْبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا
الْمَوْتُ فَيَذْبَحُ ثم يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا
مَوْتَ ، ثم قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ
قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

فَانْظُرْ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى عَظِيمِ هَذِهِ الْغَفْلَةِ وَكَثَافَةِ حِجَابِهَا وَكَيْفَ مَنَعَتْ
مِنَ النَّظَرِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَالْفِكْرَةِ فِيهِ وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ .

شِعْرًا :

حَاسِبِ النَّفْسَ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ	وَأَذِقْهَا الْعَذَابَ قَبْلَ الْعَذَابِ
وَأَصِيبْهَا مِنَ الْأَسَى بِشَوَاظِ	يُنْضِجُ اللَّحْمَ قَبْلَ نَضِجِ الْإِهَابِ
وَإِذَا مَا بَكَيتَ يَوْمًا بِسَدَمٍ	فَبِدَمْعٍ مِنَ الْفُؤَادِ مُشَابِ

وَحَذَارِ حَذَارٍ أَنْ تَتَهَنَّا بِطَعَامٍ تَنَالُهُ أَوْ شَرَابٍ
أَوْ مَنَامٍ تَنَامُ بِاللَّيْلِ حَتَّى تَسْتَيْنَ الْمَالَ يَوْمَ الْمَأْتِ

وَقِيلَ يَا ابْنَ آدَمَ الْأَقْلَامُ تَجْرِي وَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ لَا تَدْرِي ، يَا ابْنَ آدَمَ دَعِ
الْمَغَانِي وَالْأَوْطَانَ وَالْمَنَازِلَ وَالْدِيَارَ ، وَالتَّنَافُسَ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، حَتَّى تَرَى مَا
فَعَلْتَ فِي أَمْرِكَ الْأَقْدَارَ ، وَقَدْ بَكَى أُولُو الْأَلْبَابِ عَلَى هَذَا فَأَكْثَرُوا وَاسْتَهَرُّوا مِنْ
أَجْلِهِ اللَّيَالِي الطَّوِيلَةَ وَاسْتَهَرُّوا وَحَاوَلَ عَاذِلُوهُمْ كَفَّهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا
وَكَلَّمُوهُمْ فِي الْأَقْصَارِ فَلَمْ يَقْصُرُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُبْصِرُوا .

وَذَلِكَ لِلْعِلْمِ الَّذِي لَاحَ لَهُمْ وَالتَّائِيْدِ الَّذِي شَمَلَهُمْ وَالتَّوْفِيقِ الَّذِي قَطَعَ
عَنْهُمْ مَا صَدَّهُمْ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَشَغَلَهُمْ وَرُبَّمَا هَبَّتْ عَلَيْهِمْ نَفَحَاتُ
الرَّجَاءِ فَاسْتَبَشَرُوا وَسَكَنُوا مِنْ ذَلِكَ الْهَيْجَانِ وَفَتَرُوا .

ثُمَّ ذَكَرُوا مَا هُمْ مُعَرَّضُونَ لَهُ فَعَاذُوا لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْاجْتِهَادِ ، وَرُبَّمَا
زَادُوا عَلَيْهِ وَأَكْثَرُوا ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُمْ لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَكَثْرَةِ جَزَعِهِمْ
يَظُنُّونَ كُلَّ إِشَارَةٍ إِنَّهَا يُشَارُ بِهَا إِلَيْهِمْ .

كَأَنَّ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ
لَوَاقِعٌ ﴾ قَالَ هَذَا قَسَمٌ حَقٌّ فَظَنَّ أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ وَقَعَ بِهِ فَعُشِيَ عَلَيْهِ .

وَسَمِعَ آخَرَ قَارِئًا يَقْرَأُ : ﴿ تُخَذُّوهُ فَعُلُّوهُ ﴾ أَوْ آيَةً نَحْوَهَا فَعُشِيَ عَلَيْهِ .

وَمَرَّ آخَرُ عَلَى رَجُلٍ يَبِيعُ الْخِيَارَ ، وَيَقُولُ عَشْرَةَ بَدَانِقٍ « الدَّانِقُ سُدُسُ
دِرْهَمٍ » فَعُشِيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ مِمَّ عُشِيَ عَلَيْكَ . فَقَالَ أَوْ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ
الْخِيَارَ الْعَشْرَةَ بَدَانِقٍ ، وَإِذَا كَانَتْ قِيَمَةُ الْخِيَارِ هَذِهِ فَكَمْ تَكُونُ قِيَمَتِي وَقِيَمَةُ
أَمْثَالِي .

ظَنَّ الْمُسْكِينُ أَنَّ الْمُرَادَ خِيَارَ النَّاسِ وَأَفَاضِلُهُمْ فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْمُسْكِينِ لَمْ

يُلْقِ بِآلِهِ إِلَى أَنَّهُ الْخِيَارَ الْمَأْكُولَ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ وَسُوءِ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ .

وِيَحْتَمَاً فَاسْتُلِكَ عَلَى مِنْهَاجِ هَوْلَاءِ الْعُقَلَاءِ ، وَالتَّمَسُّ عَلَى آثَارِ هَوْلَاءِ الْفُضَّلَاءِ ، وَأَدِمَّ حَسْرَتَكَ ، وَأَطْلَ زَفَرَتَكَ ، وَامْرِجْ بِدَمِ الْفُؤَادِ عِبْرَتَكَ ، وَصِلْ الْبُكَاءَ بِالْبُكَاءِ ، وَالْأَسَى بِالْأَسَى حَتَّى تَنْكَشِفَ لَكَ هَذِهِ الْغِشَاوَةُ وَتَنْجَلِيَ عَنْكَ هَذِهِ الْعِمَايَةُ .

بَكَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيَّ لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ فَقِيلَ لَهُ أُبْكَاؤُكَ هَذَا عَلَى الذُّنُوبِ فَأَخَذَ تَبَنَةً مِنَ الْأَرْضِ وَقَالَ الذُّنُوبُ أَهْوَنُ مِنْ هَذِهِ إِنَّمَا أُبْكِي خَوْفَ سُوءِ الْخَاتِمَةِ » لِأَنَّهَا الْأَمْرَ الَّذِي يُبْكِي عَلَيْهِ ، وَيُصَرِّفُ الْإِهْتِمَامَ لَهُ .

وَلِذَلِكَ قِيلَ لَا تَكْفُ دَمْعَكَ حَتَّى تَرَى فِي الْمَعَادِ رَبَّكَ ، وَقِيلَ لَا تَكْحُلْ عَيْنَكَ بَنُومٍ حَتَّى تَرَى حَالَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَقِيلَ لَا تَبْتَ وَأَنْتَ مَسْرُورٌ حَتَّى تَعْلَمَ عَاقِبَةَ الْأُمُورِ .

وَسَمِعَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ رَجُلًا يُنْشِدُ شَطْرَ بَيْتِ شِعْرِ . أَيَا رَاهِبِي نَجْرَانِ مَا فَعَلْتَ هِنْدُ فَبَكَى لَيْلَتَهُ كُلَّهَا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ قِيلَ لَهُ مَا كَانَ شَأْنُكَ الْبَارِحَةَ وَمَا الَّذِي أُبْكَاكَ فَقَالَ : سَمِعْتُ مُنْشِدًا يُنْشِدُ الشَّطْرَ السَّابِقَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَاذَا قُدِّرَ عَلَيَّ وَمَا الَّذِي يَجْرِي عَلَيَّ فَأَنْظِرِ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُنْشِدِ الْبَيْتِ أ . هـ .

وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ النَّاسَ صِنْفَانِ صِنْفٌ مُقَرَّبٌ مُصَانٌ ، وَصِنْفٌ مُبْعَدٌ مُهَانَ ، صِنْفٌ نُصِيبَتْ لَهُ الْأُسْرَةُ وَالْحِجَالُ وَجُمِعَتْ لَهُ الرُّغَائِبُ وَالْأَمَالُ وَالْأَرَائِكُ وَالْكَلالُ .

وَصِنْفٌ أُعِدَّتْ لَهُ الْأَرَاقِمُ وَالصُّلَالُ وَالْمَقَامِغُ وَالْأَغْلَالُ وَضُرُوبُ الْأَهْوَالِ

وَالْأُنْكَالَ وَالسَّلَاسِلَ وَالْغُسْلِينَ وَالزُّقُومَ وَالضَّرِيعَ وَالْحَمِيمَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ مِنْ
أَيِّ الصَّنَفَيْنِ أَنْتَ وَلَا فِي أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ كُتِبْتَ .

وَكَيْفَ بِالنُّومِ عَلَى زَارَةٍ مِنْ أَسَدٍ تَكْشُرُ أَيْبَاهُ
وَأَنْتَ فِي ذَاغِيرٍ مُسْتَعْتَبٍ فِي مَنْزِلٍ قَدْ كَسَرْتَ أَبْوَابَهُ
وَتَلَّمْتَ بِالرُّوعِ حَيْطَانَهُ وَفُرَّقْتَ بِالْخَوْفِ حُجَابَهُ

آخر :

وَالَّذِي أَبْكَى الْجُفُونَ دَمًا فَعَدَّتْ مِنْ ذَلِكَ الدَّمْعَ غُذْرُ
سَابِقٍ لَمْ تَذَرِهِ كَيْفَ جَرَى فِي الْقَضَاءِ الْحَثْمُ فِيهِ وَالْقَدَرُ
وَأُمُورٍ فِي الْوَرَى قَدْ أُخْفِيَتْ عَنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ أَصْحَابِ النَّظَرِ
فَدَعِ الْأَنْفَاسَ فِيهَا صَاعِدَةً وَدُمُوعَ الْعَيْنِ مِنْهَا تَنْحَدِرُ
وَأَبْكَ لَا جَفَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ أَيَّامَ الْغُرُرِ

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ
لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَى وَيَا
مُنْجِيَ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْبِلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا
تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وقال رحمه الله واعلم أنَّ لِسُوءِ الْخَاتِمَةِ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا أَسْبَاباً وَلَهَا طُرُقٌ
وَأَبْوَابٌ أُعْظِمُهَا الْإِقْبَالُ وَالْاِكْتِبَابُ عَلَى الدُّنْيَا ، وَالْإِغْرَاضُ عَنِ الْآخِرَةِ ،
وَالْإِقْدَامُ بِالْمَعْصِيَةِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَقْدِسَ .

وَرُبَّمَا غَلَبَ عَلَى الْإِنْسَانِ ضَرْبٌ مِنَ الْخَطِيئَةِ وَنَوْعٌ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَجَانِبٌ مِنَ الْإِغْرَاضِ عَنِ اللَّهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ ، وَنَصِيبٌ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ ، فَمَلَكَ قَلْبُهُ وَسَبَى عَقْلَهُ ، وَأَطْفَأَ نُورَهُ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ حُجْبَةً .

فَلَمْ تَنْفَعْ فِيهِ تَذَكُّرٌ ، وَلَا تَجَعَّتْ فِيهِ مَوْعِظَةٌ ، فَرُبَّمَا جَاءَ الْمَوْتُ عَلَى ذَلِكَ فَسَمِعَ النِّدَاءَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فَلَمْ يَتَّبِعِ الْمَرَادَ وَلَا عَلِمَ مَا أَرَادَ ، وَإِنْ أَعَادَ عَلَيْهِ وَأَعَادَ .

وَيُرْوَى أَنَّ أَحَدَ رِجَالِ النَّاصِرِ بْنِ عَلْنَّاسِ ، نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ لَهُ : (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَقَالَ النَّاصِرُ يَا مَوْلَايَ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ، فَأَعَادَ ثُمَّ أَصَابَتْهُ غَشِيَّةٌ فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْهَا قَالَ النَّاصِرُ أَمَوْلَايَ ، ثُمَّ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَا فَلَانُ النَّاصِرُ إِنَّمَا يَعْرِفُكَ بِسَيْفِكَ فَالْقَتْلُ ثُمَّ الْقَتْلُ ثُمَّ مَاتَ .

وَقِيلَ لَأَخَرُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَمَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَقَالَ الدَّارُ الْفُلَانِيَّةُ أَصْلَحُوا فِيهَا كَذًا ، وَالْجَنَانُ الْفُلَانِيَّةُ افْعَلُوا فِيهَا كَذًا ، وَقِيلَ لِرَجُلٍ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَجَعَلَ يَقُولُ بِالْفَارِسِيَّةِ دِهْ يَا اَزْدِهْ دَوَاَزْدِهْ تَفْسِيرُ عَشْرَةِ أَحَدٍ عَشَرَ إِثْنَا عَشَرَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْعَمَلِ وَالِدِيَّانِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ وَالْمِيزَانُ .

وَقِيلَ إِنَّ رَجُلًا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَقِيلَ لَهُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : يَا رَبُّ قَائِلَةٌ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مَنَجَابٍ وَهَذَا الْكَلَامُ فِيهِ قِصَّةٌ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ وَاقِفًا عَلَى بَابِ دَارِهِ وَكَانَ بَابُ دَارِهِ يُشَبِّهُ بِابِّ الْحَمَّامِ فَمَرَّتْ إِمْرَأَةٌ لَهَا رَوْثٌ وَمَنْظَرٌ خَلَابٌ وَهِيَ تَسْأَلُ عَنْ طَرِيقِ حَمَامٍ مَنَجَابٍ .

فقال لها هذا حمام منجّاب وأشار إلى داره فدخلت داره ودخل ورأيتها
فلما رأت نفسها معه في داره ، وليست بحمام علمت أنه خدعها فاحتالت
عليه بأن أظهرت له الفرح والبشر باجتماعها معه على تلك الخلوة في تلك
الدار .

وقالت ينبغي أن يكون عندنا ما يطيب به الاجتماع وتقريبه عيوننا وفرح
وقال الساعة آتيك بكل ما تريدن وما تشتهين .

وخرج وتركها في الدار ، وظن أنه أغلق عليها الباب ، ومضى وأتى بما
يصلح لهما ورجع ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها
أثر .

فهام الرجل بها وذهبت بلبه فأكثر الذكر لها والحزن والجزع عليها
وجعل يمشي في الطرّق ويقول :

يا ربّ قائلة يوماً وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجّاب
ومر من عند بيتها وهو ينشد هذا البيت وإذا بها تجاوبه من داخل دارها
وتقول بصوت سميعة :

هلاً جعلت سريعاً إذ ظفرت بها جزراً على الدار أو قفلاً على الباب
إن ينفذ الرزق فالرزاق يخلفه والعرض من أين يا مغرور ينجّاب
فلما سمع ذلك جعل يردد ذلك ومات .

وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فجعل يهدي بالغناء وقال وما ينفعني ما تقول
ولم أدع معصية إلا ركبها ثم مات .

وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فقال وما يغني عني وما أعلم أني صليت لله
صلاة ثم مات ولم يقلها .

وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فقال هو كافر بما تقول ومات .

وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فقال كلما أردت أن أقولها فلساني يمسك عنها .

وقال ابن القيم رحمه الله أخبرني من حضر بعض الشحاذيين عند الموت فجعل يقول لله فليس ، لله فليس فمات .

وأخبرني أحد التجار عن قريب له اختضر وهو عنده فجعلوا يلقيونهُ ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وهو يقول هذه القطعة رخيصة هذا مشترى جيد .

وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبراً والذي يخفى عليهم من أحوال المختضرين أعظم .

وإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله بما يريد من المعاصي .

وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى وعطل لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوط قواه واشتغال قلبه بما هو فيه من ألم النزع .

وجمع الشيطان له كل قوته وهمته وحشده عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه غرضه فإن ذلك آخر العمل .

فأقوى ما يكون عليه الشيطان ذلك الوقت وأضعف ما يكون هو في تلك الحالة « أي حالة نزع الروح » .

فمن ترى يسلم على ذلك فهناك ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ .

فَكَيْفَ يُوَفَّقُ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ مَنْ أَغْفَلَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا .

فَبَعِيدٌ مِنْ قَلْبٍ بَعِيدٍ مِنَ اللَّهِ غَافِلٍ عَنْهُ مُتَعَبِّدٌ هَوَاهُ مُصِيرُهُ لِشَهَوَاتِهِ وَلِسَانُهُ يَابَسٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَجَوَارِحُهُ مُعْطَلَةٌ مِنْ طَاعَتِهِ مُشْتَغَلَةٌ بِمَعْصِيَتِهِ فَبَعِيدٌ أَنْ يُوَفَّقَ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ . انتهى كلامه رحمه الله .

وَنُقِلَ عَنْ شَارِبِ الدِّخَانِ أَنَّهُ كَلِمَا قِيلَ لَهُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ يَتَنُ حَارِ يَتَنُ حَارِ .

وَنُقِلَ عَنْ بَقَالٍ أَنَّهُ كَانَ يُلَقِّنُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَلِمَتِي الشَّهَادَتَيْنِ فَيَقُولُ خَمْسَةَ سِتَّةٍ أَرْبَعَةٍ فَكَانَ مَشْغُولًا بِالْحِسَابِ الَّذِي طَالَ لَهُ الْإِلْفُ فَغَلَبَ عَلَى لِسَانِهِ وَلَمْ يُوَفَّقَ لِلشَّهَادَتَيْنِ .

وَيُخْشَى عَلَى صَاحِبِ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ وَمُتَخِدِي الْآتِ اللَّهِ مِنْ شَطْرِنَجٍ وَأُغْوَادٍ وَأُورَاقٍ لَعِبٍ وَبَكَمَاتٍ وَاصْطُوانَاتٍ وَكُرَّةٍ وَمَذْيَاعٍ وَتَلْفَزِيونَ وَفِيدْيُوَ وَسِينَا وَصُورَ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ .

أَنْ يَكُونَ مَشْغُولًا بِهَا فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ فَيَكُونُ خَتَامُ صَحِيفَتِهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ مِنْ مَا يَأْتِي فِيهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ مِنْ أَغَانِي وَصُورٍ وَتَمْثِيلِيَّاتٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْصِمَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَاعْلَمْ أَنَّ سُوءَ الْخَاتِمَةِ أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ اسْتَقَامَ ظَاهِرُهُ وَصَلَحَ بَاطِنُهُ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ لِمَنْ كَانَ لَهُ فُسَادٌ فِي الْعَقْلِ وَإِصْرَارٌ عَلَى الْكِبَائِرِ وَإِقْدَامٌ عَلَى الْعِظَامِ .

فَرُبَّمَا غَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْزِلَ بِهِ الْمَوْتُ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَيَثْبُ عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِنَابَةِ وَيَأْخُذُهُ الْمَوْتُ قَبْلَ إِصْلَاحِ الطُّورِيَّةِ فَيَحْتَطِفُهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ تِلْكَ الدَّهْشَةِ

وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ثُمَّ الْعِيَاذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِمَنْ كَانَ مُسْتَقِيمًا لَمْ يَتَّعِثْ عَنْ حَالِهِ وَلَمْ
يَخْرُجْ عَنْ سُنَّتِهِ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية
وقد سَمِعْتُ بِقِصَّةِ بِلْعَامِ بْنِ بَاغُورَاءَ وَمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ وَأُطْلِعَهُ عَلَيْهِ مِنْ
بَيْنَاتِهِ « أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ » فَسَلَبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعَ مَا أُعْطَاهُ وَتَرَكَه
مَعَ مَنْ اسْتَمَالَهُ وَأَغْوَاهُ .

شِعْرًا :

إِلَى كَمِذَا التَّمَادِي بِالْدَسَائِسِ وَأَنْتَ بِحِمَاةِ الْبُهْتَانِ غَاطِسٌ
تُسَاعِدُ كُلَّ نَمَامٍ بِإِفْكِ وَتُغْتَالُ الْأَكَارِمَ وَالْأَوَانِسُ
تُسَابِقُ كُلَّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ فِتْنِ الْوَسَاوِسِ
أَضَعْتَ الْعُمَرَ فِي زُورٍ وَوَزِيرٍ وَلَهْوٍ مَعَ ذَوِي الْغَدْرِ الْأَبَالِسِ
فَعَجَّلَ بِالْمَتَابِ لَيْلٍ عَفْوٍ لِتُحْبَى مِنْ جَنَّا مَا أَنْتَ غَارِسُ

اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ
تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَتُقِيمَ عِلْمَ
الْجِهَادِ وَتَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَيُرَوَّى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا مَاتَ قَالَ اللَّهُ جَلْ جَلَالُهُ لَهُ
كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ قَالَ كَسَفُودٍ جُعَلَ فِي النَّارِ ثُمَّ أُدْخِلَ فِي صُوفٍ رَطْبٍ ثُمَّ
جُذِبَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمَّا إِنَّا لَقَدْ هَوَّنَاهُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ .

وَيُرَوَّى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمَّا صَارَتْ رُوحُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَالَ لَهُ
يَا مُوسَى كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ فَقَالَ : وَجَدْتُ نَفْسِي كَالْعُصْفُورِ حِينَ يُلْقَى
فِي الْمَقْلَى لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ وَلَا يَنْجُو فَيَطِيرُ .

وَيُرَوَّى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ وَجَدْتُ نَفْسِي كَشَاةٍ حَيَّةٍ بِيَدِ الْقَصَابِ تُسْلَخُ .
وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ قَالَ لَكُجْبِ الْأَحْبَارِ حَدَّثْنَا عَنْ الْمَوْتِ فَقَالَ نَعَمْ يَا أُمَيْرَ
الْمُؤْمِنِينَ كَعُصْنِ كَثِيرِ الشُّوكِ أُدْخِلَ فِي جَوْفِ رَجُلٍ فَأَخَذَتْ كُلُّ شَوْكَةٍ بِعِرْقٍ
ثُمَّ جَذَبَهُ رَجُلٌ شَدِيدُ الْجَذْبِ فَأَخَذَ مَا أَخَذَ وَأَبْقَى مَا أَبْقَى .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ لِتَشْدِيدِ الْمَوْتِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَائِدَتَانِ أَحَدُهُمَا تَكْمِيلُ
فَضَائِلِهِمْ وَرَفْعُ دَرَجَاتِهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ نَقْصاً وَلَا عَذَاباً بَلْ هُوَ كَمَا جَاءَ أَنَّ أَشَدَّ
النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ .

وَالثَّانِيَةُ أَنَّ تَعْرِفَ الْخَلْقِ مِقْدَارَ أَلَمِ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ بَاطِنٌ وَقَدْ يَطْلُعُ الْإِنْسَانُ
عَلَى بَعْضِ الْمَوْتَى فَلَا يَرَى عَلَيْهِ حَرَكَةً وَلَا قَلَقاً وَيَرَى سُهُولَةَ خُرُوجِ رُوحِهِ
فَيُظَنُّ سُهُولَةَ أَمْرِ الْمَوْتِ وَلَا يَعْرِفُ مَا الْمَيِّتُ فِيهِ .

فَلَمَّا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءُ الصَّادِقُونَ فِي خَبَرِهِمْ شِدَّةَ أَلَمِهِ مَعَ كَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ
تَعَالَى قَطَعَ الْخَلْقُ بِشِدَّةِ الْمَوْتِ الَّذِي يُقَاسِيهِ الْمَيِّتُ مُطْلَقاً لِإِخْبَارِ الصَّادِقِينَ عَنْهُ مَا
تَحَلَّاهُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَهَى .

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِي عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ مَسِّ الْقَرْصَةِ . »

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْمَرَضِ وَالْكَفَارَاتِ وَابْنُ مَيْنِعٍ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ
أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَمْرِ حَقٍّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فِي أَوَّلِ
مَضْجَعِهِ مِنْ مَرَضِهِ نَجَّاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ . »

قُلْتُ بَلَى قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُخَيِّ وَيُثْمِثُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ
وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْبَلَادِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ عَلَى كُلِّ
حَالٍ وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا كَبِيرًا وَجَلَّالُهُ وَقُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ . »

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَمْرَضْتَنِي لِتَقْبُضِ رُوحِي فِي مَرَضِي هَذَا فَاجْعَلْ رُوحِي فِي
أَرْوَاحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى وَأَعِزَّنِي مِنَ النَّارِ كَمَا أَعَزَّتَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى . »

فَإِنْ مِتُّ فِي مَرَضِكَ ذَلِكَ فَإِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَالْجَنَّةِ ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ
اقْتَرَفْتُ ذُنُوبًا تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مَرْفُوعاً « مَنْ قَالَ عِنْدَ
مَوْتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا تَطْعَمُهُ
النَّارُ . »

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
هَلْ أَذْلَكُكُمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ دُعَاءُ يُونس ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

فَأَيُّمَا مُسْلِمٍ دَعَا بِهَا فِي مَرَضٍ مَوْتَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ أُعْطِيَ
أَجْرَ شَهِيدٍ وَإِنْ بَرِيءَ بَرِيءٌ مَغْفُوراً لَهُ .

وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وأخرج سعيد بن منصور عن أم الحسن قالت : كُنْتُ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ فَجَاءَهَا إِنْسَانٌ فَقَالَ فُلَانٌ بِالمَوْتِ .

فَقَالَتْ انْطَلِقْ فَإِذَا رَأَيْتَهُ اخْتَضِرْ فَقُلْ : سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

شِعْرَا :

لَيْتَ شِعْرِي سَاكِنَ الْقَبْرِ الْمَشِيدُ	هَلْ وَجَدْتَ الْيَوْمَ فِيهِ مِنْ مَزِيدُ
وَهَلِ الْبَاطِنُ فِيهِ مِثْلُ مَا	هُوَ فِي الظَّاهِرِ تَزْوِيقًا وَشِيدُ
وَهَلِ الْمَضْجَعُ فِيهِ لَيْنٌ	أَوْ سَعِيرٌ مَالَهَا فِيهِ حُمُودُ
وَهَلِ الْأَرْكَانُ فِيهِ بِالتَّقَى	نِيرَاتٌ أَوْ بِأَعْمَالِكَ السُّودُ
لَيْتَ شِعْرِي سَاكِنَ الْقَبْرِ الْمَشِيدُ	أَشَقِيَّ أَنْتَ فِيهِ أَمْ سَعِيدُ
أَقْرَبُ أَنْتَ مِنْ رَحْمَةٍ مَنْ	وَسِعَ الْعَالَمَ إِحْسَانًا وَجُودُ
أَمْ بَعِيدُ أَنْتَ مِنْهَا فَلَقَدْ	طَرِقتُ دَارَكَ بِالْوَيْلِ الْبَعِيدُ
وَلَقَدْ حَلَّ بِأَرْجَائِكَ مَا	ضَاقَ عَنْهُ كُلُّ مَا فِي ذَا الْوُجُودُ
أَيُّهَا الْغَافِلُ مِثْلِي وَإِلَى	كَمْ تَعَامِي وَتَلَوِي وَتَحِيدُ
أُذُنٌ فَاقْرَأْ فَوْقَ رَأْسِي أُخْرَفَا	خَرَجْتَ وَيَحَكَ مِنْ قَلْبِ عَمِيدُ
صَرَعَتْهُ فِكْرَةٌ صَادِقَةٌ	وَهُمُومٌ كُلَّمَا تَمْضِي تَعُودُ
وَنَدَامَاتٌ لَا يَأْمٍ مَضَتْ	هُوَ مِنْهَا فِي قِيَامٍ وَقُعُودُ
وَعَدَا تَرْجِعُ مِثْلِي فَاتَّعِظْ	بِي وَإِلَّا فَاْمُضِ وَأَعْمَلْ مَا تُرِيدُ
قَدْ نَصَحْنَاكَ فَإِنْ لَمْ تَرَهُ	سِيرَاهُ بَصَرٌ مِنْكَ حَدِيدُ

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلْكِ حَزَبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، واحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

(فَصْل)

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالْمُرُوزِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ يَسْتَحَبُّ إِذَا حُضِرَ
الْمَيِّتُ (أَيَّ حَضَرَهُ الْمَوْتُ) أَنْ يُقْرَأَ عِنْدَهُ سُورَةُ الرَّغْدِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُخَفِّفُ عَنْ
الْمَيِّتِ وَأَنَّهُ أَهْوَنُ لِقَبْضِهِ وَأَيْسَرُ لِشَأْنِهِ .

وَكَانَ يُقَالُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ الْمَيِّتُ بِسَاعَةٍ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ ، وَبَرِّدْ عَلَيْهِ مَضْجَعَهُ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِ قَبْرَهُ ،
وَأَعْطِهِ الرَّاحَةَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْحَقُّهُ بِنَبِيِّهِ .

وَتَوَلَّ نَفْسَهُ ، وَصَعَّدَ رُوحَهُ فِي أَرْوَاحِ الصَّالِحِينَ ، وَأَجْمَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي
دَارِ ثَبَقَى فِيهَا الصِّحَّةُ ، وَيَذْهَبُ عَنَّا فِيهَا النَّصَبُ وَاللُّغُوبُ ، وَيُصَلِّيَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُكْرِرُ ذَلِكَ حَتَّى يُقْبَضَ .

وَعَنْ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَالْمُرُوزِيِّ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ كَانَتْ الْأَنْصَارُ يَقْرَأُونَ عِنْدَ
الْمَيِّتِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ﴾ قَالَ مَخْرَجًا مِنْ شُبُهَاتِ الدُّنْيَا وَمِنْ الْكُرْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَمِنْ مَوَاقِفِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ قَالَ بَلَّغْنَا اللَّهَ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ حَتَّى يَتَرَأَى لَهُ مَلَكَاهُ اللَّذَانِ كَانَا يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ عَمَلَهُ فِي الدُّنْيَا .

فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُمَا بِطَاعَةِ اللَّهِ قَالَ جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا فَرُبَّ مَجْلِسٍ صَدِيقٍ قَدْ أَجْلَسْتَنَاهُ وَعَمِلَ صَالِحًا قَدْ أَحْضَرْتَنَاهُ وَكَلَامٍ حَسَنٍ قَدْ أَسْمَعْتَنَاهُ فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا .

وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُمَا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ رِضَاهُ قَلْبًا عَلَيْهِ الثَّنَاءُ فَقَالَ لَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا .

فَرُبَّ مَجْلِسٍ سَوْءٍ قَدْ أَجْلَسْتَنَاهُ ، وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ قَدْ أَحْضَرْتَنَاهُ ، وَكَلَامٍ قَبِيحٍ قَدْ أَسْمَعْتَنَاهُ .

فَلَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا قَالَ فَذَلِكَ شُخُوصٌ بَصَرِ الْمَيِّتِ إِلَيْهِمَا وَلَا يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا أَبَدًا .

وَأَخْرَجَ عَنْ سَفْيَانَ قَالَ بَلَّغَنِي أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا اخْتُصِرَ قَالَ مَلَكَاهُ اللَّذَانِ كَانَا مَعَهُ يَحْفَظَانِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ أَهْلِهِ دَعُونَا فَلَنُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِنَا بِمَا عَلِمْنَا مِنْهُ .

فَيَقُولَانِ رَحِمَكَ اللَّهُ وَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبٍ خَيْرًا إِنْ كُنْتَ لَسَرِيعًا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ بَطِئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لِمَمَّنْ نَأْمَنُ غَيْبِكَ فَتَنْعَرُجُ فَلَا تَشْغَلُنَا عَنْ الذِّكْرِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ .

وَإِذَا اخْتُصِرَ الْعَبْدُ السُّوءُ قَرَأَ أَهْلُهُ وَضَجُّوا قَامَ الْمَلَكَانِ فَقَالَ دَعُونَا فَلَنُثْنِيَ بِمَا عَلِمْنَا مِنْهُ فَيَقُولَانِ جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبٍ شَرًّا .

إِنْ كُنْتَ بَطِيئاً عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، سَرِيعاً إِلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَمَا كُنَّا نَأْمَنُ غَيْبَكَ ،
ثُمَّ يَعْزُجَانِ إِلَى السَّمَاءِ .

يَا بَاكِياً مِنْ خِيفَةِ الْمَوْتِ	أَصَبْتَ فَارْفَعْ مِنْ مَدَى الصَّوْتِ
وَنَادِ يَا لَهْفِي عَلَى فَسْحَةِ	فِي الْعُمْرِ فَاتَتْ أَيْمًا فَوْتِ
ضِيَعَتِهَا ظَالِمٌ نَفْسِي وَلَمْ	أُصْغِرْ إِلَى مَوْتٍ وَلَا مَيِّتِ
يَا لَيْتَهَا عَادَتْ وَهَيْهَاتَ أَنْ	يَعُودَ مَا قَدْ فَاتَ يَأْلَيْتِ
فَخُلَّ عَنْ هَذِي الْأَمَانِي وَدَعْ	تَحَوُّضَكَ فِي هَاتِ فِي هَيْتِ
وَبَادِرِ الْأَمْرَ فَمَا غَائِبٌ	أُسْرِعْ إِثْنَانًا مِنَ الْمَوْتِ
كَمْ شَأْنٌ يُدَيِّتُنَا لِيَغْنَى بِهِ	مَاتَ وَلَمْ يُفْرَغْ مِنَ الْبَيْتِ

اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ،
وَأْمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ لَنْ يَمْنَعَهُ مِنْكَ مَا نَعِ وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْكَ دَافِعٌ وَإِنْ فِيهِ لَزَجْرًا
لِلْبَيْبِ ، وَشُغْلًا لِلْأَرْيَبِ ، وَمَنْبَهَةً لِلنَّائِمِ وَتَنْشِيطًا لِلْمُسْتَقِظِ .

وَأَنَّهُ لَطَّالِبُ الْمُدْرِكِ ، وَالْمُتَّبِعُ اللَّاحِقُ ، وَالْمُغِيرُ الَّذِي يَبْعَثُ الطَّلِيعَةَ ،
وَيُعَجِّلُ الرَّجْعَةَ ، وَيَسْبِقُ النَّذِيرَ الْعَرِيَانَ ، لَا يَرُدُّهُ بَابُ الْحَدِيدِ الشَّدِيدِ ،
وَلَا يَمْنَعُ عَنْهُ الْبُرْجُ الْعَالِي الْمَشِيدِ ، وَلَا الْجَيْشُ اللَّجِبُ الْعَرْمَرُمُ ، وَلَا الْبَلَدُ
الْبَعِيدُ .

هُوَ الْمَوْتُ مُثَرِّعٌ عِنْدَهُ مِثْلُ مُعْجَمٍ وَقَاصِدٌ نَهْجٌ مِثْلُ آخَرٍ نَاكِبٍ
وَدِرْعُ الْفَتَى فِي حُكْمِهِ دِرْعُ غَادَةٍ وَأَيَّاتُ كِسْرَى مِنْ يُبُوتِ الْعَنَّاكِبِ

قِيلَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ جَالِسًا مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَدَخَلَ دَاخِلًا فَجَعَلَ يَنْظُرُ
إِلَى الرَّجُلِ الْجَالِسِ مَعَ سُلَيْمَانَ وَيُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لِسُلَيْمَانَ يَا نَبِيَّ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الدَّاخِلُ عَلَيْكَ قَالَ مَلِكُ
الْمَوْتِ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيَّ وَيُشَخِّصُ فِيَّ وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ
يُرِيدُنِي قَالَ فَمَا تُرِيدُ .

قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهُ أُرِيدُ أَنْ تَأْمُرَ الرِّيحَ فَتَأْخُذَنِي فَتُلْقِيَنِي فِي أْبْعَدِ جَزَائِرِ الْبَحْرِ فَإِنَّهُ
قَدْ أَطَاشَ عَقْلِي وَأَذْهَبَ لُبِّي وَنَقَضَ كُلَّ عُضْوٍ فِي بَدَنِي .

فَأَوْحَى اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ إِلَى سُلَيْمَانَ أَوْ أَلْقَى فِي نَفْسِ سُلَيْمَانَ أَنْ
يَفْعَلَ ذَلِكَ فَأَمَرَ الرِّيحَ فَأَخَذَتْهُ فَأَلْقَتْهُ حَيْثُ أَرَادَ فَحِينَ اسْتَقَرَّ بِالْأَرْضِ نَزَلَ عَلَيْهِ
مَلِكُ الْمَوْتِ فَقَبَضَ رُوحَهُ .

ثُمَّ رَجَعَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ سُلَيْمَانَ رَأَيْتَكَ تُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيَّ
جَلِيسِي قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْهُ لِأَنِّي أَمَرْتُ بِقَبْضِ رُوحِهِ فِي أْبْعَدِ بِلَادِ الْهِنْدِ
فِي سَاعَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ خَرَجْتُ قِيلَ لِي إِنزِلْ
عَلَيْهِ فَإِنَّهُ بِهَا فَتَزَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ بِهَا فَقَبَضْتُ رُوحَهُ .

وَذَكَرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ جَبَّارًا مِنَ الْجَبَابِرَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَالِسٌ فِي
مَنْزِلِهِ قَدْ خَلَا بِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذْ نَظَرَ إِلَى شَخْصٍ قَدْ دَخَلَ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ .

فَنَارَ إِلَيْهِ فِرْعَاؤًا مُغْضَبًا فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ وَمَنْ أَذْخَلَكَ عَلَيَّ دَارِي فَقَالَ أُمَّا

الذي أَدْخَلَنِي عَلَيْكَ الدارَ فَرُبُّهَا وَأُمَّا أَنَا فَأَنَا الَّذِي لَا يَمْنَعُ مِنِّي الْحِجَابُ وَلَا
أَسْتَأْذِنُ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا أَخَافُ صَوْلَةَ السَّلَاطِينِ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي كُلُّ جَبَّارٍ عِنْدَ
وَلَا شَيْطَانٍ مَرِيدٍ .

قال فَسُقِطَ فِي يَدِ الْجَبَّارِ وَارْتَعَدَ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مُنْكَبًا عَلَى وَجْهِهِ
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ مُتَحِيرًا مُتَذَلِّلًا فَقَالَ لَهُ أَنْتَ إِذَا مَلَكَ الْمَوْتِ قَالَ أَنَا هُوَ قَالَ
فَهَلْ أَنْتَ مُمְهِلِي حَتَّى آخُذَ عَهْدًا .

قال هَيْهَاتَ انْقَطَعَتْ مُدَّتُكَ وَانْقَضَتْ أَنْفَاسُكَ وَنَفَدَتْ سَاعَاتُكَ فَلَيْسَ إِلَيَّ
تَأْخِيرُكَ سَبِيلٌ قَالَ فَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ يَا قَالَ إِلَى عَمَلِكَ الَّذِي قَدَّمْتَهُ وَإِلَى بَيْتِكَ
الَّذِي مَهَّدْتَهُ .

قال فَإِنِّي لَمْ أَقْدِمُ عَمَلًا صَالِحًا وَلَمْ أُمَهِّدْ حَسَنًا . قال فَإِلَى ﴿ لَطَى نَزَاعَةً
لِلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ فَسَقَطَ مَعْشِيًا عَلَيْهِ (يَا لَهَا
مِنْ حَسْرَةٍ يَا لَهَا مِنْ نَدَامَةٍ يَا لَهَا مِنْ عَثْرَةٍ لَا تُقَالُ) ا. هـ .

وَمَاتَ أَحَدُ الشَّجْعَانِ فَجْأَةً بَسْكَتِهِ قَلْبِيَّةً فَأَنْشِدَتْ الْأَنْبِيَاثُ الَّتِي تَلِي فِيهِ ،
فِيهَا عِبْرَةٌ فَتَدَبَّرْهَا :

وَمُجَرَّرُ خَطِيئَةٍ يَوْمَ الْوَعَى	مُنْسَابَةٌ مِنْ خَلْفِهِ كَالْأَرْقَمِ
تَتَضَاعَلُ الْأَبْطَالُ سَاعَةً ذِكْرِهِ	وَتَبَيَّنَتْ مِنْهُ فِي إِبَاءَةٍ ضَيْعَمِ
شَرِسُ الْمَقَادَةِ لَا يَزَالُ رِيئَةً	وَمَتَّى يُحْسُ بِنَارِ حَرْبٍ يُقَدِّمِ
تَقَعُ الْفَرِيسَةُ مِنْهُ فِي قَوْهَاءٍ إِنْ	يُطَرِّخُ بِهَا صُمَّ الْحِجَارَةِ يُخْطَمِ
ضَمَانٌ لِدَمٍ لَا يَقُومُ بِرِيهِ	إِلَّا الْمُرُوقُ فِي الْجُسُومِ مِنَ الدَّمِ
جَاءَتْهُ مِنْ قَبْلِ الْمَنُونِ إِشَارَةٌ	فَهَوَى صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
وَرَمَى بِمُحْكَمِ دِرْعِهِ وَبِرُمَحِهِ	وَأَمْتَدَّ مُلْقَى كَالْبَعِيرِ الْأَعْظَمِ

لا يَسْتَجِيبُ لِصَارِخٍ إِنْ يَدْعُهُ أبدأ ولا يُرْجَى لِخَطْبٍ مُعْظَمٍ
 ذَهَبَتْ بَسَالَتُهُ وَمَرَّ غَرَامُهُ لَمَّا رَأَى خَيْلَ الْمَنِيَّةِ تَرْثِي
 يَا وَيْحَهُ مِنْ فَارِسٍ مَا بَالُهُ ذَهَبَتْ قُرُوسُهُ وَلَمَّا يُكَلِّمُ
 هَذِي يَدَاهُ وَهَذِهِ أَعْضَاؤُهُ مَا مِنْهُ مِنْ عُضْوٍ غَدَا يُسَلِّمُ
 هَيْهَاتَ مَا خَيْلُ الرَّدَى مُحْتَاجَةٌ لِلْمَشْرِفِي وَلَا السُّنَانِ اللَّهْذَمِ
 هِيَ وَيَحْكُمُ أَمْرُ الْإِلَهِ وَحُكْمُهُ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْقَضَاءِ الْمُحْكَمِ
 يَا حَسْرَةً لَوْ كَانَ يُقَدَّرُ قَدْرُهَا وَمُصِيبَةٌ عَظُمَتْ وَلَمَّا تُعْظَمُ
 خَبَّرَ عَلِمْنَا كُلُّنَا بِمَكَانِهِ وَكَأَنَّا فِي حَالِنَا لَمْ نَعْلَمِ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ
 صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وقال رحمه الله واعلم أن الله تبارك وتعالى خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا وَلِلنَّارِ خَلْقًا
 وَهُمْ مَعَ السَّاعَاتِ رَاحِلُونَ وَمَعَ الْأَنْفَاسِ ظَاعِنُونَ إِلَى دَارِ الْبَلَى وَمُعَسِّكِرِ الْمَوْتَى
 وَمُسْتَقَرِّ الْأَرْوَاحِ ، وَكُلُّ مُطْلِعٍ عَلَى مَكَانِهِ الَّذِي سَيَصِيرُ إِلَيْهِ ، وَمُشْرِفٌ عَلَى
 مَنْزِلِهِ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ نَعِيمٌ أَوْ عَذَابٌ ، وَهَكَذَا يَرْحَلُونَ وَيَنْتَقِلُونَ
 إِلَى أَنْ يَفْرَغَ الْعَدْدُ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَيِّتٍ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ لَكِنَّهَا قِيَامَةٌ صُغْرَى ، وَأَمَّا
 الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى فَهِيَ الَّتِي تُعَمُّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ وَتَأْخُذُهُمْ أَخْذَةً وَاحِدَةً بَعْتَةً عَلَى
 غَفْلَةٍ مِنَ الْخَلْقِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَعْتَةٌ ﴾ .

وذكر البخاري عن أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَقُومُ

الساعة حتى تُقْتَلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوَاهُمَا وَاحِدَةٌ ،
وحتى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلٌّ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ،
وحتى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وتكثرُ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبُ الزَّمَانُ ، وتظهرُ الْفِتَنُ ، ويكثرُ
الْهَرَجُ وهو القتل .

وحتى يَكْثُرَ فِيهِمُ الْمَالُ فَيَفِيضُ حَتَّى يَهْمَ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ،
وحتى يَعْرِضُهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي فِيهِ ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ
فِي الْبُيُوتِ ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ .

وحتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ
فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا
خَيْرًا .

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَّبَاعَانِيهِ ، وَلَا
يَطُويَانِيهِ .

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لَقَحْتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ .

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلُوطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ .

وَلَتَقُومَنَّ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتُهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا .

وبعد ما تَمُوتُ الْخَلْقُ يُنْزِلُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مَطَرًا تَنْبُتُ مِنْهُ الْأَجْسَامُ ،
وَتُخَيَّا بِهِ الرُّفَاتُ مِنَ الْعِظَامِ وَتُسْتَعِيدُ فِيهِ لِقَبُولِ الْأَرْوَاحِ عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ
يَنْظُرُونَ ﴾ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾

وقال عَزَّ من قَائِل : ﴿ وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ .

وقال وهو أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

وقال جل وعلا : ﴿ خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتَمَنِي .

أَمَّا تَكْذِيبُهُ أَيَّامِي فَقَوْلُهُ لَا أُعِيدُهُ كَمَا بَدَأْتُهُ وَلَيْسَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ أَوَّلِهِ وَأَمَّا شَتْمُهُ أَيَّامِي فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا اللَّهُ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ .

شِعْرًا :

أَيَا ابْنَ آدَمَ وَالْآلَاءِ سَابِغَةً	وَمُزَنَةَ الْجُودِ لَا تُنْفَكُ عَنْ دِيمِ
هَلْ أَنْتَ ذَاكِرُ مَا أُؤَلِّتُ مِنْ حَسَنِ	وَشَاكِرُ كُلِّ مَا خَوَّلْتُ مِنْ نِعَمِ
بَرَكَ بَارِيٍّ هَذَا الْخَلْقِ مِنْ عَدَمِ	بَحْتِ وَلَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْعَدَمِ
أَنْشَاكَ مِنْ حَمَاءٍ وَلَا حَرَكَ بِهِ	فَجِئْتُ مُنْتَصِبًا تَمْشِي عَلَى قَدَمِ
مُكَمَّلِ الْأَدَوَاتِ آيَةً عَجَبًا	مَوْفَرِ الْعَقْلِ مَنْ حَظَّ وَمِنْ فَهَمِ
تَرَى وَتَسْمَعُ كُلًّا قَدْ حُيِّتَ بِهِ	فَضْلًا وَتَنْطِقُ بِالتَّبْيِينِ وَالْكَلِمِ
هَذَاكَ بِالْعِلْمِ سُبُلَ الصَّبَالِحِينَ لَهُ	وَكُنْتُ مِنْ غَمَرَاتِ الْجَهْلِ فِي ظُلَمِ
مَاذَا عَلَيْكَ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ غَمَرَتْ	كُلَّ الْجِهَاتِ وَلَمْ تُبْرِخْ وَلَمْ تُرِمِ

غَرَاءُ كَالشَّمْسِ قَدْ أَلْقَتْ أَشْعَتَهَا حَتَّى لَيَبْصِرَهَا عَلَيْكَ كُلُّ عَمِي
فَاشْكُرْ وَلَسْتَ مُطِيقًا شُكْرَهَا أَبَدًا وَلَوْ جَهَدْتَ فَسَدَّ وَيكُ والتَّزِمِ
رِزْقٍ وَأَمْنٍ وَإِيمَانٍ وَعَافِيَةٍ مَتَى تَقُومَ بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أُيقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ
وَنَبِّهْنَا لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهِلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْنُتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
وَالْمَعَايِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَيَا اللَّهَ كَمْ مِنْ مُجَرِّرٍ ذَيْلِ إِعْجَابِهِ ، مُتَطَاوِلٍ عَلَى أَصْحَابِهِ ،
مُتَعَاظِمٍ عَلَى أَقْرَانِهِ وَأَثَرِيهِ ، تُجْمَعُ لَهُ الْأُمَانِي وَتُرْتَاخُ لَهُ الْعَوَانِي إِنْ بُصِّرَ
لَا يَسْتَبْصِرُ ، وَإِنْ أُمِرَ لَا يَأْتِمِرُ ، وَإِنْ زُجِرَ لَا يَنْزَجِرُ ، وَيَفْرَحُ ، وَيَمْرَحُ ،
وَيَبْتَئُ مِنْ دُنْيَاهُ مِثْلَ مَا أَصْبَحَ ، قَدْ أَبْدَأَ فِي أَمْرِهِ وَأَعَادَ ، وَأَحْكَمَ غِيَّهُ وَضَلَّالَهُ
فَأَجَادَ وَأَشَادَ مِنْ أَمَلِهِ مَا أَشَادَ .

حَتَّى إِذَا نَالَ مُرَادَهُ أَوْ كَادَ ، صَاخَتْ بِهِ الْمَنِيَّةُ صَيِّحَةَ الْغَضَبَانِ وَصَدَمَتْهُ
صَدَمَةُ اللَّهْفَانِ ، فَهَدَّتْ أَرْكَانَهُ ، وَكَسَرَتْ أَغْصَانَهُ ، وَفَرَّقَتْ أَنْصَارَهُ
وَأَعْوَانَهُ ، فَأَصْبَحَ ، قَدْ بَاعَ النَّفْسَ بِالْذُّونِ وَمَضَى يُعْضُ بَنَانَهُ الْمَغْبُونِ وَلَمْ يُرْخِ
بِنَائِلٍ وَلَا حَصَلَ عَلَى طَائِلٍ .

فَيَا لَيْلِ كَمْ هُنَالِكَ مِنْ مَلِكٍ جَبَّارٍ طَوِيلِ النَّجَادِ رَفِيعِ الْعِمَادِ عَظِيمِ الْأَجْنَادِ
كَثِيرِ الْأُمْدَادِ ، قَدْ مَلَكَ الْبِلَادَ ، وَقَهَرَ الْعِبَادَ ، وَوَصَلَ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا
أَرَادَ .

قَعَدَ وَنَهَضَ وَأَبْرَمَ وَنَقَضَ وَجَعَلَ أَمْرُهُ الْمُفْتَرَضَ ، وَطالَمَا حَرَّقَ وَهَدَمَ
وَكَسَرَ ، وَحَطَّمْ وَزَلْزَلَ وَدَمَدَمَ ، وَاسْتَرْجَمَ فَلَمْ يَرْحَمْ وَمَضَى عَلَى مَا شَاءَ مِنْ
رَأْيِهِ وَصَمَّمَ .

بَنَى الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونِ وَأَكْثَرَ مِنْ مَالِهِ الْمَخْزُونِ وَاسْتَعَدَّ فِي رَأْيِهِ لِمَا قَدْ
يَكُونُ أَوْ لَا يَكُونُ حَتَّى إِذَا اسْتَحْكَمَتْ لَهُ الْأُمُورُ ، وَأَطَالَ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ ،
وَزَخَرَ الْفُلَّ وَالْقُصُورَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ سَاعَدَهُ فِيمَا بَقِيَ مِنْ أَمَلِهِ الْمَقْدُورَ ،
قَلَبَتْ لَهُ الدُّنْيَا ظَهَرَ الْمَجَنِّ وَكَسَتْهُ مِنْ خَطْبِهَا وَمَصَائِبِهَا مَا أَجَنُّ وَأَذْهَلُ
الْفِطْنِ ، وَسَقَتْهُ مِنْ كُرْبِهَا مَا يَسْكِرُ بِهِ وَيُجَنِّ .

نَظَرَتْ بِعَيْنِهَا الشُّوسَاءَ إِلَيْهِ ، وَقَبَضَتْ مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ ، وَأُتَتْ بُنْيَانَهُ مِنْ
قَوَاعِدِهِ فَأَلْقَتْهُ عَلَيْهِ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ هُدِمَ ذَلِكَ الْبُنْيَانُ ، وَسَقَطَ ذَلِكَ الْإِيوَانُ ،
وَتَبَدَّدَتْ تِلْكَ الْمُقَاتِلَةُ وَالْفُرْسَانُ ، وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَأَصْبَحَ كُلُّ
مَا كَانَ كَأَنَّهُ مَا كَانَ .

وَقِيلَ مَلِكٌ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ ، وَلَمْ يَخْصُلْ عَلَى
شَيْءٍ مِمَّا مَلَكَ مِنَ الْبِلَادِ وَلَا مَا أَذْخَرَ مِنَ الْمَالِ وَأَعَدَّ مِنَ الْعَتَادِ إِلَّا عَلَى حَنُوطٍ
وَكَفَنٍ ، وَحُفْرَةٍ ضَيِّقَةٍ الْعَطَنُ يُحْتَبَسُ فِيهَا وَيُزْتَهَنُ ، بِكُلِّ مَا عَمِلَ مِنْ قَبِيحٍ أَوْ
حَسَنٍ .

فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى حَنُوطٍ غَدَاةَ الْبَيْنِ فِي يَحْرِقِ
وغيرَ نَفْخَةِ أَغْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلُّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمَنْطَلِقِ

آخر :

أَبَادَ ذَالْمَوْتَ أَمْلَاكاً وَمَا مَلَكَوْا وَدَارَ مُسْتَعْقِباً عَلَيْهِمُ الْفَلَكَ
رَمَى بِهِمْ حَيْثُ لَا قِيَعَانَ تُمْسِكُهُمْ وَلَا مِرَاراً بِهَا الْمَرْمِيُّ يَمْتَسِكُ

هَوَتْ هَوًى ثَقِيلَ الصَّخْرِ أَثْمُهُمْ فَلَ حَسِيْسَ وَلَا رِكْزَ وَلَا حَرَكَ
 غَدَتْ رُؤْسُهُمُومًا مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَزُلْزَلَتْ بِهِمِ الْأَطْبَاقُ وَالْدَّرَكُ
 يَا بَطْشَةً مِنْ حَكِيمٍ مَا بِهَا مَهْلٌ وَغَضَبَةً مِنْ عَزِيزٍ مَا بِهَا دَرَكُ
 جُرُّوا مِنَ اللَّهِوِ مَلَايَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ حَتَّى إِذَا مَا رَأَوْا نَحِيلَ الرَّدَى بَرَكُوا
 حُطُّوا بِدَارِ الْبَلَى فِي مَنْزِلٍ حَرَجٍ وَلَيَّتَهُمْ وَيَحَهُمُ فِيهِنَّ لَوْ تَرَكُوا
 لَطَالَمَا نَقَضُوا مُلْكَاً وَمَا هَدَمُوا عِزّاً وَمَا هَتَكُوا سِتْراً وَمَا فَتَكُوا
 مَرُّوا وَمَا بَلَّغُوا كُلَّ الَّذِي طَلَبُوا وَلَا قَضَوْا وَطْراً مِنْ كُلِّ مَا تَرَكُوا
 أَضْحَاهُمْ الْيَوْمَ صَرْفُ الدَّهْرِ إِذْ هَلَكُوا كَمَا أَضَلَّهُمْ بِالْأَمْسِ إِذْ مَلَكُوا

اللهم اَنْتَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
 عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ
 نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ
 وَيُقِيمُ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُغْفِرَ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وفي بعض الخطبِ المَرْوِيَّةِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَمَالَ تُطَوَّى وَالْأَعْمَارَ تُفْنَى
 وَالْأَبْدَانُ تَحْتَ التُّرَابِ تَبْلَى وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَاكُضَانِ كَتَرَاكُضِ الْبَرِيدِ ،
 وَيُقَرَّبَانِ كُلُّ بَعِيدٍ وَيُبْلِيَانِ كُلُّ جَدِيدٍ .

وفي ذَلِكَ عِبَادَ اللَّهِ مَا يُلْهِي عَنْ الشَّهَوَاتِ ، وَيُسَلِّي عَنْ اللَّذَاتِ ، وَيُرْغِبُ
 فِي الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ .

وَنَحْطَبُ آخِرُ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ وَعَلَى الْآخِرَةِ

الْبَقَاءُ ، فَلَا فَنَاءَ لِمَا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ ، وَلَا بَقَاءَ لِمَا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ ،
فَلَا يَغُرُّكُمْ شَاهِدُ الدُّنْيَا عَنْ غَائِبِ الْآخِرَةِ ، وَاقْهَرُوا طُولَ الْأَمَلِ بِقِصَرِ
الْأَجَلِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَا تَبْتَ عَلَى غَيْرِ وَصِيَّةٍ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ جِسْمِكَ فِي
صِحَّةٍ ، وَمِنْ عُمُرِكَ فِي فُسْحَةٍ ، فَلَا تَأْمَنُ مِنْ هُجُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَمُفْرِقِ
الْجَمَاعَاتِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ ضَيْفٌ ،
وَمَا لَهُ عَارِيَّةٌ ، فَالضَّيْفُ مُرْتَجِلٌ وَالْعَارِيَّةُ مَرْدُودَةٌ .

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : لَيْسَ لِلدِّينِ مِنْ عِوَضٍ ، وَلَا مِنَ الْإِيمَانِ بَدَلٌ ، وَلَا مِنَ
الْجَسَدِ خَلِيفٌ ، وَمَنْ كَانَتْ مَطِيلَتُهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، فَإِنَّهُ يُسَارُّ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسِرْ .

وَقَالَ آخَرُ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ سِيَهَامَ الْمَوْتِ قَدْ فُوقَتْ إِلَيْكُمْ فَاَنْظُرُوا ، وَجِبَالَةُ
الْأَمَلِ قَدْ نُصِبَتْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَاخْذَرُوا وَفِتْنُ الدُّنْيَا قَدْ أَحَاطَتْ بِكُمْ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ فَاتَّقُوا .

وَلَا تَغْتَرُّوا بِمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ حَسَنِ الْحَالِ فَإِنَّهُ إِلَى زَوَالٍ ، وَمُقِيمُهُ إِلَى
ازْتِحَالٍ ، وَمُمْتَدُّهُ إِلَى ثَقَلُصٍ وَاضْمُخْلَالٍ ، أَمَا تَسْمَعُونَ أَيُّهَا النَّاسُ لِمَا
تَوْعَظُونَ بِهِ ، أَمَا تَعْتَبِرُونَ بِمَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ ، أَمَا تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا عَنْهُ تَزُولُونَ وَفِيمَا
إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ، وَعَلَيْهِ تَقْدُمُونَ .

أَيْنَ مَنْ تَقَدَّمَكُمْ وَكَانَ قَبْلَكُمْ مِمَّنْ أَمَّلَ أَمَلَكُمْ وَسَعَى سَعْيَكُمْ وَعَمِلَ
عَمَلَكُمْ ، أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ وَمَلَأُوا الْخَزَائِنَ وَاسْتَعَدُّوا لِمَا هُوَ عَنْدهُمْ كَائِنٌ ،
أَيْنَ الَّذِينَ غَرَسُوا فِي رَوْضَةِ الْمُلْكِ وَنَظَّمُوا الْأَمَالَ فِي سِلْكِ ، وَهَتَكُوا حُجُبَهَا
أَيُّمَا هَتَكَ وَكَانُوا فِي ظَاهِرِ أَعْمَالِهِمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الزَّمَانِ وَفِي شَكٍّ .

انظر إليهم كيف نضبت تلك المياه وذبلت منهم تلك الشفاه وتكسرت
عند سقوطهم تلك الوجنات وتكلمت تلك الجباه وتغيرت تلك الأحوال
وانكششت الآمال وبقيت شاهدة عليهم تلك الرسوم والأطلال .

رَفَعْتَ عَرْشَكَ فِي الدُّنْيَا وَتَهَتْ بِهِ
وَبِتَّ فِيهَا عَلَى فُرْشٍ مُلَيَّنَةٍ
وَظَلْتَ تَسْعَى لِآمَالٍ وَتَفْرِشُهَا
كَمْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ مَأْسُورٍ رَغْبَتِهِ
يَمْسِي وَيُصْبِحُ فِي جِلْدٍ وَفِي ظَعْنٍ
عَطْشَانَ لِلْمَالِ مُحَمَّاةً جَوَانِحُهُ
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ تَمَّتْ مَطَالِبُهُ
مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ لِلْمَوْتِ بَاطِشَةً
فَقَصَعَتْهُ وَقَدْ كَانَ ذَا جَيْدٍ
فَبَاتَ مُسْتَلَبًا وَبَاتَ وَارِثُهُ
أَمَّا سَمِعْتَ بِأَمْلَاكِ مَضُوءٍ قَدْ
إِنْ دُوِفُوا دَفَعُوا أَوْ زُوِجُوا زَحَمُوا
جَاءَتْهُمْ أَوْ جُنُودُ اللَّهِ غَالِبَةٌ
فَضَعُضَعَتْ جَنَابَاتِ عِزِّهِمْ وَرَمَتْ
لَطَالَمَا أَكَلُوا وَطَالَ مَا شَرَبُوا
مَرُّوا وَلَا أَثَرَ مِنْهُمْ يَدَارِهُمُوا
قَدْ كَانَ لِلْقَوْمِ آمَالٌ مَبْسُوطَةٌ

وَمَا بِهَا لِلْيَبِّ تُرْفَعُ الْعُرُشُ
وَلَوْ عَقَلْتَ لَمَّا لَأَنْتَ لَكَ الْفُرُشُ
وَالْمَوَارِيثُ مَا تَسْعَى وَتَفْتَرِشُ
بِالْحَرَصِ تُلْدَغُ جَنْبَاهُ وَتُنْتَهَشُ
يَضُمُّ هَذَا إِلَى هَذَا وَيَحْتَوِشُ
أَلْقَى عَلَى صَدْرِهِ لِسَانَهُ الْعَطَشُ
وَطَافَ مِنْ حَوْلِهِ أَهْلُوهُ وَاحْتَوَشُوا
نَحْشَنَاءُ لَا دَهْشَ فِيهَا وَلَا رَعَشُ
وَأَجْهَشْتُهُ وَلَمَّا يَدْرِ مَا الْجَهَشُ
وَقَدْ تَعَطَّوْا بِذَلِكَ الْمَالِ وَافْتَرَشُوا
شُمُ الْأَنْوِفِ بِرَوْضِ الْمَلِكِ قَدْ عَرَشُوا
أَوْ غُولِبُوا غَلِبُوا أَوْ بُوطِشُوا بَطِشُوا
كَتَائِبُ لِلْمَنَآيَا كُلُّهَا حَبَشُ
مَنَارُهُمْ بِظُلَامٍ مَا بِهِ غَبَشُ
وَطَالَ مَا رَفَعُوا الْأَجَامَ وَاعْتَرَشُوا
وَلَا حَسِيْسٍ وَلَا رِكَزٍ وَلَا وَقَشُ
فَأَصْبَحُوا قَبْضُوا الْآمَالَ وَانْكَشَمُوا

اللهم يا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَتَبَهَّنَا
لَاغِتَّامِ أَوْقَاتِ الْمُهِلَةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا

انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا من أنواع القبائح والمعائب التي تعلمها
منا ، وامنن علينا يامولانا بتوبة تمحو بها عنا كل ذنب واغفر لنا ولوالدينا وجميع
المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد
وآله وصحبه أجمعين .

(فصل)

دخل أناس على الحسن البصري في اليوم الذي مات فيه ، فقال مرحباً بكم
وأهلاً وحيّاكم الله بالسلام ، وأحلنا وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن
صدقتم وصبرتم فلا يكن حظكم من هذا الأمر أن تسمعوه بهذه الأذان ،
وتخرجوه من هذه الأفواه .

فإن من رأى محمداً ﷺ رآه غدياً ورأى راحاً لم يضع لبنه ولا قصبة على
قصبة ، ولكن رفع له علماً فشمر إليه الوحي الوحي « أي بادروا » والنجا
النجا علام تخرجون .

إرتبتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً رحم الله أمراً جعل العيش عيشاً
واحداً ، فأكل كسرة وليس خلقاً ، ولصق بالأرض واجتهد في العبادة ،
وبكى على الخطيئة ، وفر من العقوبة ، وطلب الرحمة حتى يأتيه أجله وهو
على ذلك .

وقال أبو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة ، وخرج فيها داود
الطائي فتكلم ، فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال أمله ضعف
عمله ، وكل ما هو آت قريب .

واعلم يا أخي أن كل شيء شغلك عن الله فهو عليك مشؤوم واعلم أن

أَهْلُ الْقُبُورِ إِنَّمَا يَنْدُمُونَ عَلَى مَا يَتْرَكُونَ ، وَيَفْرَحُونَ بِمَا يُقَدِّمُونَ فَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْقُبُورِ يَنْدُمُونَ أَهْلُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ يَقْتَتِلُونَ ، وَفِيهِ يَتَنَافَسُونَ وَعَلَيْهِ يَتَزَاحَمُونَ .

وَقَالَ آخِرُ وَبَيْحِ ابْنِ آدَمَ إِنَّ أَمَامَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مَوْتُ كَرِيهُهُ الْمَذَاقِ وَنَارُ أَلِيمَةِ الْعَذَابِ وَجَنَّةُ عَظِيمَةِ الثَّوَابِ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ التَّوَعَّدَةُ خَيْرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَالتَّوَعَّدَةُ الثَّابِتُ وَالتَّانِي وَالرِّفْقُ فِي الْأُمُورِ .

وَكَانَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي مَوْعِظَتِهِ الْمُبَادَرَةَ فَإِنَّمَا هِيَ الْأَنْفَاسُ لَوْ حُبِسَتْ انْقَطَعَتْ عَنْكُمْ الْأَعْمَالُ الَّتِي تَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا نَظَرَ لِنَفْسِهِ وَبَكَى عَلَى ذَنْبِهِ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ يَعْنِي بِالْأَنْفَاسِ آخِرُ خُرُوجِ نَفْسِكَ وَفِرَاقُ أَهْلِكَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ اغْتَنِمِ تَنَفُّسَ الْأَجْلِ وَإِمْكَانَ الْعَمَلِ وَاقْتِطِعْ ذِكْرَ الْمَعَاذِيرِ وَالْعِلَلِ فَإِنَّكَ فِي أَجَلٍ مَحْدُودٍ وَنَفْسٌ مَعْدُودَةٌ وَعُمُرٌ غَيْرُ مَمْدُودٍ .

وَقَالَ آخِرُ إِعْمَلْ عَمَلَ الْمُرْتَجِلِ فَإِنَّ حَادِيَ الْمَوْتِ يَحْدُوكَ لَيَوْمَ لَيْسَ يَعْدُوكَ فَيَطْرَحُكَ فِي حُفْرَةٍ لَا يَخَافُكَ فِيهَا أَحَدٌ وَلَا يَرْجُوكَ .

وَكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا حُلْمٌ وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ وَالْمَوْتُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا وَنَحْنُ فِي أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ وَالسَّلَامُ .

وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ إِلَى أَخٍ لَهُ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي مُحَذِّرُكَ مِنْ دَارِ مُنْقَلَبِكَ إِلَى دَارِ إِقَامَتِكَ وَجَزَاءِ أَعْمَالِكَ فَتَصِيرُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ بَعْدَ ظَهْرِهَا .

فَيَأْتِيكَ مِنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَيُقْعِدَانِكَ فَيَنْتَهِرَانِكَ فَإِنْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَكَ فَلَا فَاقَةَ وَلَا

حَاجَةٌ وَلَا بَأْسَ وَلَا وَخْشَةً وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَأَعَاذَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ يَا أَخِي مِنْ
سُوءِ الْمَصْرَعِ وَضَيْقِ الْمَضْجَعِ .

ثُمَّ تَبْلُغُكَ صَيِّحَةُ النُّشُورِ وَتَفْخَةُ الصُّورِ وَقِيَامُ الْخَلَائِقِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ
وَامْتَلَأَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا وَالسَّمَوَاتُ بِسُكَّانِهَا فَبَاحَتِ الْأَسْرَارُ ، وَسُعَّرَتِ النَّارُ
وَوُضِعَتِ الْمَوَازِينُ وَنُشِرَتِ الدَّوَابُّ ﴿ وَجِيَءٌ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ ﴾ .

فَكَمْ مِنْ مُفْتَضِّحٍ وَمَسْتُورٍ وَمُعَذِّبٍ وَمَرْحُومٍ وَكَمْ مِنْ هَالِكٍ وَنَاجٍ فَيَأْتِيَتْ
شِعْرِي مَا حَالِي وَحَالُكَ يَوْمَئِذٍ فَإِنَّ فِي هَذَا مَا هَدَمَ اللَّذَاتِ وَسَلَّى عَنْ
الشَّهَوَاتِ وَقَصَّرَ مِنَ الْأَمَلِ وَأَيَّقَظَ النَّائِمَ وَثَبَّهَ الْغَافِلَ .

أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى هَذَا الْخَطَرِ الْعَظِيمِ وَأَوْقَعَ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِكَ وَقَلْبِي مَوْقِعَهَا
مِنْ قُلُوبِ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّمَا نَحْنُ لَهُ وَبِهِ وَالسَّلَامُ .

وَأُنْشِدُ بَعْضَهُمْ :

مُرَادُكَ أَنْ يَتِمَّ لَكَ الْمُرَادُ	وَتَرْكُضُ فِي مَطَالِبِكَ الْجِيَادُ
وَتَمْضِي فِي أَوَامِرِكَ اللَّيَالِي	فَلَا يُعْصَى هَوَاكَ وَلَا يَكَادُ
لَقَدْ مَلَكَتْ مُضَلَّاتُ الْأَمَانِي	قِيَادَكَ فَاعْتَدَيْتَ بِهَا تُقَادُ
أَلَمْ تَسْمَعْ بِذِي أَمَلٍ بَعِيدٍ	وَأَمَالِ الْفَتَى مِنْهَا بِعَادُ
رَمَاهُ الْمَوْتُ فَانْقَبَضَتْ إِلَيْهِ	أَمَانِيهِ بِشَيْءٍ لَا يُرَادُ
وَيَلْقَاهُ بِإِثْرِ الْمَوْتِ يَوْمٌ	تَمِيدُ لِهَوْلِهِ السَّبْعُ الشُّدَادُ
تُصَمُّ لَوْقِعِهِ الْأَذَانُ صَمًّا	وَيَنْطِقُ مِنْ زَلَازِلِهِ الْجَمَادُ
فَكَمْ سَأَلَتْ هُنَالِكَ مِنْ دُمُوعٍ	يُغَيِّرُهُنَّ مِنْ دَمِهِ الْفُؤَادُ
وَكَمْ شَاهَتْ هُنَالِكَ مِنْ وُجُوهٍ	عَلَى صَفَحَاتِهَا طُلِي الْجَدَادُ

وَمَاذَا الْكَرْبُ يُشْبِهُ مَا عَهِدْنَا وَأَنْتَى يُشْبِهُ الْبَحْرَ الثَّمَادُ
وَمَا الْأَسْمَاءُ تُعْطِيكَ أَتَّفَاقاً عَلَى مَعْنَى يَتِمُّ لَكَ الْمُرَادُ
وَلَكِنْ رُبَّمَا كَانَ اشْتِبَاهُ قَلِيْلٌ لَا يُحَسُّ وَلَا يَكَادُ
يُسَمَّى الْبَحْرُ ذُو الْأَهْوَالِ بَحْراً وَبَحْراً مِثْلُهُ الْفَرَسُ الْجَوَادُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ
الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ خَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

قال عُمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وَيْلٌ لِمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَمْلَهُ ،
وَالْخَطَايَا عَمَلَهُ ، عَظِيمٌ بِطْنَتِهِ ، قَلِيلٌ فِطْنَتِهِ ، عَالِمٌ بِأَمْرِ دُنْيَاهُ ، جَاهِلٌ بِأَمْرِ
آخِرَتِهِ .

وقال العلاء بن زياد لِيُنْزَلَ أَحَدُكُمْ نَفْسُهُ أَنَّهُ قَدْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَأَنَّهُ اسْتَقَالَ
رَبَّهُ فَأَقَالَهُ فَلْيَعْمَلْ بِطَاعَةِ اللَّهِ .

وقال آخرُ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ مَالِهِ وَلَا يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ
عُمُرِهِ .

تُفَكِّرُ فِي نُقْصَانِ مَالِكَ دَائِماً وَتَغْفُلُ عَنْ نُقْصَانِ دِينِكَ وَالْعُمُرِ
وقال آخرُ :

تَرَاهُ يَشْفَقُ مِنْ تَضْيِيعِ ذَرْهَمِهِ وَلَيْسَ يَشْفَقُ مِنْ دِينِ يَضْيِيعُهُ

وقال آخر :

مَالِي أَرَى النَّاسَ وَالْدُنْيَا مُؤَلَّيَّةٌ وَكُلُّ جَمْعٍ عَلَيْهَا سَوْفَ يَنْبَثِرُ
لَا يَشْعُرُونَ إِذَا مَا دِيْنُهُمْ نُقِصُوا يَوْمًا وَإِنْ تُقِصَتْ دُنْيَاهُمْوَا شَعِرُوا

وقال بعضهم أيها الناس إنَّ لكم معالماً تستبِقون إليها ، وأنَّ لكم مَوَارِدَ
تردُّونَ عليها ، وإنَّ الجديدين يسيرانَ بِكُمْ وإنَّ لم تسيروا ، ويسرعانَ بِكُمْ وإنَّ
لم تسرعوا ، وإنَّ قصاراكم الموتُ وإنَّ بعد الأمد .

فَرَحِمَ اللهُ إِمْرَأً أَضْمَرَ نَفْسَهُ لِلْسَّبَاقِ ، وَسَاقَهَا إِلَى الْغَايَةِ أَشَدَّ مَسَاقٍ وَاسْتَعَدَّ
لِلْمَوْتِ قَبْلَ هُجُومِهِ وَأَخَذَ حِذْرَهُ مِنْهُ قَبْلَ قُدُومِهِ وَأَنْفَدَ دُمُوعَهُ عَلَى الْأَوْقَاتِ
الَّتِي أَضَاعَهَا قَبْلَ أَنْ تَزَلَ بِهِ الْقَدَمُ وَيُؤْخَذَ بِمَا عِلْمٌ وَبِمَا لَمْ يَعْلَمْ .

وقال بعض الحكماء السَّعِيدُ مَنْ صَرَفَ اللهُ أَمَلَهُ إِلَى مَا يَبْقَى وَقَطَعَهُ عَمَّا
يَفْنَى وَأَعَانَهُ فِي دَارِ الْفَنَاءِ عَلَى عِمَارَةِ دَارِ الْبَقَاءِ .

والويل الطَّوِيلُ وَالْحَسْرَةُ الَّتِي لَا تُزُولُ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسَّنةِ وَلَمْ
يَنْتَهَى نَفْسُهُ عَنِ الْهَوَى .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام عَجِبْتُ لثَلَاثَةٍ لِغَافِلٍ وَلَيْسَ بِمَغْفُورٍ عَنْهُ
وَمُؤَمِّلٍ دُنْيَاهُ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَبَانٍ قَصْرًا وَالْقَبْرُ مَسْكَنُهُ .

رُوي أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ فَرَأَاهُ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ
مِنْ كَثْرَةِ الْعِبَادَةِ وَالْخَوْفِ وَاسْتَحَالَتْ صِفَتُهُ فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ تَغْيِيرِ لَوْنِهِ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا ابْنَ أَخِي وَمَا يُعْجِبُكَ مِنِّي فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ دُخُولِ
قَبْرِي بِثَلَاثِ لَيَالٍ وَقَدْ خَرَجَتِ الْحَدَقَتَانِ فَسَالَتَا عَلَى الْحَدَّيْنِ وَتَقَلَّصَتِ الشُّفَّتَانِ
عَنِ الْأَسْنَانِ وَخَرَجَ الصِّدِيدُ وَالْدُّودُ مِنَ الْمَنَاخِرِ وَالْفَمُ وَانْتَفَخَ الْبَطْنُ فَعَلَى الصِّدْرِ
وَخَرَجَ الصُّلْبُ عَنِ الدُّبْرِ لَرَأَيْتَ إِذْ ذَاكَ مِنِّي أَعْجَبَ مَا رَأَيْتَ الْآنَ .

وأعلم رحمة الله وإياك وجميع المسلمين أنه من تصوّر هذا وأقام هذا الخيال
نصب عينيه وتفكّر في الميّت وما يؤوّل ويرجع إليه .

ثم نظر فيما يقدّم عليه وعلم أن جسمه الناعم الغضّ وبدنه اللين المتعافي
سيطرّح ويذّب في حفرة ضيقة الجوانب تقطّع فيها أوصاله وتغيّر فيها أحواله
ثم يتبيّن له بعد ذلك مآله ويطلب بعد ذلك بكل ما عمله وقاله لم يشتغل بميّت
باله ولم يترك إلا على نفسه وأنشدوا في ذلك :

لِمَنْ جَدْتُ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي	وَأَرْسَلْ فِي شَجْوِ الْهُمُومِ عِنَانِي
سَفَكْتُ عَلَيْهِ أَذْمُعِي فَسَقَيْتُهُ	كَمَا هُوَ مِنْ كَأْسِ الشُّجُونِ سَقَانِي
وَقَفْتُ بِهِ حَيْرَانَ وَقَفَّةَ هَائِمٍ	أَعَالِجُ قَلْبًا دَائِمَ الْحَفَقَانِ
وَمَا بِي مَنْ فِي الْقَبْرِ لَكِنْ رَأَيْتُهُ	عَلَى حَالَةٍ فِيهَا وَشِيكَ أَرَانِي
آخر :	

لِمَنْ الْأَقْبَرُ فِي تِلْكَ الرَّبِّي	مَلَأْتُ صَدْرِي شَجْوًا وَأَسَى
لِمَنْ الْأَوْجُهُ فِيهَا كَسَفْتُ	بَعْدَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ وَضِيَا
لِمَنْ الْأَجْسَامُ فِيهَا بَلَيْتُ	بَعْدَ زَهْوٍ وَشَبَابٍ وَانْتِشَا
وَمِنْ الْفُرْسَانُ فِيهَا قَدْ نَسُوا	رَوْعَةَ الْحَرْبِ بِرَوْعَاتِ الثَّرَا
وَرَمَوْا إِذْ هَتَفَ الْمَوْتُ بِهِمْ	بِسُيُوفِ الْهِنْدِ رَوْعًا وَالْقَنَا
وَمَنْ الْخُرْدُ فِيهَا شَدَّمَا	فَتَكَّتْ قَبْلَ آسَادِ الشُّرَا
نَظَرَ الْمَوْتُ إِلَيْهَا فَغَدَتْ	تَنْفُرُ الْأَنْفُسُ مِنْهَا إِذْ تُرَى
لِمَنْ الْأَقْبَرُ فِي تِلْكَ الرَّبِّي	أَلْبَسَتْ جِسْمِي أَثْوَابَ الضَّنَا
يَا جُفُونَا أَرْسَلْتَ أَذْمُعَهَا	مَا بِذَا بَأْسٌ لَوْ أَرْسَلْتَ الدِّمَا
صَاحِ يَا صَاحِ وَنِيرَانُ الْجَوَى	عَلِقْتُ مِنِّي بِأَنْثَاءِ الْحَشَا
لَا تَظُنُّ بُكَائِي لَهُمُوا	لَيْسَ وَاللَّهِ لَهُمْ هَذَا الْبُكََا

إِنَّمَا أَبْكِي لِنَفْسِي لَا لَهُمْ هَامِدُ الْجَمْرَةِ مَوْهُونُ الْقُوى
 رَبِّ يَا رَبِّ وَيَا رَبَّ الْوَرَى كَفَرَ الْإِحْسَانَ قَدْماً وَبَعَى
 مَا تَرَى فِي أَمْرِهِ يَا مَنْ تَرَى لَيْسَ إِلَّا عَفْوُكَ الْمَرْجُو أَوْ
 وَعِيَاذاً بِكَ يَا مَوْلَايَ أَنْ وَإِذَا أَسْلَمْتَهُ رَبِّ فَمَنْ
 فَكَأَنِّي الْيَوْمَ فِيهِمْ أَوْ غَدَا دَائِمُ الْحَسْرَةِ مَقْطُوعِ الْعُرَى
 مَا تَرَى فِي عَبْدٍ سُوءٍ مَا تَرَى وَطَعَى ثُمَّ طَعَى ثُمَّ طَعَى
 كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ رَبُّ لَا يُرَى دَفْعَةً تُنْزِلُهُ قَعَرَ لَطْفِي
 يَلْتَوِي فِي يَدِهِ حَبْلُ الرَّجَا يَقْصُدُ الْيَوْمَ لَهُ أَوْ يُرْتَجَى

اللهم اغفر لنا ما قَطَعَ قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكَ وَاغْفِرْ عَنْ تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ
 وَشُكْرِكَ وَأَدْمِ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوراً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَاسْئَلْكَ بِنَا
 سَبِيلَ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ واقْطَعْ عَنَّا كُلَّ مَا يُبْعِدُنَا عَنْ سَبِيلِكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرُهُ
 لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَحَقِّقْ بِكَرَمِكَ قَصْدَنَا
 وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
 وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

اعْلَمْ وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ تَقْصِيرَ الْأَمَلِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْعَقْلِ
 فَسَبِيلُ الْعَاقِلِ تَقْصِيرُ آمَالِهِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا بِصَالِحِ
 الْأَعْمَالِ .

وَمَعْنَى تَقْصِيرِ الْأَمَلِ اسْتِشْعَارُ قُرْبِ الْمَوْتِ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ قَصَرَ الْأَمَلِ
 سَبَبٌ لِلزُّهْدِ لِأَنَّ مَنْ قَصَرَ أَمَلُهُ زَهَدَ ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ الْكَسَلُ عَنْ

الطاعة والتسوية بالتوبة والرجبة في الدنيا والنسيان للآخرة والتساهل بتأخير
قضاء الديون والقسوة في القلب .

وقيل من قصر أمله قل همته وتور قلبه .

لأنه إذا استحضرت الموت اجتهد في الطاعة ورضى بالقليل وقال ابن الجوزي
الأمل مذموم إلا للعلماء فلولاً ما جعل الله فيهم من الأمل لَمَا أَلْفُوا
ولا صَنَّفُوا .

وفي الأمل سر لطيف جعله الله لولاه لَمَا تَهَنَّا أَحَدٌ بِعَيْشٍ ولا طَابَتْ نَفْسُهُ
أَنْ يَشْرَعَ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا . قال عليه السلام إنما الأمل رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِأُمَّتِي
ولولا الأمل ما أَرْضَعَتْ أُمٌّ وَلَدَهَا ولا غَرَسَ غَارِسٌ شَجَرًا . رواه الخطيب .

عن أنس رضي الله عنه والمذموم من الأمل الاسترسال فيه وعدم
الاستعداد لِأَمْرِ الْآخِرَةِ فمن سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ لم يُكَلِّفْ بِإِزَالَتِهِ .

وَوَرَدَ فِي ذِمِّ الْإِسْتِرْسَالِ فِي الْأَمَلِ حَدِيثُ أَنَسٍ رَفَعَهُ أَرْبَعَةَ مِنْ الشُّقَاءِ
جَمُودُ الْعَيْنِ وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ وَطُولُ الْأَمَلِ وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا . رواه البزار .

وروى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « أخوف ما أخاف
عليكم إثنان طول الأمل واتباع الهوى فَإِنَّ طُولَ الْأَمَلِ يَنْسِي الْآخِرَةَ وَاتِّبَاعُ
الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ » .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : « صَلَاحُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ ،
وَهَلَاكُ آخِرِهَا بِالْبُخْلِ وَطُولِ الْأَمَلِ » وقيل ان طُولَ الْأَمَلِ حِجَابٌ عَلَى
الْقَلْبِ يَمْنَعُهُ مِنْ رُؤْيَا قُرْبِ الْمَوْتِ وَمُشَاهَدَتِهِ وَوَقْرٌ فِي الْأُذُنِ يَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ
وَجِبَتِهِ وَدَوِيِّ وَقَعَتِهِ وَبِقَدْرِ مَا يُرْفَعُ لَكَ مِنَ الْحِجَابِ تَرَى وَبِقَدْرِ مَا تُخَفَّفُ
عَنْ أُذُنِكَ مِنَ الْوَقْرِ تَسْتَمِعُ .

فَانْظُرْ رَحْمَكَ اللَّهُ نَظَرَ مَنْ رُفِعَ عَنْهُ الْحِجَابُ وَفُتِحَ لَهُ الْبَابُ وَاسْتَمِعَ
سَمَاعَ مَنْ أُرِيْلَ وَقُرْهُ وَخُوطِبَ سِرُّهُ وَبَادِرَ قَبْلَ أَنْ يُبَادَرَ بِكَ وَيُنْزَلَ عَلَيْكَ
وَيَنْفُذَ حُكْمُ اللَّهِ فِيكَ فَتَطْوَى صَحِيفَةُ عَمَلِكَ وَيُخْتَمَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ .

ويقال لك اجن ما غرسْتَ واحصد ما زرعتَ واقرا كتابك الذي كتبت
كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبربك تبارك وتعالى رقيباً ، واعلم أن الأمل
يُكْسِلُ عن العمل ويورث التراخي والتواني ، ويعقبه التشاغل والتفاعس ،
ويُخِلِدُ إلى الأرض ويميل إلى الهوى .

وهذا أمرٌ قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ، ولا يطالب صاحبه
ببرهان ، كما أن قصر الأمل يبعث على الجِدِّ والاجتهاد في العمل ، وينحمل
على المبادرة ، ويحث على المسابقة قال :

وسأضرب لك في ذلك مثلاً ، مثل ملك من الملوك كتب إلى رجل يقول
له إفعل كذا وكذا ، وانظر في كذا وكذا ، وأصلح كذا وكذا ، وانتظر
رسولي فلاناً فإني سأبعثه إليك ليأثيني بك .

وإياك ثم إياك أن يأتيك إلا وقد فرغت من أشغالك وتخلصت من
أعمالك ، ونظرت في زادك ، وأخذت ما تحتاج إليه في سفرك .

وإلا أحللت بك عِقَابِي وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ سَخِطِي ، وأمرته يَأْثِنِي بِكَ مَعْلُوءَةً
يَدَاكَ مُقَيَّدَةً رِجْلَاكَ ، مُشْمِتاً بِكَ أَعْدَاكَ ، مَسْخُوباً عَلَى وَجْهِكَ إِلَى دَارِ
خِزْيٍ وَهَوَانٍ وَمَا أَعْدَدْتُهُ لِمَنْ عَصَانِي .

وإن وجدك قد فرغت من أعمالك وقضيت جميع أشغالك أتى بك
مُكْرَماً مَرْفَعاً مَرْفَهاً إِلَى دَارِ رِضْوَانِي وَكَرَامَتِي وَمَا أَعْدَدْتُهُ لِمَنْ امْتَثَلَ أَمْرِي
وَعَمِلَ بِطَاعَتِي .

وَاحْذَرُ أَنْ يَخْذَعَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ عَنْ امْتِثَالِ أَمْرِي وَالِاسْتِغَالِ بَعْمَلِي ،
وَكَتَبَ إِلَى رَجُلٍ آخَرَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْكِتَابِ .

فَأَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ فَقَالَ هَذَا كِتَابُ الْمَلِكِ يَا أَمْرُنِي فِيهِ بَكَذَا وَكَذَا ، وَذَكَرَ
لِي أَنَّ رَسُولَهُ يَأْتِينِي لِيَحْمِلَنِي إِلَيْهِ وَأَنَا لَا أَمْضِي إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِينِي رَسُولُهُ ، وَلَعَلَّ
رَسُولَهُ لَا يَأْتِينِي إِلَّا إِلَى خَمْسِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ فَأَنَا عَلَى مُهَلَّةٍ .

وَسَأَنْظُرُ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ ، وَلَمْ يَقَعْ الْكِتَابُ مِنْهُ بِذَلِكَ الْمَوْقِعِ ، وَلَمْ يُنْزِلْهُ مِنْ
نَفْسِهِ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ ، وَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَى كِتَابُهُ إِلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ بِمِثْلِ مَا أَتَانِي ، وَلَمْ
يَأْتِهِمْ رَسُولُهُ إِلَّا بَعْدَ السِّنِينَ الْكَثِيرَةِ ، وَالْمُدَدِ الطَّوِيلَةِ ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

وَلَعَلَّ رَسُولَهُ يَتَأَخَّرُ عَنِّي كَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمْ ، وَجَعَلَ الْغَالِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ
الرَّسُولَ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا إِلَى خَمْسِينَ سَنَةً كَمَا ظَنُّ ، أَوْ أَكْثَرَ أَوْ إِلَى الْمُدَّةِ الَّتِي جَعَلَ
لِنَفْسِهِ بِزَعْمِهِ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى اشْغَالِ نَفْسِهِ بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمِمَّا كَانَ غَيِّباً عَنْهُ وَتَرَكَ أَوْامِرَ
الْمَلِكِ وَالشُّغْلَ الَّذِي كَلَّفَهُ النَّظَرَ فِيهَا وَالِاسْتِغَالِ بِهِ .

فَكَلَّمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ قَالَ أَنَا مَشْغُولٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَسَأَنْظُرُ فِي السَّنَةِ
الْمُقْبِلَةِ وَالْمَسَافَةِ أَمَامِي طَوِيلَةً وَالْمُهْلَ بَعِيدَ .

وَهَكَذَا كُلَّمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ قَالَ أَنَا مَشْغُولٌ ، وَسَأَنْظُرُ فِي الْآخِرَى أَوْ
سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَسْوِيفِهِ ، وَاعْتِرَافِهِ ، إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ
الْمَلِكِ فَكَسَرَ بَابَهُ وَهَتَكَ حِجَابَهُ وَحَصَلَ مَعَهُ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ .

وَقَالَ لَهُ أَجِبِ الْمَلِكَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُهُ يَا أَمْرُنِي فِيهِ بِأَعْمَالِ
أَعْمَلَهَا وَأَشْغَالِ أَنْظُرْ لَهُ فِيهَا ، وَمَا قَضَيْتُ مِنْهَا شُغْلًا ، وَلَا عَمِلْتُ فِيهَا حَتَّى
الآنَ شَيْئًا .

فقال الرسول لَهُ وَيْلَكَ وَمَا الَّذِي أَبْطَأَكَ عَنْهَا وَمَا الَّذِي حَبَسَكَ عَنْ
الاشتغال بها والنظر فيها . فقال لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّكَ تَأْتِينِي فِي هَذَا الْوَقْتِ .
فقال له : وَيْلَكَ وَمِنْ أَيْنَ كَانَ لَكَ هَذَا الظَّنُّ وَمَنْ أَخْبَرَكَ بِهِ وَمَنْ أَعْلَمَكَ
بَأَنِّي لَا آتِيكَ إِلَّا فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَظُنُّ . قال ظَنَنْتُ وَطَمِعْتُ وَسَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي وَخَدَعَنِي الشَّيْطَانُ وَغَرَّنِي .

فقال لَهُ أَلَمْ يُحَذِّرِكَ الْمَلِكُ فِي كِتَابِهِ مِنْهُمَا وَأَمَرَكَ أَلَّا تَسْمَعَ لَهُمَا قَالَ بَلَى
وَاللَّهِ لَقَدْ فَعَلْتُ وَلَقَدْ جَاءَنِي هَذَا فِي كِتَابِهِ وَلَكِنِّي خَدَعْتُ فَأَخَدَعْتُ وَفُتِنْتُ
فَافْتِنْتُ وَارْتَبْتُ فِي وَقْتٍ مَجِيئِكَ فَتَرَبَّصْتُ .

فقال له وَيْلَكَ غَرَّكَ الْعُرُورُ وَخَدَعَكَ الْمُخَادِعُ أَجِبَ الْمَلِكُ لَا أُمُّ لَكَ ،
قال أَنَشُدْكَ إِلَّا مَا تَرَكَتَنِي حَتَّى أَنْظُرَ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ ، أَوْفِي بَعْضِهِ أَوْ فِيمَا تَيْسَّرُ
مِنْهُ حَتَّى لَا أَقْدِمَ عَلَيْهِ فِي جُمْلَةِ الْمُفْرِطِينَ وَعِصَايَةِ الْمُقْصِرِينَ .

وهذا مال قد كُنْتُ جَمَعْتُهُ لِنَفْسِي ، وَأَعَدَدْتُهُ لِمُؤُونَةِ زَمَانِي ، فَاتَّرَكْنِي
حَتَّى آخُذَ مِنْهُ زَادًا أَتَزَوَّدُهُ وَدَابَّةً أَرْكَبُهَا ، فَإِنَّ الطَّرِيقَ شَاقَّةٌ ، وَالْمَفَازَةَ صَعْبَةٌ ،
وَالْعَقَبَةَ كَوُودٌ ، وَالْمَنْزِلَ لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ .

قال أَتْرُكُكَ حَتَّى أَكُونَ عَاصِيًا مِثْلَكَ ثُمَّ دَفَعَهُ دَفْعَةً أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ جَمَعَ
يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وَأَنْطَلَقَ بِهِ يَجْرُهُ مِنْ خَلْفِهِ نَحْرَيَانِ نَدْمَانِ جَوْعَانِ عَطْشَانِ ، وَهُوَ
يُنْشِدُ بِلِسَانِ الْحَالِ :

لَا كَحُزْنِي إِذَا لَقِيتُ حَزِينًا	جَلَّ حَطْبِي فَدَيْتُكُمْ أَنْ يَهُونَا
ضَاقَ صَدْرِي عَنْ بَعْضِهِ وَاحْتِمَالِي	فَاسْلُكُوا بِي حَيْثُ أَلْقَى الْمَنُونَا
مَا تُرِيدُ الْعُدَاةُ مِنِّي وَإِنِّي	لِبَحَالٍ يَرِقُ لِي الْمَبْغِضُونَا
زَفَرَاتٍ هَتَكُنَّ حُجَبَ فَوَادِي	وَهُمُومٌ قَطَعْنَ مِنِّي الْوَتِينَا
نُحْنُ عَهْدَ الْمَلِكِ قَوْلًا وَفِعْلًا	وَاتَّخَذْتُ الْخِلَافَ شَرْعًا وَدِينًا

غَرَسَتْ فِي الْحَيَاةِ كَفِي شَرًّا فَاجْتَنَيْتُ الْعِقَابَ مِنْهُ فُؤُونَا
 لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ وَأَيْنَ لِمِثْلِي ظَالِمٌ نَفْسُهُ بَأْسٌ لَا يَكُونَا
 يَا خَلِيلِي وَلَا خَلِيلَ لِي الْيَوْمَ مَ سِوَى حَسْرَةٍ تُدِيمُ الْأَيْنَا
 رَبَّحَ الرَّابِحُونَ وَانْقَضَتِ السُّورُ قُ وَخَلَى بِغَيْبِهِ الْمَغْبُورَا .
 فَاذْكُرْنِي إِنْ يَكُنْ بُكَاءُ مُفِيدًا أَوْ فَدَعْنِي وَعُصْبَةٌ يَبْكُونَا
 اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ
 وَتُبِّهْنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهِلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا
 تَوَاجِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْثِنَا سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي
 تَعْلَمُهَا مِنَّا ، وَأَمِّنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحِّحِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَأَمَّا الْآخِرُ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ بِمِثْلِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى هَذَا فَإِنَّهُ أَخَذَ
 كِتَابَ الْمَلِكِ وَقَبِلَهُ وَقَرَأَهُ وَتَصَفَّحَهُ وَتَدَبَّرَهُ ، وَقَالَ أَرَى الْمَلِكَ قَدْ كَتَبَ إِلَيَّ
 بِأَنْ أَعْمَلَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، وَأَقْضِي لَهُ كَذَا وَكَذَا ، وَأَنْظُرَ لَهُ فِي كَذَا وَكَذَا .
 وَمِنْ أَيْنَ سَبَقَتْ لِي هَذِهِ السَّابِقَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ ، وَمَنْ الَّذِي عَنَى لِي عِنْدَهُ ،
 وَمَنْ الَّذِي أَنْزَلَنِي مِنْهُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، حَتَّى جَعَلَنِي مِنْ بَعْضِ خُدَّامِهِ ، وَالْقَائِمِينَ
 بِأَمْرِهِ .

وَاللَّهُ إِنْ هَذِهِ لَسَعَادَةٌ وَاللَّهُ لَهَا لِعِنَايَةِ الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي
 الْكِتَابِ وَقَالَ أَسْمَعَ الْمَلِكَ وَقَدْ قَالَ لِي فِي كِتَابِهِ ، وَانْتَظِرْ رَسُولِي فَإِنِّي سَابَعْتُه
 إِلَيْكَ لِأَتِينِي بِكَ وَأَرَهُ لَمْ يَحُدَّ لِي الْوَقْتُ الَّذِي يَبْعَثُ فِيهِ الرِّسُولَ إِلَيَّ وَلَا سَمَاءُ
 لِي .

وَلَعَلِّي لَا أَفَرِّغُ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابِهِ إِلَّا وَرَسُولُهُ قَدْ أَتَانِي وَنَزَلَ عَلَيَّ ، وَاللَّهُ لَا قَدَمْتُ شُغْلًا عَلَى شُغْلِ الْمَلِكِ وَلَا نَظَرْتُ فِي شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ فَرَغِي مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ الْمَلِكُ ، وَإِعْدَادِي زَادًا أَتَزَوَّدُ بِهِ ، وَمَرْكُوبًا أَرْكَبُهُ إِذَا جَاءَنِي رَسُولُهُ وَحَمَلَنِي إِلَيْهِ .

فَتَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ وَقَالَ لَهُ لِمَ هَذِهِ الْمَسَارَعَةُ كُلُّهَا وَفِيمَ هَذِهِ الْمُبَادَرَةُ كُلُّهَا .
فَقَالَ لَهُ وَيُحَكَ أَمَّا تَرَى كِتَابَ الْمَلِكِ بِمَا جَاءَنِي أَمَّا تَسْمَعُ مَا فِيهِ أَمَّا تُصَدِّقُهُ ، أَمَّا تَوْمِنُ بِهِ قَالَ بَلَى سَمِعْتُ وَأَمَنْتُ وَصَدَّقْتُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَكَ فِيهِ أَنَّ رَسُولَهُ يَأْتِيكَ الْيَوْمَ وَلَا غَدًا وَلَا وَقْتًُا مَعْلُومًا .
وَلَكِنَّهُ سَيَأْتِيكَ وَقَدْ جَاءَ كِتَابُهُ إِلَى فَلَانٍ بِهَذَا الَّذِي قَدْ جَاءَكَ أَنْتَ بِهِ ، وَقَدْ بَقِيَ مُنْتَظَرًا لِرَسُولِهِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَإِلَى الْآنَ مَا أَتَاهُ .
وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ مَا جَاءَهُ ، وَفُلَانٌ أَتَاهُ بَعْدَ ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَفُلَانٌ أَتَاهُ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ، فَلِمَ هَذِهِ الْعَجَلَةُ ، وَفِيمَ هَذَا الْإِسْرَاعُ .

فَقَالَ وَيُحَكَ أَمَّا تَرَى أَنْتَ فُلَانًا قَدْ جَاءَهُ كِتَابُ الْمَلِكِ بِهَذَا الَّذِي جَاءَنِي وَجَاءَهُ الرُّسُولُ فِي إِثْرِ مَجِيءِ الْكِتَابِ ، وَفُلَانٌ كَذَلِكَ ، وَفُلَانٌ قَدْ جَاءَهُ بَعْدَ سَنَةٍ .

فَقَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَا تُنْظَرُ إِلَى هَؤُلَاءِ خَاصَّةً وَانْظُرْ إِلَى الَّذِينَ قُلْتُ لَكَ مِمَّنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ الْمَجِيءُ فَقَالَ لَهُ دَعْنِي يَا هَذَا فَقَدْ شَغَلْتَنِي وَاللَّهُ وَإِنِّي لَأَخَافُ أَنْ يَأْتِيَنِي الرُّسُولُ وَأَنَا أَكَلِّمُكَ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ الْمَلِكُ فَامْتَثَلَهُ ، وَنَظَرَ فِيمَا حَدَّ لَهُ ، وَاشْتَغَلَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَغَلَ بِهِ ، وَأَخَذَ الزَّادَ لِسَفَرِهِ ، وَأَخَذَ الْأَهْبَةَ بِطَرِيقِهِ وَجَعَلَ يَنْتَظِرُ الرُّسُولَ أَنْ يَأْتِيَهُ وَأَقْبَلَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا يَنْظُرُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ وَمِنْ أَيْنَ يُقْبَلُ عَلَيْهِ .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بَرَسُولُ الْمَلِكِ قَدْ أَتَاهُ فَقَالَ أَجِبِ الْمَلِكَ قَالَ نَعَمْ
قَالَ السَّاعَةَ ، قَالَ السَّاعَةَ ، قَالَ وَفَرَعْتَ مِمَّا أَمَرَكَ بِهِ ، وَعَمِلْتَ مَا حَدَّ لَكَ أَنْ
تَعْمَلَهُ ، قَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَاَنْطَلِقْ .

قَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةَ الْأَوْلِيَاءِ وَكَسَاهُ كِسْوَةَ الْأَصْفِيَاءِ وَاعْطَاهُ
مَرْكُوبًا يَلِيقُ بِهِ وَيَجْمُلُ بِمِثْلِهِ وَانْطَلَقَ بِهِ فِي حُبُورٍ وَسُرُورٍ .

فَبَانَ لَكَ بِهَذَا الْمَثَلِ وَبِغَيْرِهِ فَضِيلَةٌ قِصَرِ الْأَمَلِ ، وَفَضِيلَةُ الْمُبَادَرَةِ إِلَى
الْعَمَلِ ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ ، وَالِإِنْتَظَارِ لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ .

وَقَدْ كَثُرَ الْخَصُّ عَلَى هَذَا وَكَثُرَتِ الْأَقَاوِيلُ فِيهِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْمَذْكُورُونَ
يُذَكِّرُونَ وَالْمُنْبَهُونَ يُنَبِّهُونَ لَوْ يَجِدُونَ سَمْعًا وَوَعْيًا وَقَلْبًا حَافِظًا وَمَحَلًّا قَابِلًا
فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ انْتَهَى .

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِهِمْ أَمَا تَسْمَعُونَ أَيُّهَا النَّاسُ دَاعِيَ الْمَوْتِ يَدْعُوكُمْ ، وَحَادِيَهُ
يَحْدُوكُمْ أَمَا تَرَوْنَ صَرَغَاهُ فِي مَنَازِلِكُمْ وَقَتْلَاهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَفِيمَ التَّصَامُمِ عَنْ
الدَّاعِيِ وَالتَّشَاغُلِ عَنِ الْحَادِيِ وَالتَّعَامِيِ عَنْ مَصَارِعِ الْقَتْلَى وَالتَّغَافُلِ عَنْ
مُشَاهَدَةِ الْهَلَكَى ، فَارْحَمَ اللَّهُ أَمْرًا أُقِظَ نَفْسُهُ فِي مُهْلَةِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ تُوقِظَهُ
رَوْعَةُ الْمَمَاتِ ، وَاسْتَعْدَّ لِمَا هُوَ آتٍ قَبْلَ الْإِثْبَاتِ ، وَحُلُولِ الْفَوَاتِ ، وَكَانَ
الْحَكَمُ قَدْ وَقَعَ وَالْخِطَابُ قَدْ ارْتَفَعَ ، أَعْرَضَ مَنْ أَعْرَضَ ، وَسَمِعَ مَنْ سَمِعَ .
شعرا :

قَطَعْتُ زَمَانِي حِينًا فَحِينًا	أَدِيرُ مِنَ اللَّهِوِ فِيهِ فُنُونًا
وَأَهْمَلْتُ نَفْسِي وَمَا أَهْمِلْتُ	وَهَوَّيْتُ مِنْ ذَاكَ مَا لَمْ يَهُونًا
وَرُبُّ سُرُورٍ شَفَى غَلَّةً	وَوَلَّى فَأَعْقَبَ حُزْنًا رَصِينًا
وَكَمْ آكَلُ سَاعَةً مَا يُرِيدُ	يُكَابِدُ مَا أَوْرَثَهُ سِينًا
وَمَا كَانَ أَغْنَى الْفَتَى عَنْ نَعِيمٍ	يَعُودُ عَلَيْهِ عَذَابًا مُهِينًا

وكم وعظمتي عِظَاةُ الزَّمانِ لو أني أصيخ إلى الواعظينا
وكم دَعَانِي دَاعِي المُنُونِ وأسمَع لو كُنْتُ في السَّامِعينا
وماذا أؤمِّل أو أرْتجِيه وقد جُزْتُ سَبْعاً على الأربَعينا
فلو كان عَقْلِي مَعِي حَاضِراً سَمِعْتُ لَعَمْرِي مِنْهُ أُبَيِّنَا
ولَنْ يَبْرَحَ المَرءُ في رَقْدَةٍ يَغْطُ إلى أنْ يُوافي المُنُونَا
فَتَوْقُظُهُ عِنْدَهَا رَوْعَةٌ تَقْطَعُ مِنْهُ هُنَاكَ الوَثِينَا
وَإِذْ ذَاكَ يَدْرِي بِمَا كان فِيهِ وَتَجْلُو الحَقَائِقُ مِنْهُ الظُّنُونَا

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلَكِ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وآمِنَّا يَوْمَ الفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، واحشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وقال رحمه الله عليه بعد كلام له فإذا أضيف إلى الفكرة في الموت الفكرة
فيما بعد الموت وفي حال الميت وماله وما يُجَازَى به مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ وفي أي
مَرْبَحٍ وَمَشْجَرٍ فَائَةٍ وَأَيِّ بَضَاعَةٍ فَرَطَ وَأَيُّ جُزْءٍ مِنْ عُمْرِهِ ضَيَّعَهُ هُنَالِكَ تَطْيِشُ
الْأَلْبَابُ وَتَذْهَلُ الْعُقُولُ وَتُخْرِسُ الْأَلْسُنُ وَتُبْذُ الدُّنْيَا بِالْعَرَاءِ وَتُطْرَحُ بِجَمِيعِ مَا
فِيهَا بِالْوَرَاءِ وَلَا يُلْتَفَتُ لَهَا .

وَمِنْ فَوَائِدِ ذِكْرِ المَوْتِ أَنَّهُ يُورِثُ الاسْتِشْعَارَ بِالْإِثْرِ عَاجٍ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ
الْفَائِيَةِ الْمَمْلُوءَةِ بِالْاِكْدَارِ وَالْاِنْكَادِ وَالْهَمُومِ وَالْعُمُومِ .

وَيَحُثُّكَ ذِكْرُ المَوْتِ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَى الْآخِرَةِ بِالِاسْتِعْدَادِ لَهَا ثُمَّ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْفَكُ عَنْ حَالَتِي ضَيْقٍ وَسَعَةٍ وَنِعْمَةٍ وَمُحَنَةٍ .

فإن كان في حال ضيقٍ ومحنةٍ فذكر الموت سهل عليه بعض ما هو فيه إذ لا مُصيبةَ إلا والموت أعظم منها وهو ذائقه ولا بُد .

قال الله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وإن كان في حال سعةٍ ونعمةٍ .

فذكر الموت يَمْنَعُهُ مِنَ الإغترار بالدنيا والركون إليها لتتحقق عدم دوامها وتحقق ذهابها عنه وانصرامها .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ .

يا نائمًا والمِنُونُ تَقْضَى	وَعَالِبًا وَالْحِمَامُ أَوْفَى
جَاءَكَ أَمْرٌ وَأَيُّ أَمْرٍ	طَمَّ عَلَى غَيْرِهِ وَعَفَى
هَلْ بَعْدَ هَذَا الْمَشِيبِ شَيْءٌ	غَيْرَ تُرَابٍ عَلَيْكَ يُحْتَى
فَلَيْسَ هَذَا الْأَمْرُ سَهْلًا	وَلَا بِشَيْءٍ عَلَيْكَ يَخْفَى
مِنْ بَعْدِ مَا الْمَرْءُ فِي بَرَّاحٍ	يَهْتَرُ تَيْهًا بِهِ وَظَرْفًا
سَاكِنُ نَفْسٍ قَرِيرٍ عَيْنٍ	يُرْشَفُ نَعْرَ النَّعِيمِ رَشْفًا
إِذْ عَصَفَتْ فِي دَارِهِ رِيحٌ	تَقْصِفُ كُلَّ الظُّهُورِ قَصْفًا
فَبَاتَ فِي أَهْلِهِ حَصِيدًا	قَدْ جَعَفَتْهُ الْمُنُونُ جَعْفًا
فَعَادَ ذَاكَ النَّعِيمُ بُؤْسًا	وَصَارَ ذَاكَ السُّكُونُ رَجْفًا
وَسَيِّقَ سَوَاقًا إِلَى ضَرِيحٍ	يُرْصَفُ بِالرَّغْمِ فِيهِ رَصْفًا
وَبَاتَ لِلدُّودِ فِيهِ طَعْمًا	وَلِلْهُوَامِ الْعِطَاشِ رَشْفًا
وَلَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ رَهِينًا	بِكُلِّ مَا قَدْ هَفَا وَأُهْفَا

(فِصْل)

وَأَمَّا مَشَاهِدَةُ صُورَةِ مَلِكِ الْمَوْتِ وَمَا يَدْخُلُ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ مِنَ الرُّوعِ وَالْفَزَعِ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يُعْبَرُ عَنْهُ لِإِعْظَمِ هَوْلِهِ وَفَضَاعَةِ رُؤْيِيهِ وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ جَلُّ جَلَالُهُ وَالَّذِي يُشَاهِدُهُ وَيَطَّلِعُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْثَالُ تُضْرَبُ وَحِكَايَاتُ تُحْكَى .

وَيُرَوَّى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِينِي الصُّورَةَ الَّتِي تَقْبِضُ بِهَا رُوحَ الْفَاجِرِ فَقَالَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ قَالَ بَلَى قَالَ فَأَعْرِضْ عَنِّي فَأَعْرِضَ عَنْهُ ثُمَّ التَفَتَ .

فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَسْوَدَ الشَّيَابِ قَائِمِ الشَّعْرِ مُنْتِنَ الرِّيحِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمَنَاجِرِهِ لَهَبُ النَّارِ وَالْدُّخَانِ قَالَ فَعُشِّي عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ أَفَاقَ وَقَدْ عَادَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى صُورَتِهِ الْأُولَى .

فَقَالَ يَا مَلِكُ الْمَوْتِ لَوْ لَمْ يَلْقَ الْفَاجِرُ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا رُؤْيَا وَجْهِكَ لَكَانَ ذَلِكَ حَسْبَهُ « أَيُّ يَكْفِي » .

وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَاسٍ يَتَرَحَّمُونَ عَلَى مَيِّتٍ فَقَالَ لَوْ تَتَرَحَّمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّ مَيِّتَكُمْ قَدْ مَرَّ بِهِ أَهْوَالٌ ثَلَاثَةٌ ، وَجْهُ مَلِكِ الْمَوْتِ وَقَدْ رَأَاهُ ، وَمَرَارَةُ الْمَوْتِ وَقَدْ ذَاقَهَا ، وَخَوْفُ الْخَاتَمَةِ وَقَدْ مَضَى .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

يُرَوَّى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ إِذَا قَبِضَ مَلِكُ الْمَوْتِ رُوحَ الْعَبْدِ قَامَ عَلَى عَتَبَةِ بَابِهِ وَلَأَهْلَ الْبَيْتِ ضَجَّةً ، فَمِنْهُمْ الضَّارِبَةُ وَجْهَهَا ، وَمِنْهُمْ النَّاشِرَةُ شَعْرَهَا ، وَمِنْهُمْ الدَّاعِيَةُ يَا وَيْلَهَا .

فَيَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ فِيهِمْ هَذَا الْجَزَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا انْتَقَصْتُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عُمْرًا ، وَلَا أَخَذْتُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ رِزْقًا وَلَا ظَلَمْتُ أَحَدًا مِنْكُمْ حَقًّا .

فَإِنْ كَانَتْ شِكَايَتُكُمْ وَتَسَخُّطُكُمْ عَلَيَّ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَأْمُورٌ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى مَيِّتِكُمْ فَإِنَّهُ مَقْهُورٌ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْتُمْ بِهِ كَفَرَةٌ ، وَلِي فِيكُمْ عَوْدَةٌ ثُمَّ عَوْدَةٌ حَتَّى لَا أَبْقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا .

قَالَ لَوْ سَمِعْتُمْوَا كَلَامَهُ وَرَأَوْا مَكَانَهُ لَشُغِلُوا عَنْ مَيِّتِهِمْ وَبَكَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ .
شِعْرًا :

وَقَالَ وَاحْرَبَا وَصَاحَ يَا هَرَبَا	بَكَى لِأَنْ مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ
إِذَا أَرَادَ حُبُوبًا فَارَ وَالتَّهَبَا	وَبَاتَ فَوْقَ حَشَاهُ لِلْأَسَى لَهَبٌ
وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْهَوَى حُجَبَا	وَلَوْ رَأَى بِصَحِيحِ الْعَقْلِ حَيْنَ رَأَى
إِلَّا بَكَى نَفْسُهُ الْمِسْكِينُ وَاتَّحَبَا	لَمَّا رَأَى الدَّهْرَ مَيِّتًا أَوْ أَحْسُ بِهِ
أَنَّى يَرَاهَا بَجْنِبَ نَاءٍ أَوْ قَرَبَا	وَمَنْ رَأَى السُّمْرَ فِي جَنِّيهِ شَارِعَةً
أَرْتُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَوْلِهَا عَجَبَا	وَطَلَعَةُ الْمَوْتِ إِنْ تَطْلُعَ عَلَى أَحَدٍ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَوْعِظَةٍ وَعَظَهَا أَلَّا أَنْ الدُّنْيَا بَقَاؤُهَا قَلِيلٌ ، وَغَزِيرُهَا ذَلِيلٌ ، وَغَنِيَّهَا فَقِيرٌ ، شَابُّهَا يَهْرَمُ ، وَحَيُّهَا يَمُوتُ ، وَلَا يَغُرُّكُمْ إِقْبَالُهَا مَعَ مَعْرِفَتِكُمْ بِصُرْعَةِ إِذْبَارِهَا وَالْمَغْرُورُ مَنْ اغْتَرَّ بِهَا .

أَيُّنَ سُكَّانُهَا الَّذِينَ بَنَوْا مَرَابِعَهَا وَشَقُّقُوا أَنْهَارَهَا وَغَرَسُوا أَشْجَارَهَا وَأَقَامُوا فِيهَا أَيَّامًا يَسِيرَةً وَغَرَّتْهُمْ بِصُحْبَتِهِمْ وَغُرُّوا بِنَشَاطِهِمْ فَرَكَبُوا الْمَعَاصِي إِنْهُمْ كَانُوا وَاللَّهِ بِالدُّنْيَا مَغْبُوطِينَ بِالْمَالِ عَلَى كَثْرَةِ الْمَنْعِ عَلَيْهِ مَحْسُودِينَ عَلَى جَمْعِهِ .

مَا صَنَعَ التُّرَابُ بِأَبْدَانِهِمْ وَالرَّمْلُ بِأَجْسَامِهِمْ وَالْدِّيدَانُ بِأَوْصَالِهِمْ وَلُحُومِهِمْ وَعِظَامِهِمْ وَإِذَا مَرَزَتْ فَنَادِيَهُمْ إِنْ كُنْتَ مُنَادِيًا وَادْعُهُمْ إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ دَاعِيَا .

وَمُرَّ بِعَسْكَرِهِمْ وَانْظُرْ إِلَى تَقَارُبِ مَنَازِلِهِمْ وَسَلِّ غَنِيَّهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ غِنَاهُ
وَسَلِّ فَقِيرَهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ فَقْرِهِ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْأَلْسُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَتَكَلَّمُونَ
وَعَنِ الْأَعْيُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَنْظُرُونَ وَسَلِّهُمْ عَنِ الْأَعْضَاءِ الرَّقِيقَةِ .

وَالْوُجُوهُ الْحَسَنَةُ وَالْأَجْسَادُ النَّاعِمَةُ مَا صَنَعَتْ بِهَا الدِّيدَانُ .

مَحَبَتِ الْأَلْوَانِ ، وَأَكَلَتِ اللَّحْمَانَ ، وَعَفَّرَتِ الْوُجُوهُ ، وَمَحَبَتِ
الْمَحَاسِنِ ، وَكَسَرَتِ الْفَقَارَ ، وَأَبَانَتِ الْأَعْضَاءَ ، وَمَزَّقَتِ الْأَشْلَاءَ قَدْ حِيلَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَمَلِ وَفَارَقُوا الْأَحَبَّةَ .

فَكَمْ مِنْ نَاعِمٍ وَنَاعِمَةٍ أَصْبَحَتْ وَجُوهُهُمْ بِالِيَةِ ، وَأَجْسَادُهُمْ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ
بَائِتَةً ، وَأَوْصَالُهُمْ مُتَمَزِّقَةً ، وَقَدْ سَأَلَتْ الْحَدَقُ عَلَى الْوَجَنَاتِ ، وَأُمْتَلَأَتِ
الْأَفْوَاهُ صَدِيدًا ، وَدَبَّتْ دَوَابُّ الْأَرْضِ فِي أَجْسَامِهِمْ ، وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَاؤُهُمْ .

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى عَادَتِ الْعِظَامُ رَمِيمًا قَدْ فَارَقُوا الْحَدَائِقَ فَصَارُوا
بَعْدَ السَّعَةِ إِلَى الْمَضَائِقِ قَدْ تَزَوَّجَتْ نِسَاؤُهُمْ وَتَرَدَّدَتْ فِي الطُّرُقِ أَبْنَاؤُهُمْ .

فَمِنْهُمْ وَاللَّهُ الْمَوْسِعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ الْعَظْمُ النَّاعِمُ فِيهِ الْمُتَنَعِّمُ بِلَذَائِهِ ، فَيَا سَاكِنَ
الْقَبْرِ مَا الَّذِي غَرَّكَ فِي الدُّنْيَا هَلْ تَظُنُّ أَنَّكَ تَبْقَى أَوْ تَبْقَى لَكَ أَيْنَ دَارُكَ الْفَيْحَاءِ
وَنَهْرُكَ الْمُطَرَّدِ وَأَيْنَ ثَمَرَتُكَ الْحَاضِرُ يَنْعُمُهَا وَأَيْنَ رِقَاقُ ثِيَابِكَ وَأَيْنَ كِسْوَتُكَ
لِصَيْفِكَ وَشِتَائِكَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا مُغْمَضُ الْوَالِدِ وَالْأَخِ وَغَاسِلَةُ وَحَامِلَةُ يَا
مُدَلِّيَّةُ فِي قَبْرِهِ وَرَاجِلُ عَنْهُ ، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نِمْتَ عَلَى نُحْشُونَةِ الثَّرَى ،
وَبَأْيِي نَحْدِيكَ بَدَأَ الْبَلَى ، يَا مُجَاوِرَ الْهَلَكِي صِرْتَ فِي مَحَلَّةِ الْمَوْتِ ، لَيْتَ
شِعْرِي مَا الَّذِي يُلْقَانِي بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِي مِنَ الدُّنْيَا .

مَا حَالُ مَنْ سَكَنَ الثَّرَى مَا حَالُهُ أَمْسَى وَقَدْ قُطِعَتْ هُنَاكَ جِبَالُهُ
أَمْسَى وَلَا رَوْحُ الْحَيَاةِ يُصِيبُهُ يَوْمًا وَلَا لُطْفُ الْحَبِيبِ يَنَالُهُ

أَمْسَى وَحِيداً مُوَحِشاً مُتَفَرِّداً مُتَشِيتاً بَعْدَ الْجَمِيعِ عِيَالُهُ
 أَمْسَى وَقَدْ دَرَسَتْ مَحَاسِينُ وَجْهِهِ وَتَفَرَّقَتْ فِي قَبْرِهِ أَوْصَالُهُ
 وَاسْتَبَدَلَتْ مِنْهُ الْمَجَالِسُ غَيْرَهُ وَتُقَسِّمَتْ مِنْ بَعْدِهِ أَمْوَالُهُ
 هَلْ مِنْ قَبِيلٍ تَعْلَمُونَ مَكَانَهُ سَلِمَتْ عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ رِجَالُهُ

اللَّهُمَّ اسئلكَ يَا سَيِّدَ الْاَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ،
 وَأَمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

إِعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين أَنَّ تَقْصِيرَ الْأَمَلِ مَعَ حُبِّ الدُّنْيَا
 مُتَعَذِّرٌ وَانْتِظَارُ الْمَوْتِ مَعَ الْإِكْبَابِ عَلَى الدُّنْيَا غَيْرُ مُتَيَسِّرٍ ، فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا هُوَ
 سَبَبُ طَوْلِ الْأَمَلِ فِيهَا ، وَالْإِكْبَابُ عَلَيْهَا يَمْنَعُ مِنَ الْفِكْرَةِ فِي الْخُرُوجِ مِنْهَا .

وَالْجَهْلُ بِغَوَائِلِهَا وَعَوَاقِبِهَا يَحْمِلُ الْإِرَادَةَ لَهَا وَالْإِزْدِيَادِ مِنْهَا ، لِأَنَّ مَنْ
 أَحَبَّ شَيْئاً أَحَبَّ الْكَوْنَ مَعَهُ ، وَالْإِزْدِيَادَ مِنْهُ ، وَمَنْ كَانَ مَشْغُوفاً بِالدُّنْيَا مُجِباً
 لَهَا حَرِيصاً عَلَيْهَا قَدْ خَدَعَتْهُ بِزُخْرُفِهَا وَأَمَلَتْهُ بِرَوْنَقِهَا وَسَحَرَتْهُ بِزِينَتِهَا ، كَيْفَ
 يُرِيدُ مُفَارَقَتَهَا ، أَمْ كَيْفَ يُحِبُّ مُزَايَلَتَهَا ، هَذَا أَمْرٌ مَا أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ بِهِ وَلَا
 حَدَّثَنَا عَنْهُ .

بَلْ تَجِدُ مَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَعْمَى عَنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ أَصَمَّ عَنْ دَاعِيِ
 الرُّشْدِ ، قَلِيلَ الرَّأْيِ سَيِّءِ النِّظَرَةِ ، ضَعِيفَ الْإِيمَانِ ، لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الدُّنْيَا مَا يَسْمَعُ
 بِهِ ، وَلَا مَا يَرَى الْحَقَائِقَ بِوَاسِطَتِهِ .

إنما دِينُهُ وشُغْلُهُ وحَدِيثُهُ دُنْيَاهَا يَنْظُرُ وَلَهَا يَسْمَعُ وَلَهَا يُعْطِي وَلَهَا يَأْخُذُ
قَدْ مَلَأَتْ عَيْنُهُ وَسَمِعَتْهُ .

فتجده قد طَوَّلَ أَمَلَهُ وَمَدَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِنْ كَانَ شَابًا قَالَ أَنَا صَغِيرٌ
وَالْوَقْتُ بَيْنَ يَدَيَّ وَأَسْعَى وَأُبْنِي حَتَّى أَبْلُغَ سِتِينَ سَنَةً أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً .

وَأَنَا مُحْتَاجٌ إِلَى الزَّوْاجِ وَالزَّوْجَةِ تَحْتَاجُ إِلَى نَفَقَةٍ وَكِسْفَةٍ وَإِذَا حَصَلَتِ
الزَّوْجَةُ وَجَاءَ الْأَوْلَادُ اخْتَّاجُوا إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَهَذَا إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْمَالِ وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ مَالٌ لَمْ أَصِلْ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَالْمَرْغُوبِ .

وإن قَعَدْتُ عَنْ الطَّلَبِ اخْتَجْتُ إِلَى النَّاسِ وَإِذَا اخْتَجْتُ إِلَى النَّاسِ
اسْتَخِفَّ بِي وَاخْتَقَرْتُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَالْمَرْءُ لَا يَصْغُرُ مِقْدَارُهُ إِلَّا إِذَا احْتَاجَ إِلَى النَّاسِ
آخِرُ :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأُخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُوءٌ
وَأُخُوكَ مَنْ وَفَّرْتَ مَا فِي كَفِّهِ وَمَتَى عَلِقَتْ بِهِ فَأَنْتَ ثَقِيلٌ

وَانْظُرْ إِلَى فَلَانٍ قَدْ اكْتَسَبَ ، وَجَمَعَ وَاعْتَنَى وَتَزَوَّجَ ، وَتَنَعَّمَ وَتَمَتَّعَ وَظَفِرَ
بِالْمِرَادِ وَوَصَلَ إِلَى مَا أَرَادَ .

وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِهِ فَيَقُولُ فَلَانٌ كَانَ شَابًا مِثْلِي وَأَرَادَ مَا أَرَدْتُ وَسَعَى فِيمَا
سَعَيْتُ فَاخْتَرَمَتْهُ الْمَنِيَّةُ ، وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى مُرَادِهِ .

وَلَا يَقُولُ فَلَانٌ طَلَبَ الدُّنْيَا وَاجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِهَا فَلَمَّا اجْتَمَعَ لَهُ مَا اجْتَمَعَ
سُرِقَ مَا تَعَبَ بِهِ أَوْ اعْتَدِي عَلَيْهِ فَغَضِبَ مَا جَمَعَ وَأَخَذَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ .

وَلَا يَقُولُ احْتَرَقَ مَالُ فَلَانٍ الَّذِي تَعَبَ فِي تَحْصِيلِهِ أَوْ غَرِقَ مَالُهُ فِي الْبَحْرِ

أو في رُجوعه إلى بلده ، وانصرافه إلى وطنه هلك ماله فاحتل عقله بسبب فقدان المال أو مات في طريقه ، ونحو ذلك مما يجري كثيرا .

إنما يعرضُ على نفسه ويجري على خاطره من بلغ إلى إرادته ووصل إلى أمنيه ، لأن ذلك هو الذي غلب على قلبه وشغف بحديثه .

فتراه يسعى ويرغب ويحرص ويطلب ويكد ويؤثر ويلهث في حذور وصعود وطلوع وهبوط آناء الليل والنهار ولا يقربه قرار ولا تضمه في أكثر الأوقات دار .

وكلما فرغ من شغل أخذ في شغل آخر مما يحتاج إليه بل لا يفرغ من شغل إلا عرضت له أشغال ولا يصل إلى أمل إلا انبعث له آمال فيمضي نفسه بالأماني الباطلة ويحدثها بالأحاديث الكاذبة .

فإن وصل إلى حظ من المال ونصيب وافر من الكسب مما يمكن أن يعيش به عمره كله أو طعن في السن وقيل له يا فلان أرخ نفسك ودع جسمك فهذا الذي عندك يكفيك .

قال يا أخي لا تقل هذا الليل والنهار بين يدي ولا يكفيهما قليل ولن يؤمّا على أحد إلا أذهب ما في يده ، وأخذ ما كان عنده ، ولا يذري ما يكون .

والآفات كثيرة والأمراض متوقعة والحاجة إلى الناس صعبة لاسيما مع الكبر فيقيم العذر لنفسه ويطلب لها الحجة ويوجد لها الدليل ويصحح لها بزعمه التأويل .

فإن ذكر له الموت أو حدث بموت إنسان ، قال يلسانه فقط : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ والله إنا لفى غفلة عظيمة ، والله إني لفى غرور .

والله إنها لمصيبة عظيمة لا يدري الإنسان متى يهلك ولا متى يختطف
ولا متى تفجؤه المنيّة وتجلّ به الرزية ، وتنزل به هذه المصيبة .

هكذا قولاً بلا فعل وكلاماً بلا نيّة ولو كان ذلك عن صدق نيّة وصحّة
طويّة لظهر ذلك عليه وبدت مخايّله منه .

وربّما وعد نفسه ومناها وطمّعها في التوبة ورّجأها ، وقال إذا جيئت من
هذه السفرة ، وإذا فرغت من عمارة الدار ، أو إذا جمعت ما كان متفرّقاً أو
نحو ذلك لتفرّغت للنظر لنفسي ، وقدّمت ما أجده في رمسي ، وكنت من
داري إلى المسجد ، ومن المسجد إلى داري ، ولا أنظر في شيء ، ولا أشتغل
في شيء .

فإذا جاء من سفره تجهّز لسفر آخر ، وإذا فرغ من عمارة داره نظر فيما
يصلح لها ، وإن جمّع ماله نظر في تفريقه في الوجه الذي ينميّه .

وهكذا يحدث نفسه عن الأموات ولا يحدث نفسه أنّه يموت ، ويشيع
الجنايز ولا يتصوّر أنّ جنازته تُشيع .

ألا وكما شيعت يوماً جنازة فأت كما شيعتهم ششيع

ويقدّر لنفسه العيش الطويل ولا يقدّر لها الموت القريب ، قد غلب عليه
السّهو وأطبّق الجهل وسدّت عليه الغفلة طرُق الإنابة وصرفته عن أسباب
الفكرة .

شعراً :

لَمَنْ وَرَقَاءُ بِالْوَادِي الْمَرِيعِ تَشُبُّ بِهِ تَبَارِيحُ الضُّلُوعِ
عَلَى فَيَّانَةٍ خَضِرَاءَ يَصْفُو عَلَى أَعْطَافِهَا وَشِي الرِّيسِ

تُرِدُّ صَوْتَ بَاكِئَةٍ عَلَيْهَا رَمَاهَا الْمَوْتُ بِالْأَهْلِ الْجَمِيعِ
فَشَتَّ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهُ غَرَامًا عَاثَ فِي قَلْبٍ صَرِيعِ
عَجِبْتُ لَهَا تَكَلُّمُ وَهْيَ خَرَسًا وَتَبْكِي وَهْيَ جَامِدَةُ الدُّمُوعِ
فَهَمْتُ حَدِيثَهَا وَفَهَمْتُ أَنِّي مِنَ الْخُسْرَانِ فِي أَمْرِ شَنِيعِ
أَتُبْكِي تِلْكَ أَنْ فَقَدْتُ أُنَيْسًا وَتَشْرَبُ مِنْهُ بِالكَاسِ الْفَظِيعِ
وَمَا أَنَا لَسْتُ أَبْكِي فَقَدْ نَفْسِي وَتُضَيِّعُ الْحَيَاةَ مَعَ الْمُضَيِّعِ
وَلَوْ أَنِّي عَقَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي لِأَرْسَلْتُ الْمَدَامِعَ بِالنَّجِيعِ
أَلَا يَا صَاحِبَ الشُّكُوى ضُرُوبُ وَذِكْرُ الْمَوْتِ يَذْهَبُ بِالْهُجُوعِ
لَعَلَّكَ أَنْ تُعَيِّرَ أَخَاكَ دَمْعًا فَمَا فِي مُقْلَتَيْهِ مِنَ الدُّمُوعِ

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَانِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ
وَمَتِّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

إِعلم وفقنا الله وأَيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَيُّقِظْ قُلُوبَنَا وَقُلُوبَكُمْ مِنَ الْغَفْلَةِ
وَرَزَقْنَا وَإِيَّاكُمْ الْإِسْتِعْدَادَ لِلنُّقْلَةِ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ إِلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ أَنْ مِنْ أَضَرِّ مَا
عَلَى الْإِنْسَانِ طُولُ الْأَمَلِ .

وَمَعْنَى ذَلِكَ اسْتِشْعَارُ طُولِ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الْقَلْبِ وَيَنْسَى

أَنَّهُ مُهَدَّدٌ بِالْمَوْتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَلَا بُدَّ مِنْهُ وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ فَتَاهَبْ
لِسَاعَةِ وَدَاعِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَخُرُوجِكَ مِنْهَا .

وَكَُنْ يَا أَخِي عَلَى حَذَرٍ مِنْ مُفَاجَأَةِ الْأَجَلِ فَإِنَّكَ عَرَضٌ لِلآفَاتِ وَهَدَفٌ
مَنْصُوبٌ لِسِهَامِ الْمَنَايَا وَإِنَّمَا رَأْسُ مَالِكَ الَّذِي يُمَكِّنُكَ أَنْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنْ
تَشْتَرِيَ بِهِ سَعَادَةَ الْأَبَدِ هَذَا الْعَمْرُ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ ﴿الْآيَةُ فَإِيَّاكَ
أَنْ تُنْفِقَ أَوْقَاتَ عُمْرِكَ وَأَيَّامَهُ وَسَاعَاتِهِ وَأَنْفَاسَهُ فِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا مَنَفَعَةَ
فَيَطُولَ حُزْنُكَ وَنَدَامَتُكَ وَتَحْسِرُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ .

وَاجْعَلْ مَا يَلِي مِنَ الْآيَاتِ نَصَبَ عَيْنَيْكَ دَائِمًا لِتَحُثُّكَ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ
الْمَعَادِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ
اللَّهِ﴾ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا
عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ
لِلْعَذَابِ﴾ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي
لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿الْآيَةُ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ .

وقال جلَّ وعلا : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ ﴾ .

ونحو هذه الآيات التي مرَّتْ عَلَيْكَ فَإِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا حَقِيقَةً فَاشْعُرْ قَلْبَكَ بِتِلْكَ الْمَخَافِ وَالْأَخْطَارِ وَأَكْثِرْ فِيهَا التَّفَكُّرَ وَالْإِعْتِبَارَ لِتَسْلِبَ عَنْ قَلْبِكَ الرَّاحَةَ وَالْقَرَارَ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَتَشْتَغِلَ بِالْجَدِّ وَالْاجْتِهَادِ وَالتَّشْمِيرِ لِلْعَرْضِ عَلَى الْجَبَّارِ .

وَتَفَكَّرْ أَوَّلًا فِيمَا يَقْرَعُ بِسَمْعِ سُكَّانِ الْقُبُورِ مِنْ شِدَّةِ نَفْخِ الصُّورِ ، فَإِنَّمَا صَيِّحَةٌ وَاحِدَةٌ تَنْفَرُجُ بِهَا الْقُبُورُ عَنْ رُؤُسِ الْمَوْتَى ، فَيُثَوِّرُونَ دُفْعَةً وَاحِدَةً .

قال الله جل جلاله : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ وقال جلَّ وعلا : ﴿ ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ .

فَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ إِنْتَبِهْ يَا أَخِي لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَيْسَ عِظْمُهُ مِمَّا يُوصَفُ ، وَلَا هَوْلُهُ مِمَّا يُكَيَّفُ ، وَلَا يَجْزِي عَلَى مِقْدَارٍ مِمَّا يُعْلَمُ فِي الدُّنْيَا وَيُعْرَفُ بَلْ لَا يَعْلَمُ مِقْدَارَ عِظَمِهِ وَلَا هَوْلَهُ إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَا ظَنُّكَ بِيَوْمِ عَبَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ بَعْضِ مَا يَكُونُ فِيهِ بِشَيْءٍ عَظِيمٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِيْعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ فِيهِ وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَصِفَهُ الْوَاصِفُ بِهِ الْأَمْرُ الْأَعْظَمُ وَالْحَطْبُ الْأَكْبَرُ وَالْهَوْلُ الْأَشْنَعُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وما عسى أن أقول أو أقوم به الأمر أعظم مما قيل أو وصفاً
وقال آخر :

يُضْحَكُ المرءُ والبكاءُ أَمَامَهُ وَيُرْوَمُ البقاءُ والموتُ رَامَهُ
وَيَمْشِي الحَدِيثُ في كُلِّ لَغْوٍ وَيُخْلَى حَدِيثُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَلَأْمَرٌ بَكَاءُ كُلِّ لَيْبٍ وَنَفَى في الضَّلَامِ عَنْهُ مَنَامَهُ
صَاحَ حَدَّثَ حَدِيثُهُ وَاحْتَصَرَهُ فَمَحَالٌ بَأَن تَطِيقَ تَمَامَهُ
عَجَزَ الوَاصِفُونَ عَنْهُ فَقَالُوا لَمْ نَجِءْ مِنْ بَحَارِهِ بِكُضَامَةِ
فَلْتَحَدِّثْهُ جُمْلَةً وَشَتَاتاً وَدَعِ الآنَ شَرْحَهُ وَنِظَامَهُ

فَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ وَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ قَبْرِكَ مُتَغَيِّراً وَجْهَكَ مُغْبِراً بِذَلِكَ مِنْ
تُرَابِ قَبْرِكَ مَبْهُوتاً مِنْ شِدَّةِ الصُّعْقَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ نَحْشَعُ أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ
مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي ﴾

وقال جل وعلا وتقديس : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ
الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ
قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴾ .

وقال جل وعلا : ﴿ وَنَفْخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ
يَنْسِلُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِرَ فِي النُّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرِ يَسِيرٍ ﴾ فَتَفَكَّرْ في الخلائق ورُغْبِهِمْ وَذُلُّهُمْ وَاسْتِكَانَتِهِمْ عِنْدَ الْإِنبِعَاثِ خَوْفاً
مِنْ هَذِهِ الصُّعْقَةِ وَانْتِضَاراً لِمَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شَقَاوَةٍ .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصَبٍ
يُوفَضُّونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

وقال تعالى : وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى
يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي .

شعرا :

كَأَنِّي بِنَفْسِي عَلَى ضَعْفِهَا تَجَرَّعُ رَغْمًا كُؤُوسَ الرَّدَى
وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهَا الْغِطَا فَحَنَّتْ هُنَاكَ لِكَشْفِ الْغِطَا
وَمَدَّتْ إِلَيْهَا يَدَ فَظَّةٍ لَفِظٌ غَلِيظٌ شَدِيدُ الْقُوَى
فَمَا شِئْتُ مِنْ نَفْسٍ ضَيِّقٍ وَجَذِبَ عُرُوقٍ وَقَطَعَ الْحَشَا
وَنَفْسٌ تُسَاقُ أَشَدَّ مَسَاقٍ فَتَضَعُطُ فِي لَهَوَاتِ الْفَتَى
وَلَا دَافِعَ يُرْتَجَى دَفْعُهُ وَلَا قَائِلٌ مَا بِهِ يُفْتَدَى
وَمَا لِي انْتِصَارٌ وَلَا لِي قَرَارٌ وَمَالِي مِنْ حِيلَةٍ تُرْتَجَى
فَدَعْنِي وَيَوْمِي أَبْكِي لَهُ فَحَقَّ لِيَوْمِي بِطُولِ الْبُكََا

اللَّهُمَّ احْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ
لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْغُرَقَى وَيَا مُنْجِي
الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأُنَلِّنا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ
عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

إَعْلَمْ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ فِي الْقَبْرِ وَظْلَمَتِهِ ، وَضِيقِهِ
وَوَحْشَتِهِ وَطَرَحِ الْمَيِّتِ فِيهِ غَيْرَ مُمَهَّدٍ وَلَا مُوسَّدٍ قَدْ بَاشَرَ التُّرَابَ وَوَاجَهَ الْبَلَى
وَتَرَكَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا لِلْوَرَى .

وَنَبَذَ مِنْهَا مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ فِي الْعَرَاءِ مَعَ حَبِيبِ تَرْكِهِ وَقَرِيبِ أَسْلَمِهِ ،
وَنَصِيرِ أُفْرَدَةِ ، وَتَرَكَ كُلَّ مَا كَانَ عَهْدَهُ إِنْ ذَلِكَ لِمِمَّا يَفْطِمُ النُّفُوسَ عَنْ

الشهوات ، وإن كانت صعبة الفطام ، ويقطعها عن اللذات ، وإن كان قطعها بعيد المرام ، إذا بحث عن الحقيقة ونظر بعين البصيرة وسمع النداء من قريب فبينما الإنسان في رحاء العيش مسروراً فيما بين يديه غافلاً عن يوم صرعه قد فتح للهوى بابه ، وأرسل عليه حجابيه ، ولم يُبالِ بمن لامة في ذلك أوعابه ، إذ هجمت عليه المنية ، فهتكت أستاره ، وكسفت أنواره ، وشئت شمله وطمست أعلامه وآثاره .

فأخرجته من ذلك القصر المشيد ، والمنزل المنجد والمتاع المزخرف المنضد ، إلى حفرة من الأرض ظلماء ضيقة الجوانب مملوءة من الرغب والفرع والخوف والقلق والذعر .

فحذار حذار وبذار بذار قبل أن تُصرع هذا المصرع فيفت في عضدك ويسقط في يدك وترمى بك عن أهلك ووليدك في مهواة تزدحم فيها الأهوال ، وتقطع فيها الآمال .

قد جُمعت فيها جمعاً ورصغت فيها رصعاً وتريكت فيه للهوام والديدان طعماً ، ومرعى .

ولعلك ممن يرغب في تبديل المنازل وإن كانت حسناً ، ولا ترى لربك عز وجل فيها تفضلاً وامتناناً .

فانظر الآن كم بين المنزلتين وكم قدر ما بين الوحشتين إلا أن يذكرك الله برحمته فتسرع من القبر أقطاره وتمتد فيه أنواره وأنشدوا في هذا المعنى :

من كان يوحشه تبديل منزله	وأن يُبدل منها منزلاً حسناً
ماذا يقول إذا ضمت جوانبها	عليه واجتمعت من هاهنا وهنا
ماذا يقول إذا أمسى بحفرته	فرداً وقد فارق الأهلين والسكنا
هناك يعلم قدر الوحشتين وما	يلقاه من بات باللذات مرثناً

يَا غَفْلَةً وَرِمَاخُ الْمَوْتِ شَارِعَةٌ وَالشَّيْبُ أَلْقَى بِرَأْسِي نَحْوَهُ الرِّسَنَا
وَلَمْ أُعِدْ مَكَانًا لِلنِّزَالِ وَلَا أَعْدَدْتُ زَادًا وَلَكِنْ غِرَّةً وَمُنَا
إِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ تَوَالَى جُودُهُ أَبَدًا وَيَعْفُ مَنْ عَفُوهُ مِنْ طَالِبِيهِ دَنَا
فِيَا إِلَهِي وَمُزْنُ الْجُودِ وَاكِفَةٌ سَحًّا فَتَمَطَّرْنَا الْإِفْضَالَ وَالْمِنَنَا
آيِسْ هُنَالِكَ يَا رَحْمَنُ وَحَشَّتْنَا وَالْطَفُ بِنَا وَتَرَفَّقَ عِنْدَ ذَاكَ بِنَا
نَحْنُ الْعَصَاةُ وَأَنْتَ اللَّهُ مَلَجُونَا وَأَنْتَ مَقْصِدُنَا الْأُسْنَى وَمَطْلَبُنَا
فَكُنْ لَنَا عِنْدَ بَأْسَاهَا وَشِدَّتِهَا أُولَى فَمَنْ ذَ الَّذِي فِيهَا يَكُونُ لَنَا

وكان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته ف قيل له
تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا .

فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول القبر أول منزل من منازل الآخرة ،
فإن نجأ منه صاحبه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه .
وسمعت رسول الله ﷺ يقول « ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه »
أخرجه الترمذي .

وأخرج ابن أبي الدنيا والحكيم الترمذي وأبو يعلى والحاكم في الكنى
والطبراني في الكبير وأبو نعيم عن أبي الحجاج الثمالي قال قال رسول الله ﷺ :
« يقول القبر للميت حين يوضع فيه ألم تعلم ويحك أني بيث الفتنه ، ويث
الظلمة ، ويث الوحده ، ويث الدود ، يا ابن آدم ما غرك بي إذ كنت تمر
علي فداداً » .

فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرايت إن كان يأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر إني إذا أتحوّل عليه خضيراً ويعود
جسده نوراً وتضعّد روحه إلى الله تعالى .
وجد مكتوب على قبر :

ما حال من سكن الثرى ما حاله
 أمسى ولا روح الحياة يُصيّبه
 أضحى وجيداً موحشاً متفرداً
 أمسى وقد درست محاسن وجهه
 واستبدلت منه المجالس غيره
 هل من قِبل تعلمون مكانه
 أمسى وقد صرمت هناك جباله
 يوماً ولا لطف الحبيب يناله
 متشيتاً بعد الجميع عياله
 وتفرقت في قبره أوصاله
 وتقسمت من بعده أمواله
 سلمت على حدث الزمان رجاله

ومكتوب على قبر آخر :

يا باكي الميت على قبره
 من غاين الموت فذاك الذي
 كم من شقيق لم يجد غير أن
 وكم محب لحبيب إذا
 إمضى ودعه سوف تسلاه
 لم تر مثل الموت عيناه
 أغمض من يهوى وسجاه
 سوى عليه اللحد نحلاه

اللهم إنك تعلم سِرِّنا وعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
 عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ
 نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ
 وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُغْفِرَ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
 آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

وقال رحمه الله :

فَكَمْ رَأَى مِنْ إِنْسَانٍ قَدْ أَعَدَّ ثَوْباً لِيَلْبِسَهُ فَكَانَ كَفَنَهُ ، وَكَمْ رَأَى مِنْ
 بَنِي دَارٍ لَيْسَ كُنْهَافَا فَكَانَتْ قَبْرُهُ ، وَكَمْ رَأَى إِنْسَانٌ يُحِبُّ الْوَلَدَ وَيَشْتَهِيهِ ،

وَيَسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا فَلَمَّا جَاءَهُ الْوَلَدُ صَارَ ضَرَرًا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ .

وَرُبَّمَا قَتَلَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ اسْتِعْجَالًا لِلْمِيرَاثِ ، وَرُبَّمَا صَارَ عَارًا عَلَى وَالِدَيْهِ وَنِقْمَةً وَخِزْيًا كَمَا تَرَى وَتَسْمَعُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ لَا يُسْتَحَارُ اللَّهُ فِيهِ .

وَتَجِدُ كَثِيرًا مِمَّنْ ضَاعَتْ أَعْمَارُهُمْ فُرْطًا إِذَا ذُكِرَ بِالتَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ أَوْ خُوفٍ بِالْعُقُوبَةِ أَوْ بِالْمَوْتِ ، قَالَ دَعْنَا مِنْ هَذِهِ الْمُقَبِّضَاتِ ، وَحَدَّثَنَا بِالْمُبَشِّرَاتِ وَالْمُفَرِّحَاتِ ، هَذَا عَصْرُ الشَّبَابِ وَاللَّدَاتِ .

وَإِذَا كَبِرْنَا ثُبْنَا إِلَى اللَّهِ ، وَالْأَمْرُ وَاسِعٌ ، وَلَا يَرَى الْمَسْكِينُ أَنَّهُ قَدْ شِيعَ جَنَائِزٌ إِلَى الْآخِرَةِ أَصْغَرَ مِنْهُ فِي السِّنِّ ، وَأُحْدِثَ مِنْهُ بِالرَّحِمِ عَهْدًا ، قَدْ غَرَّتْهُ الشَّيْبَةُ وَخَدَعَتْهُ الصُّحَّةُ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ الْغِرَّةُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الثَّرْوَةِ وَالْقُوَّةِ .

وَلَا يَتَأَمَّلُ وَيُفَكِّرُ وَيَعْتَبِرُ فَيَرَى أَنَّ الْمَوْتَ فِي الشَّبَابِ أَكْثَرُ ، وَحَادِثُهُ فِيهِمْ أَسْرَعُ وَأَنَّ الَّذِي يَمُوتُ فِي الْهَرَمِ قَلِيلٌ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَمُوتُ بَعْتَةً فِي السَّكَنَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَأَنَّ الزَّمَانَ كُلَّهُ وَقْتُ لِلْمَوْتِ ، وَلَا يَخْتَصِرُ مِنَ الْأَرْضِ بِمَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ ، وَلَا مِنَ الزَّمَانِ بِوَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ ، وَلَا يَزِلُ هَذَا الْمَغْرُورُ مُنْكَبًا عَلَى شَهْوَاتِهِ مُدَاوِمًا عَلَى لَذَّتِهِ غَافِلًا عَنْ يَوْمِ صَرَغَتِهِ ، حَتَّى يُؤْخَذَ بِمَا تَأَخَّرَ وَمَا تَقَدَّمَ ، وَيُلْقَى صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِّ إِلَى حَيْثُ أُلْقَتْ رَحْلُهَا أَمْ قَشَعَمَ .

وَفِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ قَالَ الشَّاعِرُ :

تَالْ أُمُورًا خَابَ مَنْ نَالَهَا	ثُمَّ سَعَى يَطْلُبُ أَمْثَالَهَا
وَوَاقِعَ الذَّنْبِ فَمَا هَالَهُ	وَالْبَاذِخَاتُ الشَّمُّ قَدْ هَالَهَا
وَقَالَ هَذِهِ سَنَوَاتُ الصَّبَا	فَاسْحَبْ عَلَى رِسْلِكَ أَذْيَالَهَا
وَمَرَّ يَسْتَهْتِرُ فِي عُصْبَةٍ	مِنْ شَكْلِهِ تَصْحَبُ أَشْكَالَهَا
أُولَى لَهُ ثَمَّتْ أُولَى لَهُ	وَتِلْكَمُ الْعُصْبَةُ أُولَى لَهَا

ثم اعلم رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ والمسلمين أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا فِي القلبِ رَاسِخٌ
وإِخْرَاجُهَا مِنْهُ صَعْبٌ جَدًّا إِلَّا لِمَنْ عَصَمَهُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ ، والنَّفْسُ إِلَى الدُّنْيَا
أُمِيلُ وَهِيَ بِهَا أَشْغَفُ ، وَفِي طَلَبِهَا أَهْلَكَ وَعَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ أَبْعَدُ وَأَصْرَفُ ،
وَاسْمَعْ إِلَى مَا قِيلَ فِي الدُّنْيَا :

هِيَ الْمُشْتَهَى وَالْمُنْتَهَى وَمَعَ السُّهُى أَمَانِيْ مِنْهَا دُونُهُنَّ الْعِظَائِمُ
وَلَمْ تُلْفِنَا إِلَّا . وَفِينَا تَحَاسُدُ عَلَيْهَا وَإِلَّا فِي الصُّدُورِ سَخَائِمُ

وقال الآخر :

يُسِيءُ أَمْرُو مَنْ فَيَنْغَضُ دَائِمًا وَدُنْيَاكَ مَا زَالَتْ تُسِيءُ وَتُؤَمِّقُ
أَسْرَ هَوَاهَا الشَّيْخُ وَالْكَهْلُ وَالْفَتَى بِجَهْلِهِ فَمَنْ كُلُّ النَّوَظِرِ تُرْمَقُ
وَمَا هِيَ أَهْلٌ أَنْ يُؤْمَلَ مِثْلُهَا لَوْ دُ وَلَكِنْ ابْنُ آدَمَ أَحْمَقُ

وقال الآخر :

لِسَانُكَ لِلدُّنْيَا عَدُوٌّ مُشَاحِنٌ وَقَلْبُكَ فِيهَا لِلْسَّانِ مُبَايِنٌ
وَمَا ضَرُّهَا مَا كَانَ مِنْكَ وَقَدْ صَفَا لَهَا مِنْكَ وَدٌّ فِي قُوَادِكَ كَامِنٌ

وإنَّ حُبَّ الدُّنْيَا لَهُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ ، الَّذِي أَهْلَكَ النِّسَاءَ وَالرِّجَالَ وَأَفْسَدَ
كَثِيرًا مِنَ الْأَعْمَالِ ، إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ ، فَتَصْرِفَ الْإِنْسَانَ إِلَى النَّظَرِ
الصَّحِيحِ ، وَتَجْمِلُهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

فَيَرَى بَعَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَصَحِيحَ الْبَصِيرَةِ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ ، وَأَنَّهُ يُدْفَنُ
تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ، وَيُرْمَى بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ ، وَيُسَلَّطُ اللَّوْدُ عَلَى
جَسَدِهِ ، وَالْهَوَامُّ عَلَى بَدَنِهِ ، فَتَأْخُذُهُ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ .

وقد عدم الطيب واسلمه القريب ، وتركه الصديق والحبيب والقريب ،
وأناه منكرو ونكير ، ولم يجد هناك أنيساً إلا عمله .

أَسْلَمْنِي الْأَهْلُ بَيْطُنِ الثَّرَى وَانصَرَفُوا عَنِّي فَيَا وَخَشْتَا
وَعَادَرُونِي مُعْدِمًا يَائِسًا مَا بِيَدِي الْيَوْمَ إِلَّا الْبُكَاءُ
وَكُلُّ مَا كَانَ كَانَ لَمْ يَكُنْ وَكَانَ مَا حَادَرْتُهُ قَدْ أَتَى
وَذَاكُمُ الْمَجْمُوعُ وَالْمُقْتَنَى قَدْ صَارَ فِي كَفِّي مِثْلَ الْهَبَا
وَلَمْ أَجِدْ لِي مُؤْنِسًا هَاهُنَا غَيْرَ فُجُورٍ كَانَ لِي أَوْ تُقَى
فَلَوْ تَرَانِي أَوْ تَرَى حَالَتِي بَكَيْتَ لِي يَا صَاحَّ مِمَّا تَرَى

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَأَمَّا الدُّنْيَا فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا فَإِنْ كَانَ مَلِكًا نَظَرَ إِلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْمُلُوكِ وَمَا
فَعَلَ الْمَوْتُ بِهِمْ كَيْفَ فَرَّقَ جُمُوعَهُمْ وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ قُصُورُهُمْ
وَعَمَرَتْ بِهِمْ حُفَرُهُمْ وَقُبُورُهُمْ .

وَكَذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَلِكًا وَكَانَ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ وَصِفَاتِهِمْ فِي تَقَلُّبِ الدُّنْيَا
بِهِمْ مَعْلُومَةٌ وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَلَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْكَدْرِ وَالْهَمِّ يَقْلُ عِنْدَ
إِنْسَانٍ وَيَكْثُرُ عِنْدَ آخَرَ .

فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْأَفْكَارِ وَعَرَضَ عَلَيْهَا هَذَا الْإِعْتِبَارَ أَثَّرَ عَلَيْهِ
هَذَا وَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا إِلَّا بِمَقْدَارٍ مَا يَقِيَّتُهُ ، وَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ
وَتَخَافَ فَجَائَتَهُ وَلَمْ يَأْمَنْ بَعَثَتُهُ وَهَجَمَتُهُ وَصَدَمَتُهُ وَصَرَعَتُهُ .

والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بفضلِهِ وَكَرَمِهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودَ
سِوَاهُ .

وقال رحمه الله : واعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ مُنْتَظِرًا لِعِقَابٍ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ مِنْ أَمِيرٍ
بَلَدَتِهِ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ مُتَأَلِّمَ الْقَلْبِ مَشْغُولَ النَّفْسِ .

فَإِنْ مَنْ تُوعِدَ أَنْ يُضْرَبَ مِائَةً سَوْطٍ فَإِنَّهُ أَشْغَلَ قَلْبًا مِمَّنْ تُوعِدُ أَنْ يُضْرَبَ
عَشْرَةً أَسْوَاطٍ .

وَمَنْ تُوعِدَ أَنْ يُقْطَعَ مِنْهُ جَارِحُهُ أَكْثَرَ تَوَجُّعًا مِمَّنْ تُوعِدُ أَنْ يُضْرَبَ مِائَةً
سَوْطٍ وَمَنْ تُوعِدَ أَنْ يُضْرَبَ عُقُقُهُ أَشَدَّ خَوْفًا مِمَّنْ تُوعِدُ أَنْ يُقْطَعَ أَحَدُ
جَوَارِحِهِ يَدِهِ أَوْ رِجْلِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وَمِمَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ تُوعِدُ بِالْقَتْلِ لِأَنَّ الْمَوْتَ قَتْلٌ فِي الْبَاطِنِ كَالْخَنْقِ فَقَدْ
بَانَ لَكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّا يَنْتَظِرُ الْقَتْلَ يَنْتَظِرُ مَلَكًا يَشُبُّ عَلَيْهِ فَيَقْبِضُ رُوحَهُ .

فَلَوْ كُشِفَ لِلنَّاسِ عَنْ أَبْصَارِهِمْ فَرَأَوْا الْمَوْتَ حِينَ يَهْجُمُ عَلَيْكَ وَشَاهَدُوهُ
فِي الْبَاطِنِ حِينَ يَأْخُذُ رُوحَكَ لَمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِنْسَانٍ يَقْتُلُكَ فِي الظَّاهِرِ فَرْقٌ إِلَّا
أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ إِلَى آلَةٍ يَقْتُلُ بِهَا مِنْ سَيْفٍ أَوْ سَكِينٍ أَوْ نَحْوِهَا وَمَلَكُ الْمَوْتِ
لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

واعلم أَنَّ شِدَّةَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لَا يَعْرِفُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا
وَمَنْ ذَاقَهَا ، وَمَنْ لَمْ يَذُقْهَا فَإِنَّمَا يَعْرِفُهَا إِذَا بِالْقِيَاسِ عَلَى الْآلَامِ الَّتِي أَذْرَكَهَا وَإِذَا
بِالاسْتِدْلَالِ بِأَحْوَالِ النَّاسِ فِي النَّزْعِ عَلَى شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ ، وَالنَّزْعُ عِبَارَةٌ عَنْ
مُؤَلِّمِ نَزْلِ بِنَفْسِ الرُّوحِ فَاسْتَعْرِقَ جَمِيعَ أَجْزَائِهِ .

فَالْمِ النَّزْعِ يَهْجُمُ عَلَى نَفْسِ الرُّوحِ فَيَسْتَعْرِقُ جَمِيعَ أَجْزَائِهِ ، فَإِنْ

الْمَنْزُوعَ وَالْمَجْذُوبَ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ مِنَ الْعُرُوقِ وَعَصَبٍ مِنَ الْأَعْصَابِ وَجُزْءٍ مِنَ
الْأَجْزَاءِ وَمَفْصِلٍ مِنَ الْمَفَاصِلِ وَمِنْ أَصْلِ كُلِّ شَعْرَةٍ وَبَشْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ
فَلَا تَسْأَلُ عَنْ كَرْبِهِ وَأَلَمِهِ .

وَلَا تَسْأَلُ عَنْ بَدَنِ يُجَذَّبُ مِنْهُ كُلُّ عِرْقٍ مِنْ عُرُوقِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْمَجْذُوبُ
عِرْقًا وَاحِدًا لَكَانَ أَلَمُهُ عَظِيمًا فَكَيْفَ وَالْمَجْذُوبُ نَفْسُ الرُّوحِ الْمُتَأَلِّمِ ، وَلَيْسَ
هُوَ مِنْ عِرْقٍ وَاحِدٍ ، بَلْ مِنْ جَمِيعِ الْعُرُوقِ .

ثُمَّ يَمُوتُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ تَدْرِيجًا فَتَبْرُدُ أَوَّلًا قَدَمَاهُ لِفِرَاقِهَا مِنَ
الرُّوحِ ، ثُمَّ سَاقَاهُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ فَخِذَاهُ وَلِكُلِّ عُضْوٍ سَكْرَةٌ بَعْدَ سَكْرَةٍ ،
وَكُرْبَةٌ بَعْدَ كُرْبَةٍ حَتَّى يَبْلُغَ بِهَا الْحُلُقُومَ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْقَطِعُ نَظَرُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، وَيُعْلَقُ دُونُهُ بِأَبِ التَّوْبَةِ ، وَتُحِيطُ
بِهِ الْحَسْرَةُ وَالتَّوْبَةُ وَالْهُمُومُ ، وَالْعُمُومُ ، وَسَائِرُ الْأَحْزَانِ .

تَسْأَلُ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَنْ يَلْطَفَ بِنَا
وَيَتَذَكَّرَ كُنَا بِعَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ وَجُودِهِ وَإِحْسَانِهِ .

وَيُرَوِّى أَنَّ الْعَبْدَ يَقُولُ لِمَلِكِ الْمَوْتِ عِنْدَ الْمَوْتِ يَا مَلِكَ الْمَوْتِ أَخْرِني يَوْمًا
أَسْتَغْتِيبُ فِيهِ وَأَتُوبُ إِلَى رَبِّي وَأَعْمَلُ صَالِحًا فَيَقُولُ لَهُ فَنَيْتِ الْأَيَّامَ فَلَا يَوْمَ فَيَقُولُ
أَخْرِني سَاعَةً فَيَقُولُ فَنَيْتِ السَّاعَاتِ فَلَا سَاعَةَ .

فَتَبْلُغُ الرُّوحُ الْحُلُقُومَ فَيُؤَخَذُ بِكَضْمِهِ عِنْدَ الْعَرْغَرَةِ فَيُعْلَقُ بِأَبِ التَّوْبَةِ
دُونَهُ ، وَيُحَجَّبُ عَنْهَا وَتَنْقَطِعُ الْأَعْمَالُ وَتُطَوَّى الصُّحُفُ وَتَتِمُّ الْأَوْقَاتُ وَيَبْقَى
عَدَدُ الْأَنْفَاسِ يَشْهَدُ فِيهَا الْمُعَايِنَةَ عِنْدَ كَشْفِ الْغِطَاءِ .

وَشَيَعُوهُ جَمَاعَاتٌ تَطُوفُ بِهِ تُعْشِي الْعُيُونَ بِمَرَّآهَا وَكَثَرَتِهَا

مِنْ بَيْنِ بَاكِ يَكْفُ فَيْضَ دَمْعَتِهِ وَيَنْ صَارِخَةً تُفْرِغُ بَصْرِخَتَهَا
 حَتَّى أَتُوا حُفْرًا إِزَاءَ بَلَدِ تِهِم فَعَادَرُوهُ بِهَا رَهْنًا لَوْحَشَتِهَا
 وَمَا دَرَوْا هَلْ تَلَقَّتُهُ بِنَفْحَتِهَا دَارُ الْمَقَامَةِ أَوْ نَارُ بِلْفَحَتِهَا
 ثُمَّ انْتَنَوْا نَحْوَ أَمْوَالٍ قَدْ أَحْرَزَهَا لِلنَّائِبَاتِ فَحَازُوَهَا بِجُمْلَتِهَا
 وَذَاكُمْ الْبَائِسُ الْمَغْرُورُ مَا دَفَعْتُ عَنْهُ الْقَضَاءَ وَلَا أَسْتَشْفَى بِلَذَّتِهَا
 لَكِنْ تَحْمَلُ مِنْهَا كُلَّ فَادِحَةٍ مِنْ الْكَبَائِرِ لَا يَقْوَى لِعِدَّتِهَا
 وَمَا بَكَتُهُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ حِينَ مَضَى وَلَا الرِّيَاضُ نَضَّتْ أَثْوَابَ زَهْرَتِهَا

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمِنَّا مِنَ الْفَزَعِ
 الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وقال رحمه الله تعالى :

واعلم أنَّ النَّاسَ فِي قِصَرِ الْأَمَلِ وَطُولِهِ مُخْتَلِفُونَ فِي دَرَجَاتِهِ مُتَفَاوِتُونَ ،
 فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ يَعِيشَ أَقْصَى مَا يَعِيشُهُ إِنْسَانٌ مِمَّنْ شَاهَدَ أَوْ سَمِعَ بِهِ فِي
 زَمَانِهِ .

وَلَوْ كَانَ الْإِخْتِيَارُ إِلَيْهِ لَمَا مَاتَ أَبَدًا حُبًّا مِنْهُ لِلدُّنْيَا وَكَلْفًا بِهَا وَتَلَذُّدًا بِالْبَقَاءِ
 فِيهَا وَهِيَّاتٍ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى وَلَا يُدْرِكُ كُلَّ مَا فِيهِ تَعْنَى .
 مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَسْتَهِي السُّفُنُ

وَغَايَةُ هَذَا أَنْ يَتَمَنَّى طُولَ الْعُمَرِ وَيَوَدُّ لَوْ يَبْقَى الْأَحْقَابَ الْكَثِيرَةَ مِنَ الدَّهْرِ .

قال الله جل وعلا في قوم كانوا كذلك : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمُرَ الْفَ سَنَةً ﴾ .

ويمكن أن يكون هؤلاء تمنوا لأنهم لم يتحقق في الآخرة لهم رجاء لكفرهم بمحمد ﷺ وتكذيبهم له مع صحة نبوته عندهم لكن حملهم بغيبهم وحسداهم له على الكفر به والانكار لدعوته وهذه الآية نزلت في اليهود .

ومنهم من يؤمل أن يعيش ستين سنة وسبعين وأكثر من ذلك ومن الناس من لا يجاوز أمله يومه وربما كان أمله أقصر من ذلك .

بل منهم من يكون الموت نصب عينيه يتوقعه مع الأنفاس أن يشب عليه . كان بعض الصالحين يقول ما أحسبني إلا رجلاً قد أقعد ليقتل وجرد السيف عليه ومدت عنقه فهو ينتظر أن يضرب فيلقى رأسه بين يديه . وأنشد بعضهم :

والبس لهذا الموت جبة خائف	قد ضاق عنه مسلك ومقام
لا تأمنن عليك من إقدامه	فله على هذا الورى إقدام
واكحل جفونك بالرقاد لأجله	فالسهد حل والمنام حرام
إلا غراراً كالغذاء تناله	لولا الضرورة ما وجدت تنام
ومن العجائب أن تراه نائماً	من طابو ساهرون ينام

وقال وآخر : قد مد في عمره وطول في أمله فازداد في كسله ودخل الوهن في عمله .

ورجل آخر قد جعل التقوى بضاعته ، والعبادة صناعته ، ولم يتجاوز بأمله ساعته بل جعل الموت نصب عينيه ومثلاً قائماً بين يديه وسيفاً مصلتاً عليه .

فهو مرقب له مستعد لنزوله لا يشغله عن إرتقابه شاغل ، ولا يصرفه عن الاستعداد له صارف قد ملأ قلبه خوفاً وجلالاً وعمره عملاً ، وعد يوماً يعيشه بقاءً ومهلاً وغنيمة تملأ نفسه سروراً وفرحاً وجدلاً .

لَا زُيَادَةَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَادِّخَارِهِ فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ وَاكْتِسَابِهِ عِنْدَ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ مِنْ جَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَمِثْلُ هَذَا قَدْ وَفَّقَهُ اللَّهُ ، فَرَفَعَ التَّوْفِيقَ عَلَيْهِ لَوَاءَهُ ، وَأَلْبَسَهُ رِدَاءَهُ ، وَأَعْطَاهُ جَمَالَهِ .

فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَيُّ الرَّجُلَيْنِ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ وَأَيُّ الْعَمَلَيْنِ تُرِيدُ أَنْ تَعْمَلَ ، وَبَأَيِّ الرَّدَائِنِ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَمِلَ ، وَبَأَيِّهِمَا تُرِيدُ أَنْ تَتَزَيَّنَ وَتَتَجَمَّلَ .

فَلَسْتَ تَلْبَسُ هُنَاكَ إِلَّا مَا لَبِسْتَ هُنَا وَلَا تُحْشَرُ هُنَاكَ إِلَّا فِيمَا كُنْتَ فِيهِ هُنَا إِنْ صَلَاحٌ فَصَلَاحٌ ، وَإِنْ فُجُورٌ فَفُجُورٌ .

وَلَعَلَّ هَذَا تَأْوِيلُ الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « يُنْبِئُ الْمَيِّتُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا » لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ أَنَّ النَّاسَ يُنْبِئُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا فَتَفَكَّرْ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ ، وَالْيَوْمِ الْعَقِيمِ ، يَوْمَ يُجْمَعُ فِيهِ كُلُّ الْخَلْقِ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ ، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُم الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ » .

فَتَفَكَّرْ يَا أَخِي فِي أَيِّ أَرْضٍ تَسْعُهُمْ ، وَأَيِّ مَكَانٍ يَحْمِلُهُمْ ، فَكَيْفَ وَيُجْمَعُ الْوُحُوشُ الْنَافِرَةُ وَالْهَوَامُّ الشَّارِدَةُ ، وَكَيْفَ يُحْشَرُونَ مَنْ يَبْنِي مَحْمُولٌ قَدْ مُدَّ ظِلَالُ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ ، وَجُمِعَتِ الْأَمَانِيُّ يَبْنِي يَدَيْهِ .

وَقَسِّمْ آخِرَ يُحْشَرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَنُحْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُثْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا نَحَبَتْ رُذُنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ .

يُحْشَرُ الْخَلَائِقُ عَلَى أَرْضٍ يَبْضَاءُ قَاعٍ صَفْصَفٍ مُسْتَوِيَةٍ قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ يَبْضَاءُ عَفْرَاءَ كَقُرْصِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ » أَرْضٌ مُسْتَوِيَةٌ لَا جَبَلٌ فِيهَا وَلَا أَكْمَةٌ وَلَا رَبْوَةٌ وَلَا وَهْدَةٌ أَرْضٌ يَبْضَاءُ نَقِيَّةٌ .

قال الله جل وعلا : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

فَتَفَكَّرْ يَا أَخِي مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ فِي هَذَا الْمَجْتَمَعِ الْعَظِيمِ ، وَهَذَا الْهَوْلِ الْأَشْنَعِ وَالْخَطْبِ الْأَفْدَحِ ، الْأَقْطَعِ الْأَبْشَعِ .

وَفَكَّرْ فِيمَنْ يَحْضُرُهُ وَيَشْهَدُهُ وَيُعَانِيهِ وَيُبْصِرُهُ ، وَكَيْفَ يَقُومُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ ، وَيَشْخَصُونَ بِأَبْصَارِهِمْ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ وَأَنْتَ مَعَهُمْ فِي ضَيْقِ مَقَامٍ ، وَطُولِ قِيَامٍ قَدْ جُمِعُوا .

وَقَدْ أُنْشِقَّتِ السَّمَاءُ فَوْقَهُمْ ، وَطَاشَتِ الْأَلْبَابُ ، وَذَهَلَتِ الْأَوْهَامُ ، وَتَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ ، وَتَلَجَّلَجَتِ الْأَلْسُنُ ، فَلَمْ يَدْرِ قَائِلٌ مَا يَقُولُ .

قال الله جل جلاله وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ وَأُنْذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَنَحْشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ .

فَيَا لَهُ مِنْ هَوْلٍ تَنْهَدُ مِنْهُ الْجِبَالُ ، فَكَيْفَ الرِّجَالُ ، وَيَا لَهُ مِنْ خَطْبٍ تَنْشَقُّ

منه السماء ، فكيف الأحشاء ، ففكر يا أخي فيما يشق سمعك من ذلك ،
وما يخلع قلبك من الرزع .

وكيف بك إذا رأيت الشمس مكورة فذهب ضوؤها ، والنجوم قد
طمست فمحي نورها ، وزالت عن مواضعها ، واشتبك الناس بعضهم في
بعض ، وصاروا كالفراش المبتوث ، وكانت الجبال كالعهن المنفوش ،
وقامت الملائكة على أرجاء السماء ، وأحاطت بالخلائق من كل الأرجاء .

والناس حفاة غرأة غرلاً كما خلقوا ، قال الله جل وعلا : ﴿ ولقد جئتمونا
فراذى كما خلقناكم أول مرة ﴾ .

فيآله من يوم يختلط فيه الرجال والنساء ، وقد أمثوا أن ينظر بعضهم إلى
بعض .

وفي مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله
ﷺ يقول : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً غُرَاةً غُرْلًا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ
يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

فَيَا لَكَ مِنْ هَوْلٍ مَا أَعْظَمَهُ ، وَمِنْ كَرَبٍ مَا أَشَدَّهُ ، وَمَنْ خَطِبَ مَا أُبْشِعَهُ
فَيَا لَكَ أَنْ تَسْتَبْطِئَ هَذَا الْيَوْمَ أَوْ تَسْتَبْعِدَهُ ، فَمَا سِيرَكَ إِلَيْهِ بِطِئٌ ، وَمَا هُوَ
مِنْكَ بِبَعِيدٍ ، وَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَامْتَدَّتِ الْعَايَةُ فَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ .

قال الله جل وعلا : ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار
يتعارفون بينهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا
ساعة من نهار ﴾ وقال تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو
ضحاه ﴾ وقال تعالى : ﴿ كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو

بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ ﴿١﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿٢﴾ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٣﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴿٥﴾ .

شِعْرًا :

يَا آمِنَ السَّاحَةِ لَا يُذَعَّرُ	يَنْ يَدِيكَ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ
وَأِنَّمَا أَنْتَ كَمَحْبُوسَةٍ	حُمَّ رَدَاهَا وَهِيَ لَا تَشْعُرُ
وَالْمَرْءُ مَنْصُوبٌ لَهُ حَتْفُهُ	لَوْ أَنَّهُ مِنْ عَمِهِ يُبْصِرُ
وَهَذِهِ النَّفْسُ لَهَا حَاجَةٌ	وَالْعُمُرُ عَنْ تَحْصِيلِهَا يَقْصُرُ
وَكُلَّمَا تُزَجَّرُ عَنْ مَطْلَبٍ	كَانَتْ بِهِ أَكْلَفَ إِذْ تُزَجَّرُ
وَأِنَّمَا تُقْصِرُ مَعْلُوبَةٌ	كَالْمَاءِ عَنْ عُصْرِهِ يَقْصُرُ
وَرُبَّمَا أَلْقَتْ مَعَاذِيرَهَا	لَوْ أَنَّهَا وَيَحَهَا تُعْذِرُ
وَنَاطِرُ الْمَوْتِ لَهَا نَاطِرُ	لَوْ أَنَّهَا تَنْظُرُ إِذْ يَنْظُرُ
وَزَائِرُ الْمَوْتِ لَهُ طَلْعَةٌ	يُبْصِرُهَا الْأَكْمَةُ وَالْمُبْصِرُ
وَرَوْعَةُ الْمَوْتِ لَهَا سَكْرَةٌ	مَا مِثْلُهَا مِنْ رَوْعَةٍ تَسْكِرُ
وَيَنْ أَطْبَاقُ الثَّرَى مَنْزِلُ	يَنْزِلُهُ الْأَعْظَمُ وَالْأَحْقَرُ
يَثْرُكَ ذُو الْفَخْرِ بِهِ فَخْرُهُ	وَصَاحِبُ الْكِبَرِ بِهِ يَصْغُرُ
قَدْ مَلَأَتْ أَرْجَاءَهُ رَوْعَةٌ	نَكِيرُهَا الْمَعْرُوفُ وَالْمُنْكَرُ
وَبَعْدُ مَا بَعْدُ وَأَعْظَمُ بِهِ	مِنْ مَشْهَدٍ مَا قَدْرُهُ يُقْدَرُ
يُرْجَفُ مِنْهُ الْوَرَى رَجْفَةٌ	يَنْهَدُ مِنْهَا الْمَلَأُ الْأَكْبَرُ
وَلَيْسَ هَذَا الْوَصْفُ مُسْتَوْفِيًا	كُلُّ الَّذِي مِنْ وَصْفِهِ يُذَكَّرُ
وَأِنَّمَا ذَا قَطْرَةٍ أُرْسِلَتْ	مِنْ أَبْحَرٍ تَتْبَعُهَا أَبْحَرُ
وَقَدْ أَتَاكَ الثَّبْتُ عَنْهُ بِمَا	أَخْبَرَكَ الصَّادِقُ إِذْ يُخْبِرُ
فَاعْمَلْ لَهُ وَنِكَ إِلَّا فَلَا	عُذْرَ وَمَا مِثْلُكَ مَنْ يُعْذِرُ

اللَّهُمَّ اَعْطِنَا مِنْ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ وَاَقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوْكَ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفُ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَصْلٌ

قال أحد العلماء إعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلّة فكرهم فيه ، وقلّة ذكرهم له ، والذي يذكّره ليس يذكّر بقلب فارغ بل بقلب مشغول بالدنيا وشهواتها ولا يفيد ذكر الموت في اللسان فقط .

فالطريق النافع بإذن الله أن يفرغ العبد قلبه عن كلّ شيء إلا عن ذكر الله وما والاه وذكر الموت الذي هو بين يديه قال جل وعلا : ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

فإذا أردت أن يؤثر فيك ذكر الموت فاجعل نفسك كالذي يريد أن يسافر إلى محل خطر أو إلى مفازة خطيرة أو كالذي يريد أن يركب في البحر أو في أي مركب من المراكب الخطرة فإنه لا يتفكر إلا فيه .

فإذا بآشر ذكر الموت قلبك فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحك وسرورك وينكسر قلبك ويضعف اهتمامك بالدنيا وشؤونها ويقوى اهتمامك للآخرة .

وأنجح الطرق لذلك بإذن الله تعالى أن تتذكر أقرانك في السنّ الذين

قَصَمَهُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ وَمُشْتَتِ الشَّمْلِ وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ فَتَذَكَّرُ مَوْتَهُمْ
وَمَصَارِعَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ ، وَتَذَكَّرُ صُورَهُمْ وَمَنَاصِبَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ ،
وَأَزْوَاجَهُمْ ، وَأَوْلَادَهُمْ ، وَمَسَاكِنَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ وَتَتَفَكَّرُ وَتَأْمُلُ كَيْفَ مَحَا
التُّرَابِ أَجْسَامَهُمْ وَحُسْنَ صُورِهِمْ وَكَيْفَ تَبَدَّدَتْ أَجْزَاؤُهُمْ فِي قُبُورِهِمْ وَكَيْفَ
أَزْمَلُوا نِسَاءَهُمْ وَأَيَّتَمُوا أَوْلَادَهُمْ وَضَيَّعُوا أَمْوَالَهُمْ الَّتِي قَاسُوا عَلَى جَمْعِهَا
الشَّدَائِدَ وَالْمَشَقَّاتِ وَتَنَعَّمَ بِهَا غَيْرُهُمْ يَمُنُّ جَاءَتْهُمْ عَفْوَاً بِلا تَعَبٍ وَالْحِسَابُ
وَالْتُّبَعَاتُ عَلَى الْمَسْكِينِ الَّذِي ضَيَّعَ نَفْسَهُ وَصَارَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَذِي جِرْصٍ تَرَاهُ يُلِمُّ وَفَرّاً لِيَوَارِيهِ وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ
كَكَلْبٍ الصَّيِّدِ يُنْسِكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيَسْتُهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

وَتَتَفَكَّرُ كَيْفَ خَلَتْ مِنْهُمْ الْمَسَاجِدُ وَالْمَجَالِسُ وَانْقَطَعَتْ آثَارُهُمْ فَمَهْمَا
تَذَكَّرْتَ أَوْلَئِكَ الزُّمْلَاءَ وَالْأَسَايِذَةَ وَالْمَشَايِخَ وَالْأَقَارِبَ وَالْجِيرَانَ وَتَصَوَّرْتَ حَالَهُ
وَمَوْتَهُ وَتَفَرَّقَهُمْ وَتَذَكَّرْتَ نَشَاطَهُمْ ، وَتَرَدُّدَهُمْ ، وَأَمْلَهُمْ فِي الْبَقَا لِلْعَيْشِ
وَنِسْيَانِهِمْ لِلْمَوْتِ وَانْخِدَاعِهِمْ لِلنَّفْسِ وَإِبْلِيسَ وَالْهَوَى وَالْدُّنْيَا وَرُكُوبِهِمْ إِلَى
الْقُوَّةِ وَالشَّبَابِ وَنِسْيَانِهِمْ لِلْمَوْتِ وَانْخِدَاعِهِمْ بِمُؤَاتَاتِ الْأَسْبَابِ ، وَمَيْلِهِمْ إِلَى
الضُّجُجِ وَاللَّهُوِ ، وَغَفَلَتِهِمْ عَمَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَوْتِ الْعَظِيمِ وَالْهَلَاكِ السَّرِيعِ .

وَيَتَفَكَّرُ كَيْفَ أَتَاهُمْ كَانُوا يَتَرَدَّدُونَ ، وَالْآنَ قَدْ تَهَدَّمَتْ أَجْسَادُهُمْ وَتَفَرَّقَتْ
أَوْصَالُهُمْ ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ وَيَمْرَحُونَ ، وَالْآنَ أَكَلَ الدُّودُ اللِّسَانَ
وَتَفَرَّقَتْ فِي الْقَبْرِ الْمَفَاصِلُ وَالْأَسْنَانُ .

وَيَتَفَكَّرُ كَيْفَ أَتَاهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَكْفِي لِعِدَّةِ سِنِينَ فِي وَقْتٍ
لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا زَمَنٌ يَسِيرٌ ، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ حَتَّى إِذَا
جَاءَهُمُ الْمَوْتُ فِي وَقْتٍ مَا أَحْتَسِبُوا لَهُ وَانْكَشَفَ لَهُمْ صُورَةُ الْمَلِكِ وَقَرَعَ
أَسْمَاعَهُمُ الْبِدَاءُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْظُرُ فِي نَفْسِهِ وَأَنَّهُ مِثْلَهُمْ وَغَفَلَتُهُ كَغَفَلَتِهِمْ وَسَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ
كَعَاقِبَتِهِمْ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِذَا ذَكَرْتَ الْمَوْتَ فَعُدَّ نَفْسَكَ كَأَحَدِهِمْ .

قال ابن الجوزي عَجِبْتُ مِنْ عَاقِلٍ يَرَى اسْتِيلَاءَ الْمَوْتِ عَلَى أَقْرَانِهِ وَجِيرَانِهِ
كَيْفَ يَطِيبُ عَيْشَهُ خُصُوصاً إِذَا عَلَتْ سَنَّهُ .

وَأَعَجَباً لِمَنْ يَرَى الْأَفَاعِي تَدْبُ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَنْزَعُجُ أَمَّا يَرَى الشَّيْخُ ذَيْبُ
الْمَوْتِ فِي أَعْضَائِهِ ثُمَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزِيدُ النَاقِصَ .

ففي نظر العاقل إلى نفسه ما يُشغله عن النظر إلى خراب الدنيا وفراق
الإخوان وإن كان ذلك مُزعجاً .

ولكن شغل من احترق بيته بنقل متاعه يُلْهِيه عن ذكر بيوت الجيران
انتهى ١ هـ .

فَمَلَا زَمَةَ هَذِهِ الْأَفْكَارِ وَأَمْثَالِهَا مَعَ دُخُولِ الْمَقَابِرِ وَالْمَسْتَشْفِيَّاتِ
وَالْمُصْتَوَصِّفَاتِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى هُوَ الَّذِي يُجَدِّدُ ذِكْرَ الْمَوْتِ فِي الْقَلْبِ حَتَّى
يَعْتَادُهُ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ بِحَيْثُ يَصِيرُ نَصَبَ عَيْنِيهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُوشِكُ أَنْ يَسْتَعِدَّ لَهُ
وَيَتَجَافَى عَنِ دَارِ الْغُرُورِ .

وَالْأَمْرُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ قَلِيلُ الْفَائِدَةِ وَ الْجَدْوَى فِي التَّحْذِيرِ وَالتَّشْبِيهِ
وَمَهْمَا طَابَ قَلْبُكَ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مَالٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ عَمَارَةٍ أَوْ فُلَةٍ أَوْ قَصْرِ أَوْ
بُسْتَانٍ .

يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ فِي الْحَالِ أَنَّكَ مُفَارِقُهُ فِرَاقٌ لَا يُشْبِهُهُ فِرَاقٌ .

نَظَرَ ابْنُ مُطِيعٍ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى دَارِهِ فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا ثُمَّ بَكَى وَقَالَ وَاللَّهِ لَوْلَا
الْمَوْتُ لَكُنْتُ بِكَ مَسْرُوراً وَلَوْلَا مَا نَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْقُبُورِ لَقَرَّتْ بِالدُّنْيَا
أَعْيُنُنَا ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيداً حَتَّى ارْتَفَعَ صَوْتُهُ .

عَادَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ عَلِيًّا فَوَافَقَهُ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَرَأَى ثَقْلَبَهُ وَشِدَّةَ
مَا نَزَلَ بِهِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى دَارِهِ قَدَّمُوا لَهُ طَعَامًا فَقَالَ عَلَيْكُمْ بِطَعَامِكُمْ وَشَرَابِكُمْ
فَإِنِّي رَأَيْتُ مَصْرَعًا لَا بُدَّ لِي مِنْهُ وَلَا أَزَالُ أَعْمَلُ حَتَّى أَلْقَاهُ .

وَكَانَ يَقُولُ إِيَّاكَ وَالْأَغْتَرَارَ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْتِكَ مِنَ اللَّهِ أَمَانٌ وَإِنَّ الْهَوَلَ الْأَعْظَمَ
وَالْأَمَرَ الْأَكْبَرَ أَمَامَكَ وَإِنَّكَ لَا بُدَّ أَنْ تَتَوَسَّدَ فِي قَبْرِكَ مَا قَدَّمْتَ إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ
وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ .

فَاغْتَنِمِ الْمُبَادَرَةَ فِي الْمُهْلِ وَإِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ بِالْعَمَلِ فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ فَأَعِدَّ
لِلْمَسْأَلَةِ جَوَابًا وَكَانَ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ إِلَّا خَائِفًا وَإِنْ كَانَ
مُحْسِنًا وَلَا يَصْلَحُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ وَلَا يُمْسِي إِلَّا خَائِفًا وَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا
وَلَا يَصْلَحُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَنَزَّاهُ بِمَخَافَتَيْنِ ذَنْبٌ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ
صَانِعٌ فِيهِ وَأَجَلٌ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ مُبْتَلِيهِ فِيهِ .

فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا فَكَّرَ وَاعْتَبَرَ وَاسْتَبْصَرَ فَأَبْصَرَ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ابْنَ
آدَمَ إِنَّ اللَّهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ أَمَرَ بِالطَّاعَةِ وَأَعَانَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَجْعَلْ عُذْرًا فِي تَرْكِهَا
وَنَهَى عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَأَغْنَى عَنْهَا وَلَمْ يُوسِّعْ لِأَحَدٍ فِي رُكُوبِهَا .

وَلَقَدْ رُوي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِآدَمَ أَنْتَ الْيَوْمَ عَذْلٌ
بَيْنِي وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ فَمَنْ رَجَحَ خَيْرُهُ عَلَى شَرِّهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ حَتَّى تَعْلَمَ أَنِّي
لَا أَعَذِّبُ إِلَّا ظَالِمًا .

وَكَانَ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ لَا يُعْرَثُكَ مَنْ حَوْلَكَ مِنَ السَّبَاعِ الْعَادِيَةِ إِيَّاكَ
وَحَلِيلَتِكَ ، وَخَادِمِكَ ، وَكَالِلَتِكَ ، أَمَّا ابْنُكَ فَمِثْلُ الْأَسَدِ يُنَارِعُكَ مَا بَيْنَ
يَدَيْكَ ، وَأَمَّا حَلِيلَتُكَ فَمِثْلُ الْكَلْبَةِ فِي الْهَرِيرِ وَالْبَصْبِصَةِ ، وَأَمَّا خَادِمُكَ فَمِثْلُ
الثَّعْلَبِ فِي الْحِيلَةِ وَالسَّرِيقَةِ ، وَأَمَّا كَالِلَتُكَ فَوَاللَّهِ لِدِرْهَمٍ يَصِلُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ مَوْتِكَ
أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ لَوْ كُنْتَ أَعْتَقْتَ رَقَبَةً .

فَإِيَّاكَ أَنْ تُوقِرَ ظَهْرَكَ بِصَلَاحِهِمْ ، فَإِنَّمَا لَكَ مِنْهُمْ أَيَّامُكَ الْقَلِيلُ وَإِذَا
وَضَعُوكَ فِي قَبْرِكَ انصَرَفُوا عَنْكَ ، فَصَفَّرُوا بَعْدَكَ الشَّيْبَ ، وَضَرَبُوا الدُّفُوفَ ،
وَضَحَكُوا الْقَهْقَرَةَ ، وَأَنْتَ تُحَاسِبُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ فَقَدْ لِنَفْسِكَ أَيُّ تَزُودٍ مِنَ
الْخَيْرِ .

شِعْرًا :

فَعُقِبَتِ كُلُّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ	مِنَ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتٍ
وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمٍ	يُوزَّعُ فِي الْبَيْنِ وَفِي الْبَنَاتِ
وَفِيمَنْ لَمْ نُؤْهِلْهُمْ بِفَلَسٍ	وَقِيَمَةِ حَبَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ
وَتُسَانَا الْأَحْبَةُ بَعْدَ عَشْرِ	وَقَدْ صِرْنَا عِظَامًا بِالْيَسَاتِ
كَأَنَّا لَمْ نَعَاشِرْهُمْ يَوْمًا	وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ حِلٌّ مُوَاتٍ

قال رحمه الله تعالى لَمَّا أَهْبَطَ آدَمُ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَرْبَعُ فَيَنْ جَمَاعِ الْأُمَرِ
لَكَ وَلَوْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ .

أَمَّا وَاحِدَةٌ فَلِي

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَلَكَ .

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَبَيْنِي وَبَيْنَكَ .

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ فَبَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ .

أَمَّا الَّتِي لِي فَتَعُدُّنِي وَلَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا .

وَأَمَّا الَّتِي لَكَ فَعَمَلُكَ أَجْزِيكَهُ أَفْقَرُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَعَلَيْكَ الدُّعَا وَعَلَيَّ الْإِجَابَةُ .

وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ فَتُصَاحِبُهُمْ مِمَّا تُحِبُّ أَنْ يُصَاحِبُوكَ بِهِ .

أَرْبَعُ مَنْ حَصَلَ عَلَيْهَا وَاجْتَمَعَتْ عِنْدَهُ اجْتَمَعَ لَهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

امرأة صالحة غفيرة ، وصديق موافق على طاعة الله ، ومال من حلال واسع يُنفقه في مراضى الله ، وعمل صالح .

أوصى رسول الله ﷺ رجلاً فقال هيء جهازك ، وقدم زادك ، وكن وصي نفسك ، فإنه لا تحلف من التقوى ، ولا عوص من الله عز وجل هـ .
من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعته عوض

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يُوصيه عليك بذكر الموت فإنه يشغلك عما سواه وعليك بكثرة الدعاء فإنك لا تدري متى يُستجاب لك وأكثر من الشكر فإنه زيادة .
شِعْرا :

كأني بنفسي وهي في السكرات	تعالج أن ترقى إلى اللّهوات
وقد زُم رَحلي واستقلت ركائبي	وقد آذنتني بالرحيل حداثي
إلى منزل فيه عذاب ورَحمة	وكم فيه من زجر لنا وعِظات
ومن أعين سالت على وجناتها	ومن أوجه في التراب مُنعِفات
ومن واري فيه على ما يسره	ومن واري فيه على الحسرات
ومن عائر ما أن يُقال له لعا	على ما عهدنا قبل في العثرات
ومن ملك كان السرور مهاده	مع الآسيات الخرد الحفرات
غدا لا يذود الذود عن حروجه	وكان يذود الأسد في الأجمات
وعوض أنسا من ضياء كِناسه	وأرامه بالرقش والحشرات
وصار يطن الأرض يلتحف الثرى	وكان يجر الوشي والحبرات
ولم تُغنيه أنصاره وجنوده	ولم تحميه بالبيض والأسلات
ومما شجاني والشجون كثيرة	ذئوب عظام أسبلت عبرات
وأقلقني أني أموت مفرطاً	على أنني تحلفت بعد لداتي

وَاغْفَلْتُ أَمْرِي بَعْدَهُمْ مُتَشَبِّطاً
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو جَهْلَ نَفْسِي فَإِنَّهَا
وَيَا رَبِّ خَلُّ كُنْتُ ذَاصِلَةً لَهُ
وَكُنْتُ لَهُ أَنْسَاءً وَشَمْساً مُنِيرَةً
سَأَضْرِبُ فُسْطَادِي عَلَى عَسْكَرِ الْبَلَى
وَأَرْكَبُ ظَهراً لَا يُؤُوبُ بِرَكِيبٍ
وَلَيْسَ يُرَى إِلَّا بِسَاحَةِ ظَاغِنٍ
يُسِيرُ أَذْنِي النَّاسِ سَيْراً كَسِيرِهِ
فَطَوَّراً تَرَاهُ يَحْمِلُ الشَّمَّ وَالرُّبَا
وَرَبِّ حَصَاةٍ قَدَرُهَا فَوْقَ يَذْبُلٍ
وَكُلِّ صَغِيرٍ كَانَ لِلَّهِ خَالِصاً
وَكُلِّ كَبِيرٍ لَا يَكُونُ لَوَجْهِهِ
وَلَكِنَّهُ يُرْجَى لِمَنْ مَاتَ مُحْسِناً
وَمَا الْيَوْمُ يَمْتَأَزُ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ
إِذَا رُوعَ الْخَاطِي وَطَارَ فُؤَادُهُ
وَمَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ أَيْنَ وَفَاتُهُ
فِي إِخْوَتِي مَهْمَا شَهِدْتُمْ جَنَازَتِي
وَجُدُّوا ابْتِهَالاً فِي الدُّعَاءِ وَاخْلِصُوا
وَقُولُوا جَمِيلاً إِنْ عَلِمْتُمْ خِلَافَهُ
وَلَا تُصِفُونِي بِالَّذِي أَنَا أَهْلُهُ
وَلَا تَتَنَاسَوْنِي فَقَدْ مَآ ذَكَرْتَكُمْ
وَبِالرَّغْمِ فَارَقْتُ الْأَحِبَّةَ مِنْكُمْ
وَإِنْ كُنْتُ مَيِّتاً بَيْنَ أَيْدِيكُمْ لَقَاءً

فَيَا عَجَباً مِنِّي وَمِنْ غَفْلَاتِي
تَمِيلُ إِلَى الرَّاحَاتِ وَالشَّهَوَاتِ
يَرَى أَنَّ دَفْنِي مِنْ أَجْلِ صَلَاتِي
فَأَفْرَدَنِي فِي وَحْشَةِ الظُّلُمَاتِ
وَأَرْكُزُ فِيهِ لِلنُّزُلِ قَنَاتِي
وَلَا يُمْتَطَى إِلَّا إِلَى الْهَلَكَاتِ
إِلَى مَصْرَعِ الْفَرَحَاتِ وَالنَّزَحَاتِ
بَارْفَعِ مَنْعِي مِنَ السَّرَوَاتِ
وَطَوَّراً تَرَاهُ يَحْمِلُ الْحَصِيَّاتِ
كَمَقْبُولٍ مَا يُرْمَى مِنَ الْجَمَرَاتِ
يُرَبِّي عَلَى مَا جَاءَ فِي الصَّدَقَاتِ
فَمِثْلُ رَمَادٍ طَارَ فِي الْهَبَوَاتِ
وَيُخْشَى عَلَى مَنْ مَاتَ فِي غَمَرَاتِ
وَلَكِنْ غَدَاً يَمْتَأَزُ فِي الدَّرَجَاتِ
وَأُفْرَخَ رَوْعُ الْبَرِّ فِي الْغُرَفَاتِ
أَفِي الْبَرِّ أَمْ فِي الْبَحْرِ أَمْ بِفَلَاةٍ
فَقُومُوا لِرَبِّي وَاسْأَلُوهُ نَجَاتِي
لَعَلَّ إِلَهِي يَقْبَلُ الدَّعَوَاتِ
وَأَغْضُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْ هَفَوَاتِي
فَأَشْقَى وَحَلُّوني بِخَيْرِ صِفَاتِي
وَوَاصِلَتُكُمْ بِالْبَرِّ طُولَ حَيَاتِي
وَلَمَّا تُفَارِقُنِي بِكُمْ زَفَرَاتِي
فَرُوحِي حَيٌّ سَامِعٌ لِنَعَاتِي

أَنَا جِيئَكُمْ حَيًّا وَإِنْ كُنْتُ صَامِتًا أَلَا كُلُّكُمْ يَوْمًا إِلَيَّ سَيَّاتِي
وَلَيْسَ يَقُومُ الْجِسْمُ إِلَّا بِرُوحِهِ هُوَ الْقُطْبُ وَالْأَعْضَاءُ كَالْأَدْوَاتِ
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يَحُورَ بِعَيْنِهِ لِيُجْزَى عَلَى الطَّاعَاتِ وَالتَّبَعَاتِ
وَالْأَكُنْ أَهْلًا لِفَضْلِ وَرَحْمَةِ فَرَبِّي أَهْلُ الْفَضْلِ وَالرَّحِمَاتِ
فَمَا زِلْتُ أَرْجُو عَفْوَهُ وَجَنَانَهُ وَأَحْمَدُهُ فِي الْيُسْرِ وَالْأَزِمَاتِ
وَأَسْجُدُ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَذَلُّلًا وَأَعْبُدُهُ فِي الْجَهْرِ وَالْخَلَوَاتِ
وَلَسْتُ بِمُتَمَتِّنٍ عَلَيْهِ بِطَاعَتِي لَهُ الْمُنُّ فِي التَّيْسِيرِ لِلْحَسَنَاتِ

اللَّهُمَّ اسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ،
وَأَمْنُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

فَصْلٌ

وقال رحمه الله ثم لا تغفل عن الميزانِ وَتَطَائِرِ الْكُتُبِ إِلَى الْإِيمَانِ
وَالشَّمَائِلِ ، فَإِنَّ النَّاسَ بَعْدَ السُّؤَالِ ثَلَاثُ فِرَقٍ فِرْقَةٌ لَيْسَ لَهُمْ حَسَنَةٌ .

فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ عَتَقَ أَسْوَدُ يَلْتَقِطُهُمْ لَقَطَ الطَّيْرِ الْحَبِّ وَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ
وَيُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ فَتَبْتَلُعُهُمُ النَّارُ وَيُنَادِي عَلَيْهِمْ شَقَاوَةٌ لَا سَعَادَةَ بَعْدَهَا .

وَقِسْمٌ آخَرُ لَيْسَ لَهُمْ سَيِّئَةٌ فَيُنَادِي مُنَادٍ لِيَقُمْ الْحَمَّادُونَ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ
حَالٍ ، فَيَقُومُونَ وَيَسْرَحُونَ إِلَى الْجَنَّةِ .

ثُمَّ يُفْعَلُ ذَلِكَ بِأَهْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ ثُمَّ بِمَنْ لَمْ تُشْغَلْهُ تِجَارَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَبْغِيهَا عَنْ
ذِكْرِ اللَّهِ وَيُنَادَى عَلَيْهِمْ سَعَادَةٌ لَا شَقَاوَةَ بَعْدَهَا .

وَيَبْقَى قِسْمٌ ثَلَاثٌ وَهُمْ الْأَكْثَرُونَ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَهُوَ
يَخْفَى عَلَيْهِمْ وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ أَنَّ الْغَالِبَ حَسَنَاتُهُمْ أَوْ سَيِّئَاتُهُمْ .

وَلَكِنْ يَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُعَرِّفَهُمْ ذَلِكَ لِيُبَيِّنَ فَضْلَهُ عِنْدَ الْعَفْوِ وَعَدْلَهُ عِنْدَ
الْعِقَابِ فَتَطَايَرُ الصُّحُفُ وَالْكَتُبُ مُنْطَوِيَّةٌ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
وَيُنْصَبُ الْمِيزَانُ وَتَشْخَصُ الْأَبْصَارُ إِلَى الْكَتُبِ أَتَقَعُ فِي الْيَمِينِ أَوْ فِي
الشَّمَالِ .

ثُمَّ إِلَى الْمِيزَانِ أَيْمِيلُ إِلَى جَانِبِ السَّيِّئَاتِ أَوْ إِلَى جَانِبِ الْحَسَنَاتِ وَهَذِهِ
حَالَةٌ تَطْيِيشُ فِيهَا عُقُولُ الْخَلَائِقِ أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا ذَكَرَتْ النَّارَ فَبَكَتْ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يَبْكِيكِ قُلْتُ ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيتُ فَهَلْ تَذْكُرُونَ
أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا عِنْدَ
الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَحِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ وَعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ
يَقَعُ كِتَابُهُ فِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَجُوزَ .

وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَل
وَعَلَا : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْسَاءٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ قَالَ يُدْعَى أَحَدُهُمْ فَيُعْطَى كِتَابُهُ
بِيَمِينِهِ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتْرٌ ذِرَاعًا وَيُبَيِّضُ وَجْهَهُ وَيُجْعَلُ عَلَى وَاسِئِهِ تَاجٌ
مِنْ لَوْلُؤٍ يَتَلَأَلُ .

فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعِيدٍ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ ارْتِنَّا بِهَذَا وَبَارِكْ لَنَا فِي
هَذَا فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَبْشِرُوا لِكُلِّ رَجُلٍ مُسْلِمٍ مِثْلُ هَذَا .

قَالَ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَسْوَدُ وَيُمَدُّ فِي جَسَدِهِ سِتُونُ ذِرَاعًا عَلَى صُورَةِ آدَمَ
فَيُلْبَسُ تَاجٌ مِنْ نَارٍ فَيَرَى أَصْحَابَهُ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا اللَّهُمَّ لَا تَأْتِنَا
بِهِ فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ أَخْرِهُ فَيَقُولُ أَبْعَدْكُمْ اللَّهُ فَإِنْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلُ هَذَا .

شِعْرًا :

أُمِدُّ يَمِينِكَ مِنْ دُنْيَاكَ آخِذَةً كِتَابَ فُوزِكَ إِذْ تَحْتَلُّ أَخْرَاكَ
فَلَسْتَ تُدْرِكُ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ أَمَلٍ إِلَّا بِوَاسِطَةٍ مِنْ دَارِ دُنْيَاكَ
فَإِنْ تَكَاسَلْتَ أَوْ قَصَّرْتَ فِي طَلَبِ كُنْتَ الْمُخَيَّبَ وَالْمَطْلُوبَ إِذْ ذَاكَ
يَا نَائِمَ الْقَلْبِ عَنْ أَمْرِ يُرَادُ بِهِ نَبْهَهُ وَيُنْحَكَ إِنَّ الْأَمْرَ حَاذَاكَ
وَاشْدُدْ حُزْنَكَ وَاكْشِفْ سَاعِدَيْكَ لَهُ فَرَبَّمَا حُمِدَتْ بِالْجِدِّ عُقْبَاكَ
كَمْ رَابِحٍ يَكْتَابُ كَانَ أَمْلَاهُ هَنَا بَمَا شَاءَ لَا مَنْ كَانَ أَفَاكَ
فَظَلَّ مُرْتَقِيًا أَذْرَاجَ مَكْرَمَةٍ فِي عَذَنِ أَوْ نَازِلًا فِي السَّارِ أَذْرَاكَ
وطلعة الموت تُبْدي عن حقيقة مَا تُمْلِي فَايَاكَ أَنْ تُنْسَاهُ إِيَّاكَ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ
صَلَاحٌ دِينَنَا وَدُنْيَانَا وَأُخْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فصل

ذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يُجَاءُ
بَابَ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَذَخٌ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أُعْطَيْتُكَ وَخَوَّلْتُكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ فَمَاذَا صَنَعْتَ فَيَقُولُ جَمَعْتُهُ
وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِيكَ بِهِ فَيَقُولُ لَهُ أَرِنِي مَا قَدَّمْتَ فَيَقُولُ

يَا رَبِّ جَمَعْتُهُ وَثَمَرْتُهُ وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ
خَيْرًا فَيَمُضَى بِهِ إِلَى النَّارِ .

فَتَفَكَّرْ يَا مُسْكِينِ فِي نَفْسِكَ مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ تَحْكُمُ فِي مَالِكَ
وَلَا لَكَ مُعَارِضٌ وَتَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ شِئْتَ وَاجْعَلْ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ نَصَبَ
عَيْنِكَ بَيْنَ مَا أَنْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي قَدْ امْتَلَأْتَ فِيهِ الْقُلُوبُ مِنَ الْخَوْفِ
وَالْقَلَقِ وَالرُّغْبِ وَالذُّعْرِ وَالْانْزِعَاجِ وَقَدْ بَلَعْتَ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ .

قال تعالى : ﴿ وَأُنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ ﴾
فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي حُدِثَتْ عَنْهَا إِذْ جِيءَ بِجَهَنَّمَ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ
زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا حَتَّى تَكُونَ بِمَرَأَى مِنَ الْخَلْقِ
وَمَسْمُوعَ يَرَوْنَ لَهَيْبَتِهَا وَيَسْمَعُونَ زَفِيرَهَا فَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي تِلْكَ الْحَالِ إِذَا أُخِذَ
بِضْبُعِكَ وَقُبِضَ عَلَى عِضْدَيْكَ وَجِيءَ بِكَ تَتَخَطَّى الرُّقَابَ وَتَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ
وَالْخَلَائِقُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَسُئِلْتَ عَنِ الْقَلِيلِ
وَالكَثِيرِ وَالْدَقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالْقَطْمِيرِ وَالنَّقِيرِ وَلَا تَجِدُ أَحَدًا يُجَاوِبُ عَنْكَ بِلَفْظَةٍ
وَلَا يُعِينُكَ بِكَلِمَةٍ وَلَا يَرُدُّ عَنْكَ جَوَابًا فِي مَسْأَلَةٍ .

وَأَنْتَ شَاهَدْتَ مِنْ عِظَمِ الْأَمْرِ وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ وَهَيْبَةِ الْحَظَرَةِ مَا أَذْهَبَ
بَيَانَكَ وَأُخْرَسَ لِسَانُكَ وَأَذْهَلَ جَنَانُكَ .

وَنَظَرْتَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَبَيْنَ يَدَيْكَ فَلَمْ تَرَ إِلَّا النَّارَ وَعَمَلَكَ الَّذِي كُنْتَ
تَعْمَلُ وَكَلِمَكَ رَبُّ الْعِزَّةِ جَلَّ جَلَالُهُ بِغَيْرِ حِجَابٍ يَحْجُبُكَ وَلَا تُرْجَمَانِ
يُتَرَجَّمُ لَكَ .

وَكَيْفَ تَكُونُ حَيْرُتُكَ وَدَهْشَتُكَ إِذَا قِيلَ عَامَلْتَ فَلَانًا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي
كَذَا وَكَذَا وَغَبْنَتَهُ فِي كَذَا وَكَذَا وَغَشَّشْتَهُ فِي السِّلَعَةِ الْفُلَانِيَّةِ .

وَتَرَكْتَ نَصِيحَتَهُ فِي كَذَا وَكَذَا وَبَعْتَهُ السِّلْعَةَ الْمَعْيُوبَةَ وَلَمْ تُبَيِّنْ لَهُ الْعَيْبَ أَوْ
غَضِبْتَ فُلَانًا أَوْ ظَلَمْتَ فُلَانًا أَوْ قَتَلْتَ فُلَانًا أَوْ أَعَنْتَ عَلَى قَتْلِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ .
وَقِيلَ مَا حُجَّتُكَ أَقِمِ بَيِّنَةً إِنْ يُرْهَانُ فَأَرَدْتَ الْكَلَامَ فَلَمْ تُبَيِّنْ وَجِئْتَ بِعُذْرٍ
فَلَمْ يَسْتَبِينَ هِيَاثَ أَنِّي لَكَ الْكَلَامَ وَلَمْ تُنْقِضْهُ وَأَنْتَ لَكَ بِالْعُذْرِ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا لَمْ
تُصَحِّحْهُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ الْآيَاتِ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ
النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ الْآيَتِينَ .

فَانْظُرْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ عِنْدَ السُّؤَالِ بِأَيِّ بَدَنِ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَبِأَيِّ لِسَانٍ
تُجِيبُهُ فَاعِدٌ لِلْسُّؤَالِ جَوَابًا وَلِلْجَوَابِ صَوَابًا فَمَا شِئْتَ مِنْ قَلْبٍ يُخْلَعُ وَمِنْ كَيْدٍ
تُصْنَدُ وَمِنْ لِسَانٍ يَتَلَجَّجُ وَمِنْ أَحْشَاءٍ تَتَمَوَّجُ وَمِنْ نَفْسٍ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ .

وَانْظُرْ مَا أَشَامَ تِلْكَ الْأَرْبَاحُ الَّتِي رَبِحْتَهَا وَأَخْسَرَ تِلْكَ الْمَعَامَلَاتِ الَّتِي
أَلْهَيْتَكَ عَنْ مَا خُلِقْتَ لَهُ انْظُرْ كَيْفَ ذَهَبَتْ عَنْكَ مَسْرَاتُهَا وَبَقِيَتْ حَسَرَاتُهَا
وَالشَّهَوَاتُ الَّتِي فِي ظُلْمِ الْعِبَادِ انْفَذَتْهَا كَيْفَ ذَهَبَ عَنْكَ الْفَرْحُ بِهَا وَبَقِيَتْ
التَّعَبَةُ

وَانْظُرْ هَلْ يَقْبَلُ مِنْكَ فِدَا فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الرَّهِيْبِ وَمَا الَّذِي يَخْلُصُكَ مِنْ
ذَلِكَ السُّؤَالِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْئًا ﴾ .

وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ يَتَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ يُيَعَّثَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَلَا تُعْرَضَ قَبَائِحُهُمْ
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تُكْشَفَ مَسَاوِيئُهُمْ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهَذَا
الْمَقَامِ وَبِهَذَا السُّؤَالِ وَبِهَذَا النَّكَالِ وَالْوَبَالِ .

وما ظَنُّكَ بِنَفْسِكَ وقد جِيءَ بِجَهَنَّمَ على الوَصْفِ الذي تَقَدَّمَ وقد دَنَتْ
مِنَ الْخَلَائِقِ ، وَشَهَقَتْ وَزَفَرَتْ ، وَثَارَتْ ، وَفَارَتْ .

وَنَهَضَ خُزَّانُهَا ، وَالْمُوكِّلُونَ بِهَا ، وَالْمُعَدُّونَ لِتَعْدِيبِ أَهْلِهَا مُتَسَارِعِينَ
إِلَى أَخِيذٍ مِّنْ أُمُورٍ بِأَخِيذِهِ ، سَاجِدِينَ لَهُ على بَطْنِهِ ، وَخَرُّوْهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ
لِلَّهِ ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

فَتَصَوَّرَ حَالِكَ ، وَكَيْفَ وَقَدِ امْتَلَأَتِ الْقُلُوبُ خَوْفًا وَرُغْبًا وَذُعْرًا وَفَزَعًا ،
وَارْتَعَدَتِ الْفَرَائِصُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَاصْطَفَقَتِ الْأَحْشَاءُ ،
وَتَقَطَّعَتِ الْأَمْعَاءُ ، وَطَلَّبُوا الْفِرَارَ وَطَارُوا لَوْ يَحْصُلُ لَهُمْ مَطَارٌ .

وَجَثَّتِ الْأُمَمُ عَلَى الرُّكَبِ وَأَيَّقَنَ الْمَذْنِبُونَ بِالْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ وَسُوءِ
الْمُنْقَلَبِ ، وَنَادَى الْأَنْبِيَاءُ ، وَالصِّدِّيقُونَ ، وَالْأَوْلِيَاءُ نَفْسِي نَفْسِي .

كُلُّ نَفْسٍ قَدْ أُفْرِدَتْ لِشَأْنِهَا وَتُرِكَتْ لِمَا بِهَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ :
﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ
لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ وَظَنَّ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنَّهُ هُوَ
الْمَأْخُودُ ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ ، وَ الْمَطْلُوبُ ، وَذَهَلَتِ الْعُقُولُ ، وَطَاشَتِ
الْأَلْبَابُ ، وَتَحَيَّرَتِ الْأُذْهَانُ ، وَفَرَّ الْمَرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبْنَاهُ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ .

وَاشْتَغَلَ بِشَأْنِهِ الَّذِي يَهْمُهُ وَيَعْنِيهِ ، وَسُئِلَ عَنْ جَمِيعِ أَمْرِهِ سِرِّهِ وَجَهْرِهِ
دَقِيقِهِ وَجَلِيلِهِ كَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ ، وَسُئِلَ عَنْ أَعْضَائِهِ غُضُوًّا وَغُضُوًّا وَجَارِحَةً ، وَعَنْ
شُكْرِهِ عَلَيْهَا ، وَعَنْ أَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا .

وظَهَرَتِ الْقَبَائِحُ وَكَثُرَتِ الْفَضَائِحُ ، وَبَدَّتِ الْخِزَايُ وَاشْتَهَرَتِ الْمَسَاوِي ،
وَتَرَكَكَ الْأَهْلُ وَالْأَقْرَبُونَ ، وَلَمْ يَنْفَعَكَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، وَأَقْبَلَتْ تُجَادِلُ عَنْ
نَفْسِكَ وَتَخَاصِمُ عَنْهَا وَتَطْلُبُ الْمَعَاذِيرَ لَهَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ
نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ .

وقد أسلمت وأفردت واشتغل كل إنسان عنك بنفسه قال الله جل وعلا : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئا ﴾ الآية .

وأنشدوا :

تخليلني ما أفضى وما أنا قائل إذا جئت عن نفسي بنفسي أجادل
وقد وضع الرحمن في المخلوق عدله وسيق جميع الناس واليوم بأسل
وجيء بجرم النار خاضعة له وثلت عروش عندها ومجادل
فيأليت شعري ذلك اليوم هل أنا أغفر أم أجزي بما أنا فاعل
فإن أك مجزياً فعذل وسجدة وإن يك غفران ففضل ونائل

اللهم ثبت محبتك في قلوبنا وقوها وارزقنا القيام بطاعتك وجنبنا ما
يسخطك وأصلح نياتنا وذرياتنا وأعدنا من شر نفوسنا وسيئات أعمالنا وأعدنا
من عذوك وأجعل هواناً تبعاً لما جاء به رسولك صلى الله عليه وسلم واغفر لنا
وليوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فصل في التحذير من النار وما أعد لأهلها

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت
للكافرين ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم
ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ إن لدينا أنكالا
وجعجعا وطعاما ذا غصّة وعذابا ليلا ﴾ .

فيا أيها الغافل عن نفسه المعرور بما هو فيه من شواغل الدنيا المشرفة

على الإنقضاء والزوال ، دَعِ الاشتغال والتفكير فيما أنت مُرتحل عنه ،
واصْرِفْ فِكْرَكَ واجتِهادَكَ إلى مَوْرِدِكَ الذي سَتَرِدُهُ ، فَإِنَّكَ أُخْبِرْتَ أَنَّ النَّارَ
مَوْرِدٌ لِلْجَمِيعِ .

قال الله جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا
مَقْضِيًّا ﴾ فَأَنْتَ مِنَ الْوُرُودِ عَلَى يَقِينٍ ، ومن النجاة في شك .

فاستشعر في قلبك هول ذلك المَوْرِدِ فَعَسَاكَ تَسْتَعِدُّ لِلنَّجَاةِ منه ، وتأمل
في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة وأهوالها وشدائدها ما قاسوا .

فبينما هم في كُرْبِهَا وَأَهْوَالِهَا وَدَوَاهِيهَا وَقُوفًا يَنْتَظِرُونَ حَقِيقَةَ أَخْبَارِهَا
وَتَشْفِيعَ شُفَعَائِهَا إِذَا أَحَاطَتْ بِالْمُجْرِمِينَ ظُلُمَتْ ذَاتُ شُعَبٍ وَأُظْلِمَتْ عَلَيْهِم نَارُ
ذَاتِ لَهَبٍ وَسَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا وَجَرَجَرَةً تُفْصِحُ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْضِ وَالْغَضَبِ .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا
وَزَفِيرًا ﴾ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَتَقَنَ الْمُجْرِمُونَ بِالْعَطَبِ ، قال الله عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :
﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ .

وَجِئْتَ الْأُمَمَ عَلَى الرُّكْبِ حَتَّى أَشْفَقَ الْبُرَّاءُ مِنْ سُوءِ الْمُتَقَلِّبِ ، قال الله
جل وعلا وتقدس : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تَدْعِي إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وخرَجَ المنادي قائلاً أَيْنَ فَلَانُ الْمُسَوِّفُ نَفْسُهُ فِي الدُّنْيَا بِطُولِ الْأَمَلِ ،
المضِيعُ عُمُرَهُ فِي سُوءِ الْعَمَلِ .

فَيَبَادِرُونَهُ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ وَيَسْتَقْبِلُونَهُ بِعِظَائِمِ التَّهْدِيدِ وَيَسُوقُونَهُ إِلَى
الْعَذَابِ الشَّدِيدِ وَيُنْكَسُونَهُ فِي جَهَنَّمَ وَيَقُولُونَ لَهُ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْكَرِيمُ ﴾ .

فَأَسْكِنُوا دَاراً ضَيِّقَةً الْآرْجَاءِ ، مُظْلِمَةً الْمَسَالِكِ ، مُبْهَمَةً الْمَهَالِكِ ، قَالَ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ دَارٌ
يُخْلَدُ فِيهَا الْأَسِيرُ وَيُوقَدُ فِيهَا السَّعِيرُ شَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ وَمُسْتَقَرُّهُمْ الْجَحِيمُ .

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴾ الْهَآوِيَّةُ
تَجْمَعُهُمُ وَالزَّبَانِيَّةُ تَقْمَعُهُمُ .

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ
فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ
كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ أَمَانِيَّتُهُمْ فِيهَا
الْهَلَاكُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْهَا فِكَكَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا
رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُثُونَ ﴾ قَدْ شُدَّتْ أَقْدَامُهُمْ إِلَى النَّوَاصِي ، وَاسْوَدَّتْ
وَجُوهُهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْمَعَاصِي .

يُنَادُونَ مِنْ أَكْنَافِهَا وَيَصِيحُونَ فِي نَوَاجِيْهَا وَأَطْرَافِهَا يَا مَالِكُ قَدْ حَقَّ عَلَيْنَا
الْوَعْدُ يَا مَالِكُ قَدْ أَثْقَلْنَا الْحَدِيدَ ، يَا مَالِكُ قَدْ نَضِجَتْ مِنَّا الْجُلُودُ ، يَا مَالِكُ
الْعَدَمُ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ ، يَا مَالِكُ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا لَا نَعُودُ .

فَتَقُولُ الزَّبَانِيَّةُ هَيْهَاتَ لَا تَجِيَنَّ مِنْ هَاهُنَا ، وَلَا تَخْرُجْ لَكُمْ مِنْ دَارِ الْهُونِ قَالَ اللَّهُ
جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا
ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ، قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ .

وَلَوْ خَرَجْتُمْ لَكُنْتُمْ إِلَى مَا تُهَيِّتُوا عَنْهُ تَعُودُونَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ

من المؤمنين ، بل بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْنَطُونَ وَعَلَى تَفْرِيطِهِمْ فِي جَنْبِ اللَّهِ يَتَأَسَّفُونَ وَلَا يُنْجِيهِمُ النَّدَمُ وَلَا يُغْنِيهِمُ الْأَسَفُ بَلْ يُكَبِّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ مَغْلُولِينَ قَالَ تَعَالَى : ﴿١١﴾ فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُنُ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿١٢﴾ .

النَّارُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَالنَّارُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَالنَّارُ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَالنَّارُ عَنْ شِمَائِلِهِمْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿١٣﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴿١٤﴾ فَهُمْ غَرَقُوا فِي النَّارِ طَعَامُهُمْ نَارٌ وَشَرَابُهُمْ نَارٌ وَلِبَاسُهُمْ نَارٌ وَمِهَادُهُمْ نَارٌ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴿١٦﴾ .

فَهُمْ بَيْنَ مُقَطَّعَاتِ النَّيِّرِ وَسَرَائِلِ الْقَطِرَانِ وَضُرْبِ الْمَقَامِعِ وَثِقَلِ السَّلَاسِلِ فَهُمْ يَتَجَلَّجَلُونَ فِي مَضَائِقِهَا وَيَتَحَطَّمُونَ فِي دَرَكَاتِهَا وَيَضْطَرِبُونَ فِي غَوَاشِيهَا تَغْلِي بِهِمُ النَّارُ كَغَلْيِ الْقُدُورِ وَيَهْتِفُونَ بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿١٧﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨﴾ .

قِيلَ إِنَّ مَقَامِعَ الْحَدِيدِ تُهَشَّمُ بِهَا جِبَاهُهُمْ فَيَتَفَجَّرُ الصَّدِيدُ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَتَنْقَطِعُ مِنَ الْعَطَشِ أَكْبَادُهُمْ وَتَسِيلُ عَلَى الْخُدُودِ أَحْدَاقُهُمْ وَتَسْقُطُ مِنَ الْوَجَنَاتِ لُحُومُهَا وَتَتَمَرَّقُ الْجُلُودُ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿١٩﴾ كُلَّمَا نُصِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴿٢٠﴾ قَدْ عَرِيتُ مِنَ اللَّحْمِ عِظَامُهُمْ فَبَقِيَتْ الْأَرْوَاحُ مَنْوُطَةٌ بِالْعُرُوقِ وَعَلَاتِقُ الْعَصَبِ وَهِيَ تَنِيشُ فِي لَفْحِ تِلْكَ النَّيِّرِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ فَلَا يَمُوتُونَ .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم وأغميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم وجميع بين النواصي والأقدام .

قال تعالى : ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَنَعَشَرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ .

فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم . ذكر الترمذي من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطَلِقُ يَقُولُ إِنِّي رُكِّلْتُ بِثَلَاثَةِ يَمَنٍ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَيَكُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٌ وَبِالْمُصَوِّرِينَ » .

وذكر الترمذي من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ قال : يُقَرَّبُ إِلَىٰ فِيهِ فَيَكْرَهُهُ فَإِذَا أَذْنِي مِنْهُ شَوَىٰ وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فِرَّةُ رَأْسِهِ فَإِذَا شَرِبَ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسَقُوا مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ ويقول : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِشَرِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

وأنشدوا :

أَمَا سَمِعْتَ بِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ وَعَنْ مَقَاسَاةٍ مَا يَلْقَوْنَ فِي النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِأَكْبَادِهِمْ لَهْمٌ صَدَعَتْ خَوْفًا مِنَ النَّارِ قَدْ ذَابَتْ عَلَى النَّارِ

أَمَّا سَمِعْتَ بِأُغْلَالٍ تُنَاطُ بِهِمْ
أَمَّا سَمِعْتَ بِضَيْقٍ فِي مَجَالِسِهِمْ
أَمَّا سَمِعْتَ بِحَيَاتٍ تَدْبُ بِهَا
أَمَّا سَمِعْتَ بِأَجْسَادٍ لَهُمْ نَضِجَتْ
أَمَّا سَمِعْتَ بِمَا يُكَلِّفُونَ بِهِ
حَتَّى إِذَا مَا عَلَوْا عَلَى شَوَاهِقِهَا
أَمَّا سَمِعْتَ بِزُقُومٍ يُسَوِّغُهُ
يُسْقَوْنَ مِنْهُ كُؤُوساً مُلَّتْ سَقَمًا
يَشْوِي الْوُجُوهَ وَجُوهًا أَلْبَسَتْ ظُلَمًا
وَلَا يَنَامُونَ إِنْ طَافَ الْمَنَامُ بِهِمْ
إِنْ يَسْتَقِيلُوا فَلَا تُقَالُ عُثْرَتُهُمْ
وَإِنْ أَرَادُوا خُرُوجًا رُدَّ خَارِجُهُمْ
فَهُمْ إِلَى النَّارِ مَدْفُوعُونَ بِالنَّارِ
مَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ
فَهَذِهِ صَدَعَتْ أَكْبَادَ سَامِعِهَا
وَلَوْ يَكُونُ إِلَى وَقْتِ عَذَابِهِمْ
فَيَا إِلَهِي وَمَنْ أَحْكَامُهُ سَبَقَتْ
رَحْمَاكَ يَا رَبِّ فِي ضَعْفِي وَفِي ضَعْفِي
وَلَا عَلَى حَرِّ شَمْسٍ إِنْ بَرَزْتُ لَهَا
فَإِنْ تَعَمَّدَنِي عَفْوٌ وَثَقْتُ بِهِ

فَيَسْحَبُونَ بِهَا سَحْبًا عَلَى النَّارِ
وَفِي الْفِرَارِ وَلَا فِرَارَ فِي النَّارِ
إِلَيْهِمْ خُلِقَتْ مِنْ خَالِصِ النَّارِ
مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ غَلِي عَلَى النَّارِ
مِنْ ارْتِقَاءِ جَبَالِ النَّارِ فِي النَّارِ
صَبُّوا بَعُفٍ إِلَى أَسَافِلِ النَّارِ
مَاءٌ صَدِيدٌ وَلَا تَسْوِغُ فِي النَّارِ
تَرْمِي بِأَمْعَائِهِمْ رَمِيًا عَلَى النَّارِ
بِئْسَ الشَّرَابُ شَرَابُ سَاكِنِي النَّارِ
وَلَا مَنَامَ لِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ
أَوْ يَسْتَقِيلُوا فَلَا غِيَاثَ فِي النَّارِ
بِمَقْمَعِ النَّارِ مَدْحُورًا إِلَى النَّارِ
وَهُمْ مِنَ النَّارِ يُهْرَعُونَ لِلنَّارِ
وَلَا تُفْتَرُ عَنْهُمْ سَوْرَةٌ النَّارِ
مِنْ ذِي الْحِجَبِ وَمِنْ التَّخْلِيدِ فِي النَّارِ
فِي النَّارِ هَوْنٌ ذَاكُمْ لَفَحَةِ النَّارِ
فِي الْفِرْقَتَيْنِ مِنَ الْجَنَّاتِ وَالنَّارِ
فَمَا وَجُودِكَ لِي صَبْرٌ عَلَى النَّارِ
فَكَيْفَ أَصْبِرُ يَا مَوْلَايَ لِلنَّارِ
مِنْكُمْ وَإِلَّا فَإِنِّي طُعْمَةُ النَّارِ

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تزيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين وأرأف
الرائفين وأكرم الأكرمين .

اللهم اغتقنا من رِقِّ الذُّنُوبِ ، وَخَلِّصْنَا مِنْ شَرِّ النُّفُوسِ ، وَأَذْهِبْ عَنَّا
وَحْشَةَ الْإِسَاءَةِ ، وَطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وَأَجِرْنَا
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللهم طَيِّبْنَا لِلْقَائِلِ ، وَأَهْلُنَا لَوْلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ ،
وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

اللهم أعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ
جَزَائِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ الْمُنْصُورِينَ ، وَأَرْزُقْنَا مُرَافَقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَأَحْوَالِ الْمَيِّتِ فِي سَكَرَاتِهِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ
وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَخَطَرِ مَنْ كَانَ مَسْخُوطًا عَلَيْهِ وَأَعْظَمُ
مِنْ ذَلِكَ الْأَخْطَارُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نَفْخِ الصُّورِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْعَرْضِ
عَلَى الْجَبَّارِ وَالسُّؤَالِ عَنِ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَنَضْبِ الْمِيزَانِ لِمَعْرِفَةِ الْمَقَادِيرِ .

ثُمَّ جَوَازُ الصِّرَاطِ مَعَ دَقِّهِ وَحَدِيثِهِ ثُمَّ انْتِظَارُ النَّدَاءِ عِنْدَ فَضْلِ الْقَضَاءِ إِمَّا
بِالْإِسْعَادِ وَإِمَّا بِالْإِسْقَاءِ فَهَذِهِ أَحْوَالُ وَأَهْوَالُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ الْإِيمَانُ بِهَا
عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ وَالتَّصَدِيقِ ثُمَّ تَطْوِيلُ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي بِمَقْدَارِهِ
خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ .

كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ

وَاجِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ لَا يَغِيبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَتَذُنُّ مِنْهُمْ الشَّمْسُ
وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ هَذَا الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِيعَةٍ عَنْ مَا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَبْلُغُ الْأَمْرُ مِنَ الْخَيْرَةِ وَالذَّهْشَةِ وَالاضْطِرَابِ وَالذُّهُولِ
أَنْ تَذْهَلَ الْمُرْضِيعَةُ عَنْ وَلَدِهَا الَّذِي فَمُهُ فِي ثَدْيِهَا وَهُوَ أَغْرُ شَيْءٍ لَدَيْهَا فَكَيْفَ
بِالذُّهُولِ عَمَّا سِوَاهُ وَتَسْقِطُ الْحَوَامِلُ مِنَ الْفَرْعِ وَالرُّعْبِ وَالرُّوعِ مَا فِي بُطُونِهَا
مِنَ الْأَجْنَةِ قَبْلَ التَّمَامِ وَتَرَى النَّاسَ كَأَنَّهُمْ سُكَارَى مِنْ شِدَّةِ الرُّوعِ وَالْفَرْعِ
وَالْخَوْفِ الَّذِي ضَيَّرَ مَنْ رَأَاهُمْ يُشَبِّهُهُمُ بِالسُّكَارَى لِذَهَابِ عُقُولِهِمْ مِنْ شِدَّةِ
الْخَوْفِ كَمَا يَذْهَبُ عَقْلُ السُّكَرَانِ مِنَ الشَّرَابِ « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعُهَا
الرَّادِفَةُ تَكُونُ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْأَمْوَاجِ تَكْفَأُ
بِأَهْلِهَا .

فَيَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا وَيَتَسَاقُطُونَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَبُلُوغِهِ أَقْصَى
الْغَايَاتِ وَلِهَذَا أَذْهَلَ الْعُقُولَ وَأَذْهَبَ التَّمْيِيزَ وَالْفِكْرَ وَالصُّحُورَ إِنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ .

إِنَّهَا لَهَزَةٌ عَنِيفَةٌ لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ حَيْثُ تَرْجُفُ الْأَرْضُ الثَّابِتَةُ أَرْتِجَافًا
وَتَزُلْزَلُ زِلْزَالًا وَتَنْفُضُ مَا فِي جَوْفِهَا نَفْضًا وَتُخْرِجُ مَا يُثْقَلُهَا مِنْ أَجْسَادٍ وَنُقُودٍ
وغيرها مما حَمَلَتْهُ طَوِيلًا وَهُوَ مَشْهَدٌ يَهْزُ كُلُّ شَيْءٍ ثَابِتٍ وَالْأَرْضُ تَهْتَزُّ وَالسَّمَاءُ
تَعُورُ .

إِنَّهُ لَمَشْهَدٌ مُجَرَّدٌ تَصَوُّرِهِ ، يَخْلَعُ الْقُلُوبَ يَرَى الْإِنْسَانُ مَا لَا يَعْهَدُ

وَيُؤَاجِهْ مَا لَا يُدْرِكُ وَيَشْهَدْ مَا لَا يَمْلِكُ الصَّبْرُ أَمَانَهُ وَلَا السُّكُوتُ عَنْهُ ﴿وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ مَا الَّذِي يُزَلْزِلُهَا هَكَذَا وَيَرْجُّهَا رَجًّا .

رَكَائُهُ مِنْ شِدَّةٍ مَا نَزَلَ يَتَمَائِلُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَيَتَشَبِّثُ وَيُحَاوِلُ أَنْ
يُمْسِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ يَثْبُتُ لِأَنْ كُلَّ مَا خَوْلَهُ يَمُورُ مَوْرًا شَدِيدًا قَدْ امْتَلَأَ مِنَ الرَّعْبِ
وَالْفَزَعِ وَالذُّهْشَةِ وَالْعَجَبِ .

يَرَى الْجِبَالَ وَهِيَ تَسِيرُ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ، هَذِهِ الْجِبَالُ وَقَدْ نُسِفَتْ
وَبُسَّتْ وَرَأَاهَا ذُرَاتٍ فِي الْهَوَاءِ ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ
سَرَابًا .

هَذِهِ تُصْرِّحُ وَتُسَيِّرُ إِلَى حَدَثٍ عَظِيمٍ تَنْزَلُزُ مِنْهُ الْجِبَالُ وَتَذْهَبُ هَبَاءً
يَتَلَاشَى ثِبَاتُهَا وَرُسُوخُهَا وَاسْتِقْرَارُهَا وَتَمَاسُكُهَا وَالْإِنْسَانُ يَنْظُرُ وَلَا يَكَادُ يَلْتَقِطُ
أَنْفَاسَهُ ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْخَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ .

هَنَا يُشَاهِدُ وَيُؤَاجِهُ الْحَشَرَ وَالْجَسَابَ وَالْوَزْنَ وَالْجَزَاءَ وَيَقِفُ جَبْرِئِلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ
صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ «كُلُّكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ
النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ
صَفًّا صَفًّا﴾ .

وَمَوْقِفٌ هَؤُلَاءِ الْمُقَرَّبِينَ ضَامِتِينَ خَاشِعِينَ خَاضِعِينَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ
﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِ
الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ .

مَوْقِفُهُمْ هَكَذَا ضَامِتِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقَى فِي

النَّفْسِ الرُّهْبَةَ والرُّعْبَ والْفَزَعَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَنْكَشِفُ فِيهِ كُلُّ مَسْتُورٍ وَيُعْلِمُ فِيهِ كُلُّ مَجْهُولٍ .

وَتَقِفُ فِيهِ النَّفْسُ أَمَامَ مَا أَحْضَرَتْ مِنَ الرُّصِيدِ وَالزَّادِ فِي مَوْقِفِ الْفَضْلِ وَالْحِسَابِ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا» ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ التَّغْيِيرُ الْعَظِيمُ الشَّامِلُ لِلْمَغْهُودَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الشَّمْسُ مُكَوَّرَةٌ وَالنُّجُومُ مُنْكَدِرَةٌ وَالسَّمَاءُ مُنْشَقَّةٌ وَالْوُحُوشُ النَّافِرَةُ مَحْشُورَةٌ وَالْأَنْعَامُ وَالطُّيُورُ وَالْعِشَارُ مُعْطَلَةٌ ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ﴾ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ .

هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَمْثَالُهَا تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْحَادِثِ الْهَائِلِ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُ حَادِثٌ عَظِيمٌ تَرْجُفُ الْأَرْضُ مِنْهُ وَتَخَافُ وَتَنْهَارُ فَكَيْفَ بِالْخَلْقِ الضُّعَافِ الْمَهَازِلِ الَّذِينَ تَهْزُهُمُ الصُّوَاعِقُ هَزًّا وَتَخْلَعُ قُلُوبُهُمْ خَلْعًا ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلِ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ بِهِ﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ .

وَفِي وَسْطِ هَذَا الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ وَالْقَلَقِ وَالْفَزَعِ وَالذُّهُولِ وَالْإِنْقِلَابِ يَتَسَاءَلُ الْإِنْسَانُ الْمَذْعُورُ الْمَرْعُوبُ أَيْنَ الْمَفَرُ وَيَبْدُو ذَلِكَ فِي سُؤَالِهِ وَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ فَإِذَا هُوَ مَسْدُودٌ دُونَهُ مَاخُودٌ عَلَيْهِ وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَحِيصَ وَلَا مَنَفَذَ وَلَا وَقَايَةَ مِنْ قَهْرِ اللَّهِ وَآخِذِهِ، وَالرُّجْعَةُ إِلَيْهِ وَالْمَصِيرُ وَالْمُسْتَقَرُّ عِنْدَهُ ﴿كَلَّا

لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٠﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ
تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ﴿١١﴾ .

فَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ الرَّهِيْبِ يَتَبَيَّنُ عَجْزُ الْخَلَائِقِ وَضَعْفُهُمْ وَكَمَالُ سُلْطَانِ
اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَتُفَوِّذُ مَشِيئَتِهِ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَآئٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّكُمْ فِي
قَبْضَةِ اللَّهِ ﴿١٤﴾ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴿١٥﴾ إِنَّهُ لَيَوْمٌ عَصِيبٌ وَمَوْقِفٌ رَهِيْبٌ
﴿١٦﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ
عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٧﴾ .

فَلَا مَجَالَ لِهَرَبِ أَحَدٍ وَلَا نِسْيَانٍ لِأَحَدٍ فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ وَكُلِّ فَرْدٍ
يَقُومُ وَحِيدًا لَا يَأْنَسُ بِأَحَدٍ فَإِذَا هُوَ فَرِيدٌ وَحِيدٌ أَمَامَ الدِّيَانِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴿١٩﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَيْنِهِ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٢٠﴾ .

مَشْهَدُ الْمَرْءِ يَفِرُّ وَيَنْسَلِخُ وَيَهْرَبُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَالصَّقِيهَمُ بِهِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ تَرْتَبِطُهُمْ بِهِ وَشَائِجٌ وَرَوَابِطٌ لَا تَنْقُصُ وَلَكِنَّ الصَّاحَّةَ وَالطَّامَةَ تُمَزَّقُ
هَذِهِ الرُّوَابِطُ وَتُقَطَّعُ الْوَشَائِجُ وَالصَّلَاتِ ﴿٢١﴾ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٢﴾ .

فَالْهَوَلُ يُفْرِغُ النَّفْسَ وَيُقْلِقُهَا وَيُفْصِلُهَا مِنْ مُحِيطِهَا وَيَسْتَبِدُّ بِهَا اسْتِبْدَادًا
فَلِكُلِّ نَفْسٍ شَأْنُهُ وَلَدَيْهِ الْكِفَايَةُ مِنَ الْهَمِّ الْخَاصِّ بِهِ الَّذِي لَا يَدْعُ لَهُ فَضْلَةً مِنْ
وَعْيٍ أَوْ جُهْدٍ ﴿٢٣﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٢٤﴾ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ﴿٢٥﴾ .

أَلَمْ تَسْمَعْ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ وَعَنْ خُطْبِ خُلِقَتْ لَهُ جِسْمِ

وَزَلْزَالٍ يَهْدُ الْأَرْضَ هَذَا
وَأَهْوَالٍ كَأَطْوَادٍ رَوَاسِي
فَمِنْ رَاسٍ يَشِيبُ وَمِنْ فَوَادٍ
وَسَكَرَانٍ وَلَمْ يَشْرَبْ لِسُكْرِ
وَمُرْضِعَةٍ قَدْ أَذْهَلَهَا أَسَاهَا
وَمُؤْتَمَةٍ تَوَلَّتْ عَنْ بَنِيهَا
وَحُبْلَى اسْقَطَتْ ذُعْرًا وَخَوْفًا
وَهَذَا مَشْهَدٌ لَا بُدَّ مِنْهُ
وَمَا كِسْرَى وَقِصْرُ النَّجَاشِي
بِذَاكَ الْيَوْمِ إِلَّا فِي مَقَامٍ
وَمَا لِلْمَرْءِ إِلَّا مَا سَعَاهُ
وَأَنْتَ كَمَا عَلِمْتَ وَرَبِّ أَمْرِ
فَدَعْ عَيْنَيْكَ تَسْبُحُ فِي مَعِينٍ
وَشُقُّ جُيُوبٍ صَبْرُكَ شَقُّ تُكْلِي
وَمَاذَا الْأَمْرُ ذَلِكُمْ وَلَكِنْ

وَيَرْمِي فِي الْحَضِيضَةِ بِالنُّجُومِ
تَلَاطُمُ فِي ظُلُوعِ كَالْهَشِيمِ
يَذُوبُ وَمِنْ هُمُومٍ فِي هُمُومٍ
وَهَيْمَانٍ وَلَمْ يَعْلُقْ بِرَيْمٍ
فَمَا تَذَرِي الرُّضِيعَ مِنَ الْفَطِيمِ
وَأَلْقَتْ بِالْيَتِيمَةِ وَالْيَتِيمِ
فِيَاللَّهِ لِلْيَوْمِ الْعَقِيمِ
وَجَمْعُ لِلْحَدِيثِ وَلِلْقَدِيمِ
وَتَبَعُ وَالْقُرُومُ بَنُوا الْقُرُومِ
أَذَلَّ مِنَ الثَّرَابِ لِيَذِي السَّلِيمِ
لِدَارِ الْبُؤْسِ أَوْ دَارِ النَّعِيمِ
يَكُونُ أَذَاهُ أَوْقَعُ بِالْعَلِيمِ
وَقَلْبُكَ ذَرَّةٌ يَقْلُبُ فِي جَحِيمِ
تَعَلَّقَتْ ابْنَهَا رَجُلًا سَهُومِ
تُسَبَّهُ بِالْبَحَارِ يَدُ الْكَرِيمِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

إِعْلَمَ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ فِي الْجَنَائِزِ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ ، وَفِكْرَةً لِلْمُتَّفَكِّرِينَ ،
وَتَنْبِيْهًا لِلْعَافِلِينَ ، وَإِقْظَاً لِلنَّائِمِينَ .

يَتَنَمَّا الْإِنْسَانُ فِي قِيَامٍ وَقُعُودٍ ، وَتُزُولٍ وَصُعُودٍ ، وَخُذْ هَذَا وَاتْرُكْ هَذَا ،
وَاشْتَرِ هَذَا وَبِعْ هَذَا ، وَابْنِ هَذَا وَاهْدِمْ هَذَا ، وَقَدْ كَانَ وَمَا كَانَ ، وَتَقَدَّمَ هَذَا
وَتَأَخَّرَ هَذَا ، وَعُيِّنَ فَلَانٌ وَفُصِّلَ فَلَانٌ ، وَرَبِحَ فَلَانٌ وَخَسِرَ فَلَانٌ .

إِذْ فَاجَأَهُ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ وَالْحَادِثُ السَّمَاوِيُّ وَالْحُكْمُ الرَّبَّانِيُّ فَسَكَنتُ حَرَكَتُهُ
وَطِفِئَتْ شُعَلَتُهُ ، وَذَهَبَتْ نَظَرَتُهُ وَصَارَ كَالْخَشَبَةِ الْمَنْبُودَةِ وَالْحَجَرِ الْمَرْمِيِّ .

إِنْ تُودِي لَمْ يَسْمَعْ وَإِنْ دُعِيَ لَمْ يُجِبْ وَإِنْ قُطِعَ أَوْ سُحِبَ أَوْ حُرِّقَ لَمْ
يُمَانِعْ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

وَلَكِنْ حُبُّ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَشَهَوَاتُهَا وَحِجَابُ الْهَوَى غَطَّى الْقُلُوبَ
وَأَعْمَى الْبَصَائِرَ يَمْنَعُ التَّفَكُّرَ فِي الْجَنَائِزِ وَالْإِعْتِبَارَ بِهَا .

فَصَارَتْ لَا تَزِيدُ رُؤْيُهَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا غَفْلَةً وَلَا مُشَاهَدَتُهَا إِلَّا
قَسْوَةً حَتَّى كَأَنَّ الْمَيِّتَ نَائِمٌ يَسْتَيْقِظُ بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ كَأَنَّ الَّذِي يَرَى الْجَنَازَةَ لَا يَكُونُ
مِثْلَهَا وَكَأَنَّ الْمَيِّتَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ وَخَذَهُ وَقَصَدَهُ خَاصَّةً .

وَلِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمَشِيعِينَ يَنْحُتُ فِي مُخَلَّفَاتِهِ نَعَمَ يَعْلَمُ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنَّهُ
سَيَمُوتُ لِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ .

وَقَدْ تَخَالَفَ النَّاسُ إِلَّا فِي الْمَوْتِ فَهُمْ مُتَّفِقُونَ ، وَلَكِنْ لَا يَظُنُّونَ ذَلِكَ مِنْ
قَرِيبٍ قَدْ فَسَحُوا لِأَنْفُسِهِمْ فِي الْمَدَّةِ وَمَدُّوا لَهَا فِي الْمُهْلَةِ بِدَلِيلٍ مَا يُنْشِئُونَهُ مِنَ
الْأَعْمَالِ وَالْقُصُورِ وَالشَّرَكَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَإِنْ دَارَ عَلَى لِسَانِهِ ذِكْرُ الْمَوْتِ عَنْ قَرِيبٍ فَهُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ بِدَلِيلٍ عَدَمِ
تَحْرِكِهِ مِنْ قَبْلِ الْآخِرَةِ وَحَالَتِهِ قَبْلَ رُؤْيَةِ الْجَنَائِزِ كَحَالَتِهِ بَعْدَ تَشْيِيعِهَا أَكْبَرَ
بُرْهَانٍ عَلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا تَحَدَّثُوا بِحَدِيثِ الدُّنْيَا وَضَحِكُوا وَالْمَيِّتُ يُدْفَنُ .

وَقَلَّمَا يَبْكِي عَلَى الْجَنَازَةِ إِلَّا أَهْلُهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاقِهَا ، لَا لِتَنْفُسِ الْمَوْتِ ،
كَبْكَاءِ الطِّفْلِ وَالْمَرْأَةِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلَانِ وَلَا يَعْلَمَانِ ، وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَكَانَ
بُكَاءُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَى مَيِّتِهِمْ لِأَنَّهُ مَاتَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ .

بَكَى لِأَنَّهُ مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَقَالَ وَاحِرَبًا وَصَاحَ يَا هَرَبًا
وَبَاتَ فَوْقَ حَشَاهُ لِلْأَسَى لَهَبٌ إِذَا أَرَادَ حُبُورًا فَارَ وَ التَّهَبَا
وَلَوْ رَأَى بِصَحِيحِ الْعَقْلِ حِينَ رَأَى وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْهَوَى حُجُبَا
لَمَّا رَأَى الدَّهْرَ مَيِّتًا أَوْ أَحْسَنَ بِهِ إِلَّا بَكَى نَفْسَهُ الْمُسْكِينُ وَانْتَحَبَا
وَمَنْ رَأَى السُّمَرَ فِي جَنْبِهِ شَارِعَةً أَنَّى يَرَاهَا بِجَنْبِ نَاءٍ أَوْ قَرَبَا
وَطَلَعَةُ الْمَوْتِ إِنْ تَطَلَّعَ عَلَى أَحَدٍ أَرْتُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَوْلِهَا عَجَبَا

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ
لُبْلُوغَ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَى وَيَا
مُنْجِيَ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلِنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا
تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤُوسِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

وقال رحمه الله تعالى واعلم أن الميت كالحَيِّ فيما يُهْدَى إليه بَلْ الْمَيِّتُ أَكْثَرُ
وَأَكْثَرُ لِأَنَّ الْحَيَّ قَدْ يَسْتَقِلُّ مَا يُهْدَى إليه وَيَسْتَحْقِرُ مَا يُتَحَفُّ بِهِ .

وَالْمَيِّتُ لَا يَسْتَحْقِرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ قِيَمَتَهُ بَعْدَ مَا خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا
وَطَوَيْتُ صَحِيفَتَهُ وَقَدْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ وَلَكِنْ ضَيَّعَهُ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَصُولِ الْقُرْبِ إِلَى الْمَيِّتِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « إِذَا مَاتَ

الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » الحديث رواه مسلم ١ هـ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره وولداً صالحاً تركه .

أو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن سيبل بناه أو نهراً أجره أو صدقة أخرجه من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته » رواه ابن ماجه وابن خزيمة .

ورواه البزار من حديث أنس إلا أنه قال : « سبع تجري للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علماً أو كرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته » .

وللطبراني عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها واجعلوا زيارتكم صلاة عليهم واستغفاراً لهم » .

ولابن أبي شيبه عن أبي جعفر قال كان الحسن والحسين يعتقان عن علي بعد موته .

وله عن الحجاج بن دينار مرفوعاً « إن من البر بعد البر أن تُصلي عليهما مع صلاتك وأن تصوم عنهما مع صيامك وأن تصدق عنهما مع صدقتك » .

وللبیهقي في سننه عن أبي هريرة مرفوعاً : « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أني لي هذه فيقال بدعاء ولدك لك » وأخرجه البخاري في الأدب عنه موقوفاً .

ويروى أن النبي ﷺ قال : « الميت كالغريق في قبره ينتظر دعوة تلحقه

مِنْ وَلَدِهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ صَدِيقٍ لَهُ فَإِذَا لَحِقَتْهُ كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .
وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَضُوءِ الْقُرْبِ إِلَى الْمَيِّتِ أَمْرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
بِالسَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ وَالِدَعَاءِ لَهُمْ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِكُونَ الدُّعَاءِ لَهُمْ وَالسَّلَامِ
عَلَيْهِمْ يَصِلُ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ بَشْرُ بْنُ مُنْصُورٍ كَانَ رَجُلٌ زَمَنَ الطَّاعُونَ يَخْتَلِفُ إِلَى الْمَقَابِرِ ثُمَّ
يَسْتَقْبِلُ الْقُبُورَ فَيَقُولُ أَمَّنَ اللَّهُ رَوْعَتُكُمْ وَأَنَسَ اللَّهُ وَحْشَتَكُمْ رَحِمَ اللَّهُ غُرْبَتَكُمْ
تَقَبَّلَ اللَّهُ حَسَنَاتِكُمْ وَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ لَا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ .

قَالَ الرَّجُلُ فَأَنْصَرَفْتُ يَوْمًا وَلَمْ أَدْعُ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ
خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ جَاؤُنِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا أَهْلُ الْمَقَابِرِ قُلْتُ وَمَا حَاجَتُكُمْ .

قَالُوا إِنَّكَ قَدْ عَوَّدْتَنَا مِنْكَ هَدِيَّةً تُهْدِيهَا إِلَيْنَا عِنْدَ انْصِرَافِكَ قُلْتُ وَمَا هِيَ
قَالُوا الدَّعَوَاتُ الَّتِي كُنْتَ تَدْعُو بِهَا قُلْتُ فَإِنِّي أَعُوذُ لِمَا كُنْتَ أَدْعُو بِهِ قَالَ فَمَا
تَرَكْتَ ذَلِكَ .

شِعْرًا :

قَفْ بِالْقُبُورِ بِأَكْبَادٍ مُصَدَّعَةٍ	وَدَمْعَةٍ مِنْ سَوَادِ الْقَلْبِ تَنْبَعِثُ
وَسَلَّ بِهَا عَنْ أَنَاسٍ طَالَمَا رَشَفُوا	تَغْرِ النَّعِيمِ وَمَا فِي ظِلِّهِ مَكْثُوا
مَاذَا لَقُوا فِي خَبَايَاهَا وَمَا قَدِمُوا	عَلَيْهِ فِيهَا وَمَا مِنْ أَجَلِهِ أَرْبَبُوا
وَعَنْ مَحَاسِنِهِمْ أَنْ كَانَ غَيْرَهَا	طُولُ الْمَقَامِ يَبْطِنُ الْأَرْضِ وَاللَّبْثُ
وَمَا لَهُمْ حَشَرَاتُ الْأَرْضِ تَنْهَشُهُمْ	نَهْشًا تَزُولُ لَهُ الْأَعْضَاءُ وَالنَّجَثُ
وَتَلْكُمُ الْفَتَيَاتُ إِذْ طَرِحْنَ بِهَا	هَلْ كَانَ فِيهِنَّ ذَا التَّغْيِيرِ وَالشَّعِثُ
فَإِنْ يُجِبْكَ عَلَى لَايٍ مُجِيبُهُمُوا	وَلَنْ يُجِيبَ وَأَنْتَى يَنْطِقُ الْجَسَدُ
فَانْظُرْ مَكَانَكَ فِي أَفْنَاءِ سَاحَتِهِمْ	فَإِنَّهُ الْجُدُّ لَا هَزْلَ وَلَا عَبَثُ

وَاعْمَلْ لِمَصْرَعِ يَوْمِ هَالِ أَوَّلُهُ وَمِنْ أَمَامِكَ فِيهِ الرُّوْعُ وَالْجَأْتُ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ
وَمَتِّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَ الْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

فوائد ومواعظ

إِغْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ كَثْرَةَ الْإِشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا وَفِرَاقَ الْجُهُودِ فِيهَا ، وَالْمِيلَ
إِلَيْهَا بِالْكَلْبِيَّةِ ، وَإِلَى حَلَاوَةِ أَحَادِيثِهَا وَلَذَّةِ أَمَانِيَّهَا ، تَمْنَعُ حَرَارَةَ ذِكْرِ الْمَوْتِ أَنْ
تَرِدَ عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَنْ تَلْجَ فِيهِ ، لِأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا امْتَلَأَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لِشَيْءٍ آخَرَ
فِيهِ مَدْخَلٌ وَلَا لِسِوَاهُ فِيهِ مَجَالٌ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنَاءَ إِذَا مَلَأْتَهُ بِشَيْءٍ لَمْ يُمَكِّنْكَ أَنْ تُدْخِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً آخَرَ ،
وَوَجْهَكَ إِذَا صَرَفْتَهُ إِلَى مَوْضِعٍ صَرَفْتَهُ عَنْ مَوْضِعٍ آخَرَ .

وَمَتَّى دَامَ الْقَلْبُ عَلَى هَذَا لَمْ يَكُنْ لِذِكْرِ الْمَوْتِ فِيهِ تَأْثِيرٌ ، وَلَا لِتَرْدَادِهِ
حَلَاوَةً ، وَكَيْفَ يُوَثِّرُ فِيهِ وَهُوَ لَا يَجِدُ مَكَاناً يَنْزِلُ فِيهِ ، وَلَا مَوْضِعاً يَتَعَلَّقُ بِهِ .

قَدْ مَلَأَهُ حُبُّ الشَّهَوَاتِ الْفَانِيَةِ ، وَاللَّذَاتِ الْمَتَصَرِّمَةِ ، فَهُوَ شَبَعَانٌ رَيَّانٌ

خَيْرَانِ سَكْرَانِ ، أَعْمَى أَصَمٌ إِنْ عُرِضَ عَلَيْهِ طَرِيقُ لَمْ يَرَهُ ، أَوْ نُودِيَ بِاجْتِنَابِ رَدِيٍّ لَمْ يَسْمَعْ .

فَإِذَا أَرَادَ صَاحِبُ هَذَا الْقَلْبِ سَمَاعَ الْحِكْمَةِ وَالْإِتِّفَاعَ بِالْمَوْعِظَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ تَفْرِيعِهِ مِمَّا شَغَلَهُ لِيَجِدَ التَّذَكُّرُ فِيهِ مَنْزِلًا ، وَتَلْقَى الْمَوْعِظَةُ فِيهِ مَحَلًّا قَابِلًا .

فَلَا يَزَالُ يَتَعَاهَدُهُ وَيَتَفَقَّدُهُ بِالْأَذْكَارِ وَالْأَفْكَارِ وَالنَّظَرِ وَالْإِعْتِبَارِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لِئَلَّا يَرْجِعَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّبَعِ وَالذَّنْسِ فَيَعُودَ إِلَى حَالَتِهِ الْأُولَى مِنَ الْغَيْنِ وَالْغَيْمِ .

فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَفْرِيعِهِ بِمَرَّةٍ فَرَّغَ مِنْهُ مَا أَمَكْنَ وَنَجَّلَ مَكَانَ مَا أَرَالَ ضِدَّهُ ، فَيَجْعَلُ مَكَانَ الْغَفْلَةِ ذِكْرًا ، وَمَكَانَ الْفَرَحِ حُزْنًا وَمَكَانَ الْإِغْتِيَابِ نَدَمًا ، وَمَكَانَ السَّهْوِ تَيَقُّظًا ، وَمَكَانَ النَّوْمِ انْتِبَاهًا ، وَمَكَانَ الْإِهْمَالِ اجْتِهَادًا وَاسْتِدْرَاكًا لِمَا فَاتَهُ .

وَهَكَذَا يُزِيلُ شَيْئًا وَيَجْعَلُ مَكَانَهُ ضِدَّهُ وَيَسْتَعِينُ بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ وَيَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَالتَّيْسِيرَ وَالْعَوْنَ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

ثُمَّ إِغْلَمَ أَيُّهَا الْأَخُ الْحَرِيصُ عَلَى حِفْظِ وَقْتِهِ عَنِ الضِّيَاعِ أَنَّهَا إِنْ قَلَّتْ أُشْغَالُكَ وَقَلَّتْ عَوَائِقُكَ ثُمَّ قَعَدْتَ عَنِ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِيمَا يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ أَنَّ هَذَا هُوَ الْخُذْلَانُ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ .

فَفَرَّغُ الْقَلْبِ مِنَ الْأَشْغَالِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ إِبْتِغَاءَ مَا فِي الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ كَفَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِإِنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ الْهَوَى وَانْجَرَّ فِي قِيَادِ الشَّهَوَاتِ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا

مُنْسِيًّا أَوْ غِنًى مُطْغِيًّا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوْ الدَّجَالَ
فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ .

وقال بعضهم الفِكرَةُ سِرَاجُ القلبِ فإذا ذَهَبَتْ فلا إضاءةَ له فالقلبُ
الخالِي مِنَ الفِكرَةِ خَالِي مِنَ النُّورِ مُظْلِمٌ بوجُودِ الجهلِ والغُرورِ .

فَفِكرُ الزَاهِدِينَ فِي فَنَاءِ الدُّنْيَا وَاضْمِحْلَالِهَا وَقِلَّةِ وَقَائِهَا لِطُلَّابِهَا فَيَزْدَادُونَ
بِالفِكرِ زُهْدًا فِيهَا .

وَفِكرُ الْعَابِدِينَ فِي جَمِيلِ الثَّوَابِ فَيَزْدَادُونَ نَشَاطًا عَلَيْهِ وَرَغْبَةً فِيهِ .
وَفِكرُ الْعَارِفِينَ فِي الْآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ فَيَزْدَادُونَ نَشَاطًا فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ .
وَيَزْدَادُونَ مَحَبَّةً لِلَّهِ وَشُكْرًا لَهُ وَحَمْدًا عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحصى قَالَ
اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ .

وقال عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَتِهِ (إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا
أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوَهَا لِتَرْكُتُوا إِلَيْهَا) .

إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، فَلَا تُبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَةُ وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ
الْبَاقِيَةِ ، فَأَثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فَإِنَّ تَقْوَاهُ جُنَّةٌ مِنْ بَأْسِهِ ، وَوَسِيلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ ،
وَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ الْغَيْرَةِ ، وَالزَّمُوا جَمَاعَتَكُمْ وَلَا تَصَيِّرُوا أَحْزَابًا ﴿ وَاذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ أَعْدَاءُ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

وَبَلَغَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مَا تَسْعَى إِلَيْهِ هَمَّةُ رَجُلٍ فَرَفَضَهَا
وَتَبَذَهَا قَائِلًا : (هَذَا سُرُورٌ لَوْلَا أَنَّهُ غُرُورٌ وَنَعِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ عَذِيبٌ وَمُلْكٌ
لَوْلَا أَنَّهُ هُلْكٌ وَغِنًى لَوْلَا أَنَّهُ فَنَى وَأَمْرٌ جَسِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ ذَمِيمٌ وَارْتِفَاعٌ لَوْلَا أَنَّهُ

اتَّضَاعٌ وَحَسْبُ أَمْرٍ مِنَ الدُّنْيَا لَقِيَمَاتٍ يُقِيمُ بِهَا صُلْبَهُ وَثَوْبٌ يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ
وَصِحَّةٌ يَسْتَقْوِي بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ) هذا الزهد الصحيح لأنها أقبَلت عليه
وَرَفَضَهَا .

قال بعضهم :

ازْهَدْ إِذَا الدُّنْيَا أَنَا لَتَكَ الْمُنَى فَهَنَّاكَ زُهْدَكَ مِنْ شُرُوطِ الدِّينِ
فَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَغْرَضَتْ وَأَبَتْ عَلَيْكَ كَتَوْبَةِ الْعَيْنِينِ
آخر :

تَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءٌ تَاهِدُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ وَقَدْ صَبَّغَتْ لَهُ بِعَصْفُورِهَا الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ
آخر :

الْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنِعْتَ بِهِ قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرُ
وقال آخر : إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَبْصَرَ الدُّنْيَا فَانْزَلَهَا مَنْزِلَتَهَا فَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ
لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا ، وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ جِئْتَ بِخَيْرٍ وَمَا فَيْكَ مِنْ خَيْرٍ إِلَّا أَنْ تُطَلَّبَ
بِكَ الْجَنَّةُ ، وَيُفْتَتَدَى بِكَ مِنَ النَّارِ .

فإن هي أدبرت قال عليك العفاء ، وعلى مَنْ يَتَّبِعُكَ .
الحمد لله الذي خَارَ لِي وَصَرَفَ عَنِّي فِتْنَتَكَ وَشَغْلَكَ .
وكان يقول إِذَا وَصَفَ أَهْلَ الدُّنْيَا حَيَارَى سُكَارَى ، فَارِسُهُمْ يَرْكُضُ ،
وَرَاغِلُهُمْ يَسْعَى سَعْيًا ، لَا غَنِيَهُمْ يَشْبَعُ ، وَلَا فَقِيرُهُمْ يَقْنَعُ .
وكان يقول إِذَا وَصَفَ الْمُقْبِلَ عَلَى الدُّنْيَا ، دَائِبُ الْبِطْنَةِ ، قَلِيلُ الْفِطْنَةِ ، إِنَّمَا
هُمُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَجِلْدُهُ .

مَتَى أَصْبَحَ فَأَكُلُ وَأَشْرَبُ وَالْهُوَ وَالْعَبُّ ، مَتَى أَمْسَى فَأَنَامُ ، جِيفَةً بِاللَّيْلِ
بَطَالٌ بِالنَّهَارِ .

وَيْحَكَ أَلْهَذَا خُلِقْتَ أَمْ بِهَذَا أَمِرتَ أَمْ بِهَذَا تَطْلُبُ الْجَنَّةَ وَتَهْرَبُ مِنَ النَّارِ .

شعرا :

كُلْ أَمْرِيءَ فِيمَا يَدِينُ يُدَانُ	سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَخُلْ مِنْ عِلْمِهِ مَكَانُ
يَا غَايِرَ الدُّنْيَا لَيْسَ كُنْهَهَا وَمَا	هِيَ بِاللَّيْلِ يَبْقَى بِهَا سُكَّانُ
تَفْنَى وَتَبْقَى الْأَرْضُ بَعْدَكَ مَثَلَمَا	يَبْقَى الْمَكَانُ وَتَرْحَلُ الرُّكْبَانُ
أَسْرُ بِالْدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ	وَزِيَادَتِي فِيهَا هِيَ النُّقْصَانُ

آخر :

إِلَى دُتْيَاكَ أَنْظُرْ بِاعْتِبَارٍ	تَجِدُهَا دَارَ ذُلٍّ مَعَ فَنَاءٍ
إِلَى كَمْ تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ فِيهَا	مَعَ الشَّهَوَاتِ تَسْرِي يَا مُرَائِي
أَمَّا أَنْ اتِّبَاهَكَ مِنْ غُرُورٍ	بِهِ أَصْبَحْتَ بَيْنَ الْأَغْيَاءِ
تَيَقُّظْ وَانْتَبِهْ وَأَقْبَلْ بِقَلْبٍ	عَلَى مَوْلَاكَ تَظْفِرْ بِاهْتِدَاءٍ
وَقِفْ بِالْبَابِ وَاظْلُبْ مِنْهُ فَتْحًا	عَسَى تَحْظِيَ بِصُبْحٍ أَوْ مَسَاءٍ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنُبِّهْنَا
لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهِلَةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا
انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا
مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاعْفُفْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تَتَكَلَّمَنَّ فيما لا يَعْنِيكَ حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا قَرَبًا مُتَكَلِّمٍ بِالْحَقِّ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ قَدْ عَيَّبَ ، وَلَا تَمَارِينَ سَفِيهَاً وَلَا حَلِيمًا ، فَإِنَّ السَّفِيهَةَ يُؤْذِيكَ ، وَالْحَلِيمَ يَقْلِيكَ (أَيْ يُبْغِضُكَ) .

قُلْتُ قَدْ نَظَّمَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

وَلَا تُمَارِي سَفِيهَاً فِي مُحَاوَرَةٍ وَلَا حَلِيمًا لِكَيْ تَنْجُو مِنَ الزَّلَلِ

وقال ولا تَذْكُرَنَّ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ إِلَّا بِمَثَلٍ مَا تَحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ إِذَا غِيبَتْ عَنْهُ ، وَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِالْإِحْسَانِ ، وَمَأْخُودٌ بِالْإِجْرَامِ .

هَلَكَ النَّاسُ بِثَلَاثٍ فِي الْكِبَرِ ، وَالْحِرْصِ ، وَالْحَسَدِ ، فَالْكِبَرُ هَلَكَ الدِّينَ وَبِهِ لُعِنَ إِبْلِيسُ حَيْثُ تَكَبَّرَ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ لما أَمَرَهُ اللَّهُ بِالسُّجُودِ لَهُ وَالْحِرْصُ عَدُوُّ النَّفْسِ وَبِهِ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ نَهَاةً اللَّهُ عَنْ الشَّجَرَةِ فَأَكَلَ مِنْهَا ، وَالْحَسَدُ رَائِدُ السُّوءِ وَبِهِ قَتَلَ قَايِلُ هَابِيلَ وَقَالَ ﷺ : « لَا تَحَاسَدُوا » .

سِتَّةٌ يُمِثِّنَ الْقَلْبَ إِتِّبَاعُ الذَّنْبِ بِالذَّنْبِ وَكَثْرَةُ مَجَادَلَةِ النِّسَاءِ ، وَالسُّفْهَاءِ ، وَمُلَاحَاضَةُ الْأَحْمَقِ ، وَمُجَالَسَةُ مَوْتَى الْقُلُوبِ وَهُمْ الْأَغْنِيَاءُ الْمُتَرَفُّونَ الْمُتَكَبِّرُونَ ، وَالسُّلْطَانُ الْجَائِرُ ، وَالْعَالِمُ الْمَفْتُونُ بِالدُّنْيَا .

قال سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ مَا أَكْرَمَتِ الْعِبَادُ أَنْفُسَهَا بِمَثَلِ طَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَا أَهَانَتْ أَنْفُسَهَا بِمَثَلِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، مَنْ اسْتَعْنَى بِاللَّهِ افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ .

وَكَانَ يَتَجَرَّ فِي مَالِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُمْسِكْهُ بُخْلًا وَلَا حِرْصًا عَلَيْهِ ، وَلَا مَحَبَّةً لِلدُّنْيَا وَنَيْلَ شَهَوَاتِهَا ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَصُونَ بِهِ وَجْهِي ، وَأَصِلُ مِنْهُ رَحِمِي ، وَأُوْدِيَ مِنْهُ الْحُقُوقَ الَّتِي فِيهِ .

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسَعْدِ بْنِ عُبَيْدٍ تَوَجِّهَاتِهِ الْعَسْكَرِيَّةَ يَقُولُ لَهُ : (تَرَفَّقْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَلَا تُجَشِّمَهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبُهُمْ ، وَلَا تُقْصِرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلِ رَفِيقٍ حَتَّى يَبْلُغُوا عُدْوَهُمْ وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ . وَأَقِمْ بِمَنْ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يَجْمَعُونَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ وَيَرْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتِعَتَهُمْ .

ثم يقول وإذا وطئت أذني أرض العدو فأذك العيون (أي أيقظها) بينك وبينهم حتى لا يخفى عليك أمرهم ، واحتر لهذا من تطمئن إلى نصحه وصدق ، فإن الكذب لا ينفعك خبره ، وإن صدق في بعضه ، والغاش عین عليك وليس عينالك .

قال صلى الله عليه وسلم قِيمًا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ : « يَا ابْنَ آدَمَ خَلَقْتُكَ لِلْعِبَادَةِ فَلَا تُلْعَبْ وَقَسَمْتُ لَكَ رِزْقَكَ فَلَا تَتَّعِبْ .

فَإِنْ أَلْتَ رَضِيتَ بِمَا قَسَمْتُ لَكَ أَرَحْتُ قَلْبَكَ وَبَدَنَكَ وَكُنْتَ عِنْدِي مَحْمُودًا .

وإن لم تَرْضَ بِمَا قَسَمْتُهْ لَكَ فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا سُلْطَانَ عَلَيْكَ الدُّنْيَا تَرْكُضُ فِيهَا رَكَضَ الْوُحُوشِ فِي الْبَرِّيَّةِ ثُمَّ لَا يَكُونُ لَكَ مِنْهَا إِلَّا مَا قَسَمْتُهْ لَكَ وَكُنْتَ عِنْدِي مَذْمُومًا .

يَا ابْنَ آدَمَ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ وَلَمْ أُعْني بِخَلْقِهِرِ أَيْعِينِي رَغِيفُ عَيْشٍ أَسْوَكَ لَكَ بَلَا تَعَبٍ .

يَا ابْنَ آدَمَ إِنِّي لَمْ أَنْسَ مِنْ عَصَانِي فَكَيْفَ مَنْ أَطَاعَنِي ، وَأَنَا رَبُّ رَحِيمٍ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَسْأَلْنِي رِزْقَ غَدٍ كَمَا لَمْ أَطْلُبْكَ لِعَمَلِ غَدٍ ، يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا لَكَ مُحِبٌّ فَبِحَقِّي عَلَيْكَ كُنْ مُحِبًّا لِي .

أَوْصَى لُقْمَانُ ابْنَهُ فَقَالَ : (يَا بُنَيَّ كُنْ لَيِّنَ الْجَانِبِ ، قَرِيبَ الْمَعْرُوفِ ،
كَثِيرَ التَّفَكِيرِ ، قَلِيلَ الْكَلَامِ إِلَّا فِي الْحَقِّ ، كَثِيرَ الْبُكَاءِ قَلِيلَ الْفَرَحِ ،
وَلَا تُمَازِحْ وَلَا تُصَاحِبْ وَلَا تُمَارِ .

وَإِذَا سَكَتَ فَاسْكُتْ فِي تَفَكِيرٍ وَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَتَكَلَّمْ بِحِكْمٍ .
يَا بُنَيَّ لَا تُضَيِّعْ مَالَكَ وَتُصْلِحْ مَالَ غَيْرِكَ ، فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ،
وَمَالَ غَيْرِكَ مَا تَرَكْتَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ) .

مَعْرِفَةُ اللَّهِ نَوْعَانِ الْأَوَّلُ مَعْرِفَةُ إِقْرَارٍ ، وَهِيَ الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ
الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْمُطِيعُ وَالْعَاصِي .

وَالثَّانِي مَعْرِفَةُ تَوْجِبِ الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ ، وَالْحُبَّةَ لَهُ ، وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِهِ ،
وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِهِ ، وَالْحَشْيَةَ مِنْهُ ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ ، وَالْأُنْسَ بِهِ ، وَالْفِرَارَ إِلَيْهِ .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مَثَلُ قَلٍّ وَاللَّهُ مَنْ يَعْقِلُهُ ، شَيْخٌ كَثِيرٌ ضَعُفَ جِسْمُهُ
وَكَثُرَ صَبْيَانُهُ أَفْقَرُ مَا كَانَ إِلَى جَنَّتِهِ فَجَاءَهَا الْإِعْصَارُ فَاحْرَقَهَا وَإِنْ أَحَدَكُمْ وَاللَّهُ
أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَى عَمَلِهِ إِذَا انْقَطَعَتْ عَنْهُ الدُّنْيَا .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنْ لِلْبَاقِي بِالْمَاضِي مُعْتَبَرًا وَلِلْآخِرِ بِالْأَوَّلِ مُزْدَجَرًا ،
وَالسَّعِيدُ لَا يَغْتَرُّ بِالطَّمَعِ ، وَلَا يَرْكُنُ إِلَى الْخِدَعِ ، وَمَنْ ذَكَرَ الْمَنِيَّةَ نَسِيَ
الْأُمْنِيَّةَ ، وَمَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ نَسِيَ الْعَمَلَ ، وَغَفَلَ عَنِ الْأَجَلِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَكِنْكُمْ فَتَنُكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾
قَالَ شَكَكْتُمْ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قَالَ الْمَوْتُ ﴿ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ قَالَ
الشَّيْطَانُ .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : وَإِيَّاكَ أَنْ

تُذِرُكَ الصَّرْعَةُ عِنْدَ الْغِرَّةِ (أَيِ الْغَفْلَةِ) فَلَا تَقَالَ الْعَثْرَةُ ، وَلَا تَمَكُّنُ مِنَ الرَّجْعَةِ ، وَلَا يَحْمِدُكَ مَنْ خَلَفْتَ عَلَى مَا تَرَكْتَ ، وَلَا يَعْذُرُكَ مَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ بِمَا بِهِ اشْتَغَلْتَ .

وَفِي بَعْضِ الْخُطَبِ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهَا ذِمَّ اللِّذَاتِ فَإِنَّكُمْ إِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي ضَيْيقٍ وَسَعَةٍ عَلَيْكُمْ فَرَضِيْتُمْ بِهِ فَأَجَرْتُمْ وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي غِنَى نَعَصَهُ عَلَيْكُمْ فَجُدْتُمْ بِهِ فَأَثَبْتُمْ .

إِنَّ الْمَنَآيَا قَاطِعَاتُ الْأَمَالِ ، وَاللَّيَالِي مُذْنِبَاتُ الْأَجَالِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَبِينُ يَوْمَينَ يَوْمٌ قَدْ مَضَى أَحْصَى فِيهِ عَمَلُهُ فَخْتِمَ عَلَيْهِ ، وَيَوْمٌ قَدْ بَقِيَ لَعَلَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ .

إِنَّ الْعَبْدَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ وَخُلُولِ رَمْسِيهِ ، يَرَى جَزَاءَ مَا أَسْلَفَ ، وَقِلَّةَ غِنَى مَا خَلَفَ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلِ جَمْعِهِ ، أَوْ مِنْ حَقِّ مَنَعِهِ .

وَلِبَعْضِهِمْ قَصِيدَةٌ سَمَّاها بَوَاعِثُ الْفِكْرَةِ فِي حَوَادِثِ الْهِجْرَةِ :

سَبَّوْا هِجْرَةَ الْمُخْتَارِ فِيهَا حَوَادِثُ	فَخُذْ ثَرَّهَا فِي كُلِّ عَامٍ وَأُحْكِمِ
مُصَلَّى قُبَا فِي (أَوَّلِ) ثُمَّ مُسْجِدُ	بُنَيٍّ وَيُوتَا وَالصَّلَاةَ فَأَتِمِ
وَحَلْفَ أَذَانِ جُمُعَةٍ مَاتَ أَسْعَدُ	بِرَاءً وَعَبْدُ اللَّهِ أَسْلَمَ فَاسْلِمِ
(ثَانِ) صِيَامَ فِطْرَةٍ أَمْ كَعْبَةٍ	وَعَزْوَةَ وَدَّانِ بُوَاطِ الْمُغْنَمِ
عَشِيرٍ وَبَذَرَ عُرْسِ عَائِشَ مِثْلُهُ الْـ	بَتُولَ وَمَوْتَ لَابْنِ مَظْلُوعٍ أَكْرَمِ
سَوِيْقُ سَلِيمٍ قَيْنُقَاعٍ وَمِسْوَرُ	وَمَرْوَانَ وَالنُّعْمَانَ سُرُّوا بِمَقْدَمِ
كَذَا ابْنُ زَيْبِرٍ مِثْلَ مَوْتِ رُقِيَّةِ	أَبُو بَنَاتِ هِنْدٍ إِنَّمَا كَانَتْ بِمَعْلَمِ
غَزَا أَحَدًا فِي (ثَالِثِ) قَتَلَ خَمْزَةَ	وَذَا أَمْرٍ وَالْحَمْرُ رُدَّتْ فَحَرَّمِ
وَحَمْرَاءُ مَعَ بَذَرَ أَخِيرًا بَسَاوُهُ	بَزَيْتَبِ ذَاتِ الْبِرِّ كَسْبًا لِمُعْدِمِ

كَذَا حَفْصَةٌ مَعَ أُمِّ كُلْثُومَ زُوجَتْ
 فِي (رَابِع) تَزْوِيجُ هِنْدٍ مَعُونَةٌ
 مَرَّ يَسِيعُ إِنْكَ وَالرَّقَاعُ وَمَوْعِدُ
 وَصَلَ لَخُوفِ ثُمَّ (فِي الْخَمْسِ) خَنْدَقُ
 ضِمَامُ أَتَى إِسْلَامَ عَمْرِ وَخَالِدِ
 وَفِي (سَادِس) لَحْيَانُ ذُو قُرْدٍ بِهِ
 مُقَوِّسُ أَهْدَى وَالظَّهَارُ وَخَاتَمُ
 وَخَيْبَرُ فِي (سَبْع) صَفِيَّةُ رَمْلَةٌ
 قُدُومُ أَبِي هِرٍ هَدَانَا عَطِيَّةُ
 وَ (ثَامِنُ) عَامِ مُؤْتَةِ الْفَتْحِ أَسْلَمُوا
 حُنَيْنٌ غَلَاءُ طَائِفٌ نَصَبُ مِنْبَرِ
 (يَتِسَع) ثُبُوكُ وَالْوُفُودُ وَجَزِيَّةُ
 وَمَاتَ ابْنُ يَيْضَا وَالنَّجَاشِي وَغُرُورَةٌ
 لِعَانٌ وَإِلَاءٌ وَبُورَانُ مُلْكَتْ
 وَفِي (الْعَاشِرِ) إِبْرَاهِيمُ مَاتَ وَمَوْلِدُ
 جَرِيرٌ اهْتَدَى ظَلَّتْ بِأَسْوَدَ عَنَسَةٍ
 وَسَبْعُ وَعِشْرُونَ الْمَغَازِي وَمِثْلُهَا
 أَصْبِنَا (لِإِحْدَى عَشْرَةٍ) بَنِينَا
 بِهَا بَايَعُوا الصَّدِيقَ رِدَّةً وَأَبْكَيْنُ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهَجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبِسْنَا خِلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَنَحْصِنَا
 مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَنَحْلَصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ

وَإِتِّدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا
وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا
ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فوائد ومواعظ ونصائح

مُؤَاسَاةُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَاعٌ : وَمُؤَاسَاةُ بِالْمَالِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالْجَاهِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالْبَدَنِ
وَالْخِدْمَةِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالنَّصِيحَةِ وَالْإِرْشَادِ ، إِلَى طَرَقِ الرِّشَادِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالْدَعَاءِ ،
وَمُؤَاسَاةُ بِالتَّوَجُّعِ لَهُمْ ، وَعَلَى قَدْرِ إِيْمَانِ الْإِنْسَانِ وَتَقْوَاهُ تَكُونُ مُؤَاسَاةُهُ
لِأَخِيهِ .

وَقَالَ آخِرُ اللَّعْبِدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ مُوقِفَانِ : مَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاةِ ،
وَمَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ لِقَائِهِ فَمَنْ قَامَ بِحَقِّ الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ هُوَ عَلَى الْمَوْقِفِ
الثَّانِي .

الْعَجَلَةُ تُكْنَى أُمُّ النَّدَامَةِ ، وَهِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خُمُسَةِ أَشْيَاءَ : التَّوْبَةُ
مِنَ الذَّنْبِ فَوْرًا ، وَتَجْهِيْزُ الْمَيِّتِ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ ، وَقَضَاءُ الدِّينِ إِذَا وَجِبَ
أَدَاؤُهُ ، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْكَ ، وَتَرْوِيجُ
الْبَكْرِ إِذَا خَطَبَهَا كُفُّوْهَا .

وَقَالَ آخَرُ : لَا تَتَكَلَّفْ مَا لَا تُطِيقُ ، وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَا لَا تُدْرِكُ ، وَلَا تَعُدْ
بِمَا لَا تُقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَلَا تُتَفِقْ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْتَفِيدُ ، وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ مُدْرِكُكَ عَلَى
قَدْرِ لِحَافِكَ ، وَلَا تُطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ ، وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا
بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ .

وقال بعضهم : إذا رأيتَ الناسَ في الخيرِ فَنَافِسْهُمْ عليه ، وإذا رأيتَهُم في الشرِّ فلا تُغْبِطْهُمْ فيه .

الثواء في الدنيا قليل ، والبقاءُ هُناكَ طَوِيلٌ أُمَّتُكُمْ آخِرُ الأُمَمِ وأنتم آخِرُ أُمَمِكُمْ وَقَدْ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ فما تَنْتَظِرُونَ .

أما إِنَّهُ واللهِ لَا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِكُمْ وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا كِتَابَ بَعْدَ كِتَابِكُمْ ، أَنْتُمْ تَسُوقُونَ الناسَ والسَّاعَةَ تَسُوقُكُمْ ، وَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِأَوَّلِكُمْ أَنْ يَلْحَقَهُ آخِرُكُمْ .

واعِلَمْ يا ابنَ آدَمَ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ في هَدْمِ عُمْرِكَ مُنْذُ سَقَطْتَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ رَحِمَ اللهُ رَجُلًا نَظَرَ فَتَفَكَّرَ وَتَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَأَبْصَرَ فَصَبَرَ فَقَدْ أَبْصَرَ أَقْوَامَ وَلَمْ يَصْبِرُوا ، فَذَهَبَ الْجَزَعُ بِقُلُوبِهِمْ ، وَلَمْ يُدْرِكُوا ما طَلَبُوا وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى ما فَارَقُوا .

قَدْ طَوَاكَ الزَّمانُ شَيْئًا فشيئًا	وَبَرَّتْكَ الخُطوبُ جُزْءًا فَجُزْءًا
كان ما كانَ وانْقَضَتْ مُدَّةُ الـ	عُمُرٍ وَوَلَّى الشَّبَابُ خَبْرًا وَمَرْءًا
وقديمًا قَدْ أَعْلَمْتَكَ اللَّيالي	أَنَّ أَدْوَاءَهَا تُفَوِّتُكَ بُرْءًا
فأدركَ منها فائتًا بِمَتَّابٍ	بَلْ بِإِيْمَانٍ أَنْشِيءَ اليَوْمَ نَشْءًا
واتَّخِذْ لِلْهِيامِ وَيَحَكَ رِيًّا	واتَّخِذْ لِلْسُّهُومِ وَيَلْكَ فَيْئًا
وإذا ما خَرَقْتَ بالدينِ خَرْقًا	فَارْفِئْنَهُ بِالْإِنابةِ رَفْءًا
وإذا ما وَرَدَتْ مَوْرِدَ دُنْيَا	فَلْيَكُنْ ما وَرَدَتْ مِنْ ذاكَ ضَمًّا
ولتَدْعُهَا تَخِيلاً وَأَمَانِي	الْبَسَتْ قَلْبَكَ الْمُغْفَلَ صَدْءًا
وإذا ما الحِمَامُ جَاءَكَ يَوْمًا	لَمْ تَجِدْ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ شَيْئًا

اللهم انظِمْنا في سِلْكِ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، واجْعَلْنا مِنْ عِبادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وآمِنًا يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، واحشُرْنا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

فصل

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحمه الله إنما الدنيا أَمَلٌ مُحْتَرَمٌ ، وأَجَلٌ
مُنْتَقَصٌ ، وبَلاَغٌ إلى غيرها ، وسيرٌ إلى الموت ليس فيه تَغْرِيجٌ .

فَرَحِمَ الله إِمْرَأً فَكَّرَ في أمرِهِ ، وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ وَرَاقِبَ رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ ،
بِئْسَ الْجَارُ الْغَنِيِّ يَأْخُذُ بِمَا لَا يُعْطِيكَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنْ أُيِّتَ لَمْ يَعْذُرَكَ .

وقال إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ ، فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ ، وَمُفْسِدَةٌ لِلْجِسْمِ ،
وَمُؤَدِّيَّةٌ إِلَى السَّقَمِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوَّتِكُمْ فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ السَّرَفِ ، وَأَصَحُّ
الْبَدَنِ ، وَأَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَنْ يَهْلِكَ حَتَّى يُؤَثِّرَ شَهْوَاتُهُ عَلَى دِينِهِ .

وقال عليُّ ابنُ أبي طالب رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبُوا ،
وَمَهِّلُوا لَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبُوا ، وَتَزُودُوا لِلرَّجِيلِ قَبْلَ أَنْ تُزَعَجُوا ، فَإِنَّمَا هُوَ مَوْقِفٌ
عَدْلٍ ، وَقَضَاءٌ حَقٍّ ، وَلَقَدْ أُبْلِغَ فِي الْإِعْذَارِ مَنْ تَقَدَّمَ بِالْإِثْمِ .

ومرث بالحسن البصري جَنَازَةً فَقَالَ يَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ مَا أُبْلَغَهَا وَأُسْرَعَ
نَسْيَانَهَا يَا لَهَا مَوْعِظَةٌ لَوْ وَاقَفْتُ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً ثُمَّ قَالَ يَا لَهَا مِنْ غَفْلَةٍ
شَابِلَةٍ لِلْقَوْمِ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهَا فِي النَّوْمِ مَيِّتٌ غَدٍ يَدْفَنُ مَيِّتُ الْيَوْمِ .

شعرا :

مَا أَنْتَ وَالرِّشَاءُ الْأَخْوَى تُغَارِلُهُ وَالرَّكْبُ تَسْأَلُ عَنْهُ بَاءَةَ الْوَادِي

وَقَدْ أَظْلَكَ جَيْشٌ لِلرَّدَى لَجِبٌ
 مِنْ كُلِّ دَاهِيَةٍ لَوْ أَنَّهَا مَثَلَتْ
 لَا يَمْنَعُ الْمَرْءَ مِنْهَا رَأْسُ شَاهِقَةٍ
 وَأَنْتَ غَادٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ وَمَا
 كَأُنِّي بِكَ مَصْرُوعًا لَوَطَّائِهِ
 قُمْ قَدْ أَتَيْتَ وَلَا مَنَجِي وَلَا وَزَرَ
 صِخَ بِاللَّيْلِ وَالْقَصْرِ الْمَشِيدِ عَسَى
 يَا رَاقِدًا وَعُيُونُ الْمَوْتِ سَاهِرَةٌ
 كَالْبَحْرِ يُوَصِّلُ أَمْدَادًا بِأَمْدَادٍ
 شَخْصًا لِأَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ وَقَادٍ
 وَلَا يُرَدُّ شَبَاهَا نَسْجُ زُرَادٍ
 لَدَيْكَ مِنْ نَاصِرٍ يُرْجَى وَلَا فَادٍ
 هَذَا أَوَانُ مَعَارِ الْفَارِسِ الْعَادِ
 لِلْوَيْلِ أَصْبَحْتَ مِنْ رَكْضٍ وَإِنْشَادِ
 هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ كَانَ الْقَصْرُ وَالنَّادِ
 لَقَدْ أُعِزَّتْ لِأَمْرِ غَيْرِ رَقَادِ

وقال مالك بن دينار رحمه الله رأيت البادية في يوم شديد البرد شاباً عليه ثوبان خلقتان وعليه آثار الدعاء وأنوار الإجابة فعرفته وكنت قبل ذلك عهدته بالبصرة ذا ثروة وحسن حال وكان ذا مال وآمال قال فبكيت لما رأيته على تلك الحال .

فلما رأيته بكى وبدأني بالسلام وقال لي يا مالك بن دينار ما تقول في عبدي أبق من مولاه ، فبكيت لقوله بكاء شديداً ، فقلت له وهل يستطيع المسكين ذلك ، البلاد بلاده ، والعباد عبادته ، فأين يهرب المسكين .

فقال يا مالك سمعت قارئاً يقرأ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ فأخسست في الحال بنار وقعت بين ضلوعي فلا تحمّد ولا تهدأ من ذلك اليوم ، يا مالك أتراني أرحم وتطفأ هذه الجمرة من قلبي .

فقلت له أحسن الظن بمولاك فإنه غفور رحيم ثم قلت له إلى أين قال إلى مكة شرفها الله تعالى لعلني أن أكون ممن إذا التجأ إلى الحرم استحق مراعاة الذمم .

قال مَالِكُ فَفَارَقَنِي وَمَضَى فَتَعَجَّبْتُ مِنْ وَقُوعِ المَوْعِظَةِ مِنْهُ مَوْقِعَهَا ، وما
تَأْجِجُ بَيْنَ جَنَّبَيْهِ مِنْ نَارِ التِّيْقُظِ وَالْإِنَابَةِ وما حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ صَدَقٍ وَحُسْنِ
الاسْتِمَاعِ .

وَذِي بَيَانٍ إِذَا مَا قَالَ أَوْ نَحَطَبَا أَتَى بِسَهْلٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ مُنْتَبِعِ
أَتَى بِسَهْلٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ مُنْتَبِعِ وَلَوْ تَجَسَّدَ أَضْحَى خَالِصاً ذَهَبَا
وَلَوْ تَجَسَّدَ أَضْحَى خَالِصاً ذَهَبَا سَهْمَا فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَتْهُ كَبَا
سَهْمَا فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَتْهُ كَبَا وَلَا يَرُدُّ جَوَاباً هَانَ أَوْ صَعْبَا
وَلَا يَرُدُّ جَوَاباً هَانَ أَوْ صَعْبَا غَبْرَاءَ مُصْطَفَقِ الْأَحْشَاءِ مُسْتَلْبَا
غَبْرَاءَ مُصْطَفَقِ الْأَحْشَاءِ مُسْتَلْبَا إِذْ أَدْرَكَ الدُّودُ مِنْ جَنَّبَيْهِ مَا طَلَبَا
إِذْ أَدْرَكَ الدُّودُ مِنْ جَنَّبَيْهِ مَا طَلَبَا

اللَّهُمَّ انْظُرْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبَكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفُ رِئَاؤُنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

وَإِخْتِصَارُ أَحَدِ الْعِبَادِ فَقَالَ مَا تَأْسِيفِي عَلَى دَارِ الْهُمُومِ وَالْأَنْكَادِ وَالْأَحْزَانِ
وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ وَإِنَّمَا تَأْسِيفِي عَلَى لَيْلَةٍ نَمَتُهَا وَيَوْمِ أَفْطَرْتُهُ وَسَاعَةِ غَفَلْتُ فِيهَا
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ولما حضرته إبراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له في ذلك فقال إني أنتظر رسولا يأتي من ربي لا أدري هل يبشّرني بالجنة أو بالنار .

ولما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه بكى ، فقيل له ما يبكيك ، فقال والله ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن عهدت عهدته إلينا رسول الله ﷺ قال ليكن بلاغ أحديكم كزاد الراكب فلما مات نظروا في جميع ما ترك فإذا هو ثلاثون درهماً وكان أميراً على المدائن ، مدائن كسرى .

ويروى أن عمر بن العاص رضي الله عنه لما دنا منه الموت دعا بحرسه ورجاله فلما دخلوا عليه قال هل تغنون عني من الله شيئاً قالوا لا قال فاذهبوا وتفرقوا عني .

ثم دعا بماء فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم قال احمِلُونِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَفَعَلُوا وَحَمَلُوهُ فَقَالَ اسْتَقْبِلُوا بِي الْقِبْلَةَ فَفَعَلُوا .

فقال اللهم إنك أمرتني فعصيت وأتمنتني فحنت وحددت لي فتعدت اللهم لا بريء فأعذر ولا قوي فانتصر بل مذنب مستغفر لا مصير ولا مستكبر .

ثم قال : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فلم يزل يرددّها حتى مات .

ولما حضرت معاوية الوفاة رضي الله عنه قال أقعدوني فأقعدوه فجعل يذكر الله ويسبحه ويقديسه .

ثم قال مخلصاً نفسه الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الإنحطام والإنهدام ألا كان ذلك وغصن الشباب نضير ريان وبكا حتى علا بكأوه ثم قال :

هُوَ الْمَوْتُ لَا مَنَجَى مِنَ الْمَوْتِ وَالَّذِي أَحْذِرُ مِنْهُ الْمَوْتُ أَذْهَى وَأَفْظَعُ

ثم قال يا ربِّ ارحمِ الشيخَ العاصي ذا القلبِ القاسي ، اللهم أقل العثرة ، واغفر الزلة ، وجُدْ بحلمِكَ على مَنْ لَمْ يَرْجُ غَيْرَكَ ، ولا وَثِقَ بِأَحَدٍ سِوَاكَ .

ثم قال لابنه يزيد يا بُنَيَّ إِذَا وَفَى أَجَلِي فَأَعِمِدْ إِلَى الْمُنْدِيلِ الَّذِي فِي الْخِزَانَةِ فَإِنَّ فِيهِ ثَوْباً مِنْ أَثْوَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقُرَاضَةً مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ ، فَاجْعَلِ الثَّوْبَ مِمَّا يَلْبَسِي جَسَدِي وَاجْعَلْ أَكْفَانِي فَوْقَهُ وَاجْعَلِ الْقُرَاضَةَ فِي فَمِي وَأَنْفِي وَعَيْنِي .

فإن نفعني شيءٌ فهذا فإذا جعلتموني في قَبْرِي فَخَلُّوا مُعَاوِيَةَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ .

ويُروى أَنَّهُ قَالَ فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ رَجُلًا مِنْ سَائِرِ قُرَيْشٍ يَذِي طُوى وَلَمْ أَلِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا .

ولما حَضَرَتْ أبا هُرَيْرَةَ الْوَفَاةَ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ يُبْكِينِي بَعْدَ الْمَفَازَةِ ، وَقِلَّةُ الزَّادِ ، وَضَعْفُ الْيَقِينِ ، وَالْعَقَبَةُ الْكُؤُودُ الَّتِي الْمُهَبَّطُ مِنْهَا إِذَا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

ولما حَضَرَتْ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِي الْوَفَاةَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ أَخَافُكَ وَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَبُّ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا لِجَرِي الْأَنْهَارِ وَلَا لِغَرْسِ الْأَشْجَارِ وَلَكِنْ لِظَمِّ الْهَوَاجِرِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَمَكَابِدَةِ السَّاعَاتِ وَمُزَاخَمَةِ الْعُلَمَاءِ فِي حَلْقِ الذِّكْرِ .

ولَمَّا اشْتَدَّ بِهِ النَّزْعُ جَعَلَ كُلَّمَا أَفَاقَ مِنْ غَمْرَةٍ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ يَا رَبِّ شَدِّدْ شِدَاتِكَ وَانْحِنِقْ نَحْنَقَاتِكَ فَوَعِزَّتِكَ لَتَعْلَمَ أَنِّي أَحِبُّكَ .

وَلَمَّا نَزَلَ الْمَوْتُ بِمُحَمَّدٍ بْنِ الْمُنْكَدِرِ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ مَا أَبْكِي
حِرْصاً عَلَى الدُّنْيَا وَلَا جَزَعاً مِنَ الْمَوْتِ وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى مَا يَفُوتُنِي مِنَ ظُلْمِ
الْهَوَاجِرِ وَقِيَامِ لَيَالِ الشِّتَاءِ .

وَيُرَوَّى عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِمْرَأَةً عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهَا
قَالَتْ كُنْتُ أَسْمَعُ عَمْرٍاءَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَخْفِ عَلَيْهِمْ مَوْتِي
وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَجَلَسْتُ فِي بَيْتٍ قَرِيبٍ
مِنْهُ يَنْبِي وَيُنْهِي بَابَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا لَمْ أَسْمَعْ لَهُ حَرَكَةً وَلَا كَلَاماً فَقُلْتُ لِوَصِيْفٍ عِنْدَهُ (أَيِ
خَادِمٍ) أَنْظِرْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا صَنَعَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا صَاحَ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا
هُوَ مَيِّتٌ رَحِمَهُ اللَّهُ .

تَفَانُوا جَمِيعاً فَلَا مَخْبِرَ وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْخَبَرُ
وَصَارُوا إِلَى مَالِكٍ قَاهِرٍ عَزِيزٍ مُطَاعٍ إِذَا مَا أَمَرَ
تَرَوْحُ وَتَعْدُ بَنَاتُ الثَّرَى وَتَمْحُو مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّورِ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنْاسٍ مَضَوْا أَمَالِكُ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرُ
لَقَدْ لَقِيَ الْقَوْمُ مَا قَدَّمُوا فَإِذَا نَعِيمٌ وَإِذَا سَقَرُ

اللَّهُمَّ تَوَرَّ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبَّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ
الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

وَلَمَّا حَضَرَتْ مُحَمَّدُ بْنُ سِرِّينَ الْوَفَاةَ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ أَبْكِي لِتَفْرِيطِي فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَقِلَّةِ عَمَلِي لِلْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ وَمَا يُنْجِينِي مِنَ النَّارِ الْحَامِيَةِ .

وَلَمَّا حَضَرَ أَبَا عَطِيَّةَ الْمَوْتُ جَزِعَ فَقَالُوا لَهُ أَتَجَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ فَقَالَ وَمَا لِي لَا أَجَزَعُ وَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ فَلَا أَدْرِي أَيَّنَ يُسَلِّكُ بَنِي .

وَكَانَ الْجَنِيْدُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ فِي سِيَّاقِ الْمَوْتِ وَيُصَلِّي فَخَتَمَ فَقِيلَ لَهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ يَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَالَ وَمَنْ أَحَقُّ مِنِّي بِذَلِكَ وَهَذَا هُوَ ذَا تُطَوَّى صَحِيفَةُ عَمَلِي ثُمَّ كَبَّرَ وَمَاتَ .

وَلَمَّا نَزَلَ الْمَوْتُ بِسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ قِيلَ أُبَشِّرْ فَقَدْ كُنْتَ مُجْتَهِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ لَا تَقُولُوا هَكَذَا فَإِنِّي لَا أَدْرِي مَا يَتَلَوَّنِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ عَمَلُوا أَعْمَالًا كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهَا حَسَنَاتٌ فَوَجَلُّوها سَيِّئَاتٍ .

وَلَمَّا حَضَرَتْ الْفَضِيلَ بْنَ عِيَّاضٍ الْوَفَاةَ غَشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ وَقَالَ يَا بُعْدَ سَفَرِي وَقِلَّةِ زَادِي .

وَلَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةَ عَامِرَ بْنَ قَيْسٍ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يَبْكِيكَ قَالَ أَبْكِي لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

قَالَ بَعْضُهُمْ يُوْبَخُ نَفْسَهُ وَيَعْظُمُهَا ، يَا نَفْسُ بَادِرِي بِالْأَوْقَاتِ قَبْلَ انْصِرَامِهَا ، وَاجْتَهِدِي فِي حِرَاسَةِ لَيَْالِي الْحَيَاةِ وَأَيَّامِهَا .

فَكَأَنَّكَ بِالْقُبُورِ وَقَدْ تَشَقَّقَتْ ، ، وَبِالْأُمُورِ وَقَدْ تَحَقَّقَتْ ، وَبِوُجُوهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ اشْرَقَتْ ، وَبِرُؤُوسِ الْعَصَاةِ وَقَدْ أَطْرَقَتْ قَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَلَوْ تَرَى

إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً
 إنا موقنون ﴿ يا نَفْسُ أما الْوَرَعُونَ فقد جَدُّوا ، وأما الْخَائِفُونَ فقد استعدوا ،
 وأما الصالحون فقد فرحوا وراحوا وأما الْوَعِظُونَ فقد نَصَحُوا وصاحوا الْعُلَمَاءُ
 لا يَحْصُلُ إِلَّا بِالنَّصَبِ وَالْمَالِ لا يَجْمَعُ إِلَّا بِالتَّعَبِ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْحَرِيصُ على
 تَخْلِيصِ نَفْسِهِ إِنَّ عَزَمْتَ فَبَادِرْ وَإِنْ هَمَمْتَ فَتَابِرْ ، واعلم أنه لا يُدْرِكُ الْعِزَّ
 وَالْمَفَاحِرَ مَنْ كَانَ فِي الصِّفَةِ الْآخِرِ .

وقال آخر إذا أَرَدْتَ اللَّحَاقَ بِالْمُجْدِينَ وَأَنْتَ صَادِقٌ فَاجْعَلْ نَصَبَ عَيْنِكَ
 قول الله جل وعلا : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا
 عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْلُو
 كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ ينادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ
 قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴾ وَتَفَكَّرْ فِي بَهْتِكَ
 وَخَيْرَتِكَ وَذَلِكَ وَانْكِسَارِكَ وَافْتِقَارِكَ وَقِلَّتِكَ وَقَلَقِكَ وَانْزِعَاجِكَ يَوْمَ لا تَجِدُ
 إِلَّا عَمَلَكَ الَّذِي عَمِلْتَ وَسَعْيَكَ الَّذِي سَعَيْتَ .

ثُمَّ تَفَكَّرْ - بَعْدَ تَفَكُّرٍ فِيمَا سَبَقَ - فِي الصِّرَاطِ ، الَّذِي هُوَ الْجَسْرُ
 الْمَنْصُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ ، بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، خَرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ زِيَادِ
 التَّمِيمِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : « الصِّرَاطُ كَحَدِّ الشُّفْرَةِ ، أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُنْجُونَ
 الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ جِبْرِيلَ لَا يَخُذُ بِحُجْرَتِي ، وَأَنِّي لَأَقُولُ يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ،
 فَالزَّالُونَ وَالزَّالَاتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ » وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ « ثُمَّ يُضْرَبُ الْجَسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ،
 وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ ؟
 قَالَ : « دَخَضٌ مَزَلَّةٌ ، فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيْبٌ ، وَحَسَكَةٌ تُكُونُ بِسُجْدٍ ، فِيهَا

شَوَيْكَةً يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرَّيْحِ ،
وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ ، وَمَخْلُوشٌ مُرْسَلٌ ،
وَمُكَرَّدَسٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ « خَرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

شِعْرًا :

واذْكَرْ رُقَادَكَ فِي السَّيِّئِ	فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ بِهِمٍ
قَدْ نُحِيتَ تِلْكَ الْحُلَى	وَاسْتَبْدَلْتَ تِلْكَ الرُّسُومَ
وَتَرَكْتَ وَيْحَكَ مُفْرَدًا	لَا أَهْلَ فِيهِ وَلَا حَمِيمَ
حَيْرَانَ تَفْزَعُ لِلْبُكَاءِ	لَهْفَانَ تَأْنِسُ بِالْغُمُومِ
حَتَّى يُنَادِيَ بِالْوَرَى	فَتَقُومُ أَسْرَعَ مَا تَقُومُ
عَرِيَانَ مُصْطَفَقَ الْحَشَا	هَيْمَانَ مُجْتَمِعَ الْهُمُومِ
وَالنَّاسُ قَدْ رَجَفَتْ بِهِمِ	حَرْبٌ هُنَا لِكُمُومَا عَقِيمِ
فِي مَازِقٍ تَهْفُو بِهِ	لَفْحَاتٍ نِيرَانِ السُّمُومِ
وَبَدَتْ هُنَاكَ سَرَائِرُ	قَدْ كُنْتَ قَبْلَ هَا كَتُومِ
وَرَأَيْتَ فِي مَخْصُورِلِهَا	مَا شِئْتَ مِنْ نُحْسٍ وَشُومِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَاذْخُلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَتَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل وَخَرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي مَالِكٍ ، عَنْ رَبِيعٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ كِلَاهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ ، وَفِيهِ قَالَ : « فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، فَيَقُومُ ، وَيُؤَذِّنُ لَهُ وَتُرْسَلُ مَعَهُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ ، فَيَقُومَانِ جَنِبَتَيْ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أُولُكُمُ كَالْبَرْقِ » قَالَ قُلْتُ : يَا بَنِي أُمِّیْ أَيْ شَيْءٍ كَمَرُ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ ، وَأَشَدُّ الرِّجَالِ ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجُزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، وَحَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا » قَالَ : « وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبُ مُعَلَّقَةٌ ، مَأْمُورَةٌ بِأَخِذٍ مَنْ أَمَرَتْ بِأَخِذِهِ فَمُخَذَّشٌ نَاجٍ ، وَمُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ » وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ خَرِيفًا .

وَرَوَى أَبُو الزُّعْرَاءِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ، قَالَ : يَأْمُرُ اللَّهُ بِالصِّرَاطِ فَيُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ ، فَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ زُمَرًا زُمَرًا ، أَوَائِلُهُمْ كِلْمَحِ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ ، ثُمَّ كَمَرُ الْبَهَائِمِ ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ سَعْيًا ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ مَشْيًا ، حَتَّى يَجِيءَ آخِرُهُمْ يَتَلَبَّطُ عَلَى بَطْنِهِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لِمَ بَطَّأْتُ بِي ؟ فَيَقُولُ : إِنِّي لَمْ أَبْطِئْ بِكَ ، إِنَّمَا بَطَّأُ بِكَ عَمَلُكَ » ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيْمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي الدُّنْيَا ، هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا ، الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِسُلُوكِهِ ، وَالْإِسْتِقَامَةَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِسُؤَالِ الْهِدَايَةِ ، فَمَنْ اسْتَقَامَ سَيْرُهُ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَنْحَرِفْ عَنْهُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً اسْتَقَامَ سَيْرُهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ سَيْرُهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا بَلْ انْحَرَفَ عَنْهُ إِمَّا إِلَى فِتْنَةِ الشُّبُهَاتِ أَوْ إِلَى فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ كَانَ اخْتِطَافُ الْكَلَالِيْبِ لَهُ عَلَى صِرَاطِ جَهَنَّمَ ، بِحَسَبِ اخْتِطَافِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ لَهُ عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

فَفَكَّرْ فِي أَهْوَالِ الصِّرَاطِ وَعَظَائِمِهِ ، وَمَا يَحِلُّ بِالْإِنْسَانِ مِنَ الدُّعْرِ وَالْخَوْفِ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ ، وَوُقُوعِ بَصَرِكَ عَلَى جَهَنَّمَ مِنْ تَحْتِهِ ، وَسَمَاعِكَ

شَهِيقَهَا وَتَغِيْظَهَا عَلَى الْكَفَرَةِ ، وَقَدْ اضْطُرِرْتَ إِلَى أَنْ تَمْشِيَ عَلَى الصِّرَاطِ
 الَّذِي مَرَّتْ صِفَتُهُ وَصِفَةُ الْمُرُورِ عَلَيْهِ ، مَعَ ضَعْفِ حَالِكَ ، وَكَوْنِكَ خَافِياً
 عَارِياً ، وَثِقَلِ الظُّهْرِ بِالْأَوْزَارِ عَنِ الْمَشْيِ فِي الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ ، فَضْلاً عَنْ
 الْمَشْيِ عَلَى الصِّرَاطِ ، فَتَصَوِّرُ وَضْعَكَ رِجْلَكَ عَلَيْهِ ، وَإِحْسَاسَكَ بِحَدِّتِهِ ،
 وَأَنْتَ مُضْطَرٌّ إِلَى أَنْ تَرْفَعَ رِجْلًا وَتَضَعَ الْأُخْرَى ، وَأَنْتَ مُنْدَهَشٌ بِمَا تَحْتَكَ
 وَأَمَامَكَ ، مِمَّنْ يَمُتُّونَ ، وَآخَرُونَ يَزِلُّونَ ، وَآخَرُونَ يُحْطَفُونَ بِالْخَطَاطِيفِ
 وَبِالْكَلَالِيبِ ، وَالْعَوِيلُ وَالْبُكَاءُ تَسْمَعُ لَهُ تَتَابُعاً وَدَوِيّاً ، وَتَنْظُرُ الَّذِينَ يَنْتَكِسُونَ
 عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَآخَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، فَتَعْلُوا الْأَرْجُلُ ، فَيَا لَهُ مِنْ مَنْظَرٍ
 فَظٍّ ، وَمُرْتَقَى مَا أَصْعَبُهُ ، وَمَجَازٍ مَا أَضْيَقُهُ ، وَمَكَانٍ مَا أَهْوَلُهُ ، وَمَوْقِفٍ مَا
 أَشَقُّهُ ، وَكَأَنِّي بِكَ مَمْلُوءٌ مِنَ الرَّغْبِ وَالذَّغْرِ ، تَلَفْتُ يَمِيناً وَشِمَالاً إِلَى مَنْ
 حَوْلَكَ مِنَ الْخَلْقِ ، وَتُجِيلُ فِيهِمْ بَصْرَكَ ، وَهُمْ يَتَهَافَتُونَ قُدَّامَكَ فِي جَهَنَّمَ ،
 وَالرُّعَقَاتُ بِالْوَيْلِ وَالنُّبُورِ قَدْ ارْتَفَعَتْ مِنْ قَعْرِ جَهَنَّمَ ، لِكَثْرَةِ مَنْ يَزِلُّ عَنْ
 الصِّرَاطِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » فَتَصَوِّرُ لَوْ
 زَلَّتْ قَدَمُكَ ، فَهَلْ يَنْفَعُكَ نَدَمُكَ ، وَتَحْسُرُكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَلَا ﴿ يَوْمَئِذٍ
 يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ .

أَجْنَبَ جِيَاداً مِنَ التَّقْوَى مُضْمَرَةً لِّلْسَبْقِ يَوْمَ يَفُوزُ النَّاسُ بِالسَّبْقِ
 تَمُرُّ مَرُّ الرِّيَّاحِ الْهَوَاجِ عَاصِفَةً أَوْ لَمَحَةِ الْبَرْقِ إِذَا يَجْتَازُ بِالْأَفُقِ
 وَارْكُضْ إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى وَخَلْ لَهَا عِنَانَ صِدْقٍ رَمَى فِي فِتْنَةٍ صِدْقٍ
 فَإِنَّ خَلْفَكَ أَعْمَالاً مُبْطِلَةً وَلَسْتَ تَنْهَضُ إِلَّا وَبِكَ بِالْعَنَقِ
 كَمْ حَلَّ عَزَمَكَ مِنْ دُنْيَا مُعَرَّجَةٍ بِقَصْدِكَ الْيَوْمَ عَنْ مَسْلُوكَةِ الطَّرِيقِ
 يَا غَافِلاً وَالْمَنَايَا مِنْهُ ذَاكِرَةً وَضَاحِكاً وَالرَّدَى مِنْهُ عَلَى حَنَقٍ
 قَطَعْتَ عُمُرَكَ فِي سَهْوٍ وَفِي سِنَةٍ وَمِنْ أَمَامِكَ لَيْلٌ دَائِمٌ الْأَرْقِ

وَرَبِّ رَأْيٍ تَرَاهُ الْيَوْمَ فِي سَفَهٍ عَقْلاً تَرَاهُ غَداً فِي غَايَةِ الْحَرَقِ
نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى النِّجَاةَ مِنْهَا وَأَنْ يُوفِّقَنَا لِلْأَعْمَالِ الْمُؤَهِّلَةِ لِذَارِ الْخُلْدِ وَأَنْ
يُوفِّقَ وَلَا تَنَا لِلْقِيَامِ عَلَى هَوَلَاءِ الْمَجْرِمِينَ ، وَرَدِّعِهِمْ وَالزَّامِيهِمْ سُلُوكَ طُرُقِ الْحَقِّ
إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُوراً تَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى
تَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

إِعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخُ أَنَّ جَمِيعَ مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَشُرُورَهَا وَأَحْزَانَهَا كَأَحْلَامِ نَوْمٍ أَوْ
كَظُلْمِ زَائِلٍ .

إِنْ أَضْحَكْتَ قَلِيلاً أَبْكْتَ كَثِيراً وَإِنْ سَرَّتْ يَوْماً أَوْ أَيَّاماً سَاءَتْ أَشْهُراً أَوْ
أَعْوَاماً وَإِنْ مَتَّعْتَ قَلِيلاً مَنَعْتَ طَوِيلاً . . .

وَمَا حَصَلَ لِلْعَبْدِ فِيهَا مِنْ سُرُورٍ إِلَّا أَعْقَبَهُ أَحْزَانٌ وَشُرُورٌ كَمَا قِيلَ « مَنْ سَرَّهُ
زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِذِمِّ الدُّنْيَا وَقِلَافِهَا مَنْ بُسِطَ
لَهُ فِيهَا وَأَعْطِيَ حَاجَتَهُ مِنْهَا .

لَأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ أَفَّةً تَعْدُو عَلَى مَالِهِ فَتَجْتَاخُهُ ، أَوْ عَلَى جَمْعِهِ فَتَفَرِّقُهُ ، أَوْ تَأْتِي
سُلْطَانُهُ فَتَهْدِمُهُ مِنْ قَوَاعِيدِهِ .

أَوْ تَدْبُ إِلَى جِسْمِهِ فَتَسْقِمُهُ ، أَوْ تَفْجَعُهُ بِشَيْءٍ هُوَ ضَيِّقٌ بِهِ مِنْ أَحْبَابِهِ .
 فالدنيا أحقُّ بالدم هي الآخذة لما أعطت ، والراجعة لما وهبت .
 بَيْنَمَا هِيَ تُضْحِكُ صَاحِبَهَا إِذَا هِيَ تُضْحِكُ مِنْهُ غَيْرُهُ .
 وَبَيْنَمَا هِيَ تُبْكِي لَهُ إِذْ بَكَتْ عَلَيْهِ .
 وَبَيْنَمَا هِيَ تُبْسِطُ كَفَّهُ بِالْإِعْطَاءِ إِذْ بَسَطَتْهَا بِالْإِسْتِرْدَادِ .
 تَعْقِدُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهَا الْيَوْمَ وَتُعْفِرُهُ بِالثَّرَابِ غَدًا .
 سَوَاءٌ عَلَيْهَا ذَهَابُ مَا ذَهَبَ وَبَقَاءُ مَا بَقِيَ تَجِدُ فِي الْبَاقِي مِنَ الذَّاهِبِ خَلْفًا
 وَتَرْضَى بِكُلِّ مِنْ كُلِّ بَدَلًا .

شِعْرًا :

بَأْمْرِ دُنْيَاكَ لَا تَغْفُلْ وَكُنْ حَذِرًا فَقَدْ أَبَانَتْ لِأَرْبَابِ النَّهْيِ عِبْرًا
 فَأَيُّ عَيْشٍ بِهَا شَابَهُ غَيْرُ وَأَيُّ صَفْوٍ تَنَاهَى لَمْ يَصِرْ كِدْرًا

آخر :

أَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ بَصِيرَةٍ وَدَعْ الشَّاعِلَ بِالَّذِي لَا يَنْفَعُ
 كَمْ رَامَهَا فِيمَا مَضَى مِنْ جَاهِلٍ لِيَفُوزَ مِنْهَا بِالَّذِي هُوَ يَطْمَعُ
 وَيَكُونَ فِيهَا آمِنًا فِي سِرِّهِ لَا يَخْتَشِي رَيْبًا وَلَا يَتَوَقَّعُ

قَالَ بَعْضُهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارِكُمْ ، وَلَا مَحَلِّ إِقَامَتِكُمْ
 دَارَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِهَا الْفَنَاءَ وَأَوْجَبَ مِنْهَا عَلَى أَهْلِهَا الرِّحِيلَ فَكَمْ مِنْ غَامِرٍ
 مُؤْنِقٍ وَمُحْسِنٍ عَمَّا قَلِيلٍ سَتَخْرُبُ عِمَارَتُهُ ، وَكَمْ مِنْ مُقِيمٍ مُغْتَبِطٍ سَيَّرَحَلَ إِلَى
 الْمَقْبَرَةِ .

فَأَحْسِنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا الرُّحْلَةَ وَاحْمِلُوا خَيْرَ مَا يَخْضُرُكُمْ لِلثُّقَلَةِ ،
 وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

إن الدنيا كظلمة قلص فذهب بينما ابن آدم ينافس فيها وعليها يضارب إذ
دعاه الله بقدره ووفاه يوم حثفه فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لآخرين مصانعه
ومغناه ، أن الدنيا ما تسر بمقدار ما تضر إنها تسر قليلاً ، وتُحزن حزناً
طويلاً .

شِعْرًا :

غَرَّتْ زَمَانًا بِمُلْكٍ لَا دَوَامَ لَهُ جَهْلًا كَمَا غَرَّ نَفْسًا مَنْ يُمَيِّنُهَا
وَصَبَّحَتْ قَوْمَ عَادٍ فِي دِيَارِهِمْ بِمُفْطَعٍ يَوْمَ عَادَتْهُمْ عَوَادِيهَا
وَتُبِعَا وَتُمُودَ الْحَجَرِ غَادَرَهُمْ رَبِيبُ الْمُتُونِ رَمِيمًا فِي مَعَانِيهَا
فَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى الْأَحْدَاثِ غَابِرُنَا كَأَنَّا قَدْ أَظْلَلْنَا دَوَاهِيَهَا
وَحَطَبَ بَعْضُهُمْ :

فَقَالَ عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَكُونُوا قَوْمًا صَوِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا
وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٌ فَاسْتَبَدَّلُوا بِهَا وَتَعَوَّضُوا عَنْهَا .

أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُكُمْ وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ وَإِنَّ غَايَةَ
تَنْقُصِهَا اللَّحْظَةَ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيدَةٍ بِقَصْرِ الْمُدَّةِ وَأَنَّ غَايَا يَحْدُوهُ
الْجَدِيدَانِ لَجَدِيدٌ بِسُرْعَةِ الْأُوبَةِ وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفُوزِ أَوْ بِالشَّقْوَةِ لِمُسْتَحِقٍّ
بِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .

انْفَى عَبْدُ رَبِّهِ نَصَحَ نَفْسَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ
عَنْهُ وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُمَيِّنُهُ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا ، وَيُزَيِّنُ الْمَعْصِيَةَ
لِيَرْكَبَهَا حَتَّى تَهْجِمَ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا وَأَنْسَى مَا يَكُونُ لَهَا ، وَأَنَّ
مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ .

فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ أَوْ أَنْ تُؤَدِّيَهُ

أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ
مَعْصِيَةٍ وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ حَسْرَةً إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَعَالَ لِمَا يَشَاءُ .

قال بعضُ العلماء كُلُّ يَجْرِي مِنْ عُمُرِهِ إِلَى غَايَةٍ تَنْتَهِي إِلَيْهَا مُدَّةُ أَجَلِهِ
وَتَنْطَوِي عَلَيْهَا صَحِيفَةُ عَمَلِهِ ، فَخُذْ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَقَسْ يَوْمَكَ
بِأَمْسِكَ ، وَكُفْ عَنْ سَيِّئَاتِكَ ، وَزِدْ فِي حَسَنَاتِكَ ، قَبْلَ أَنْ تَسْتَوْفِيَ مُدَّةَ
الْأَجَلِ وَتَقْصُرَ عَنِ الزِّيَادَةِ فِي الْعَمَلِ .

وفي كلام بعضهم أَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ أَمَانِيَّكَ سَتَرْدُ عَلَيْكَ وَتَرْجِعُ خَائِبَةً
إِلَيْكَ ، وَأَنَّ السَّاعَاتِ تَهْدِمُ فِي جَسَدِكَ ، وَرُبَّمَا عَاجَلَتْكَ الْمَنِيَّةُ فِي سَاعَاتِكَ ،
أَوْ فِي يَوْمِكَ ، أَوْ فِي غَدِكَ فَوْقَ فُتُوكَ عَلَى غِشِّكَ ، وَظُلْمِكَ ، وَأَطَالَتْ فِي
كَرْبِكَ ، وَزَادَتْ فِي غَمِّكَ وَأَرْثِكَ مَا لَمْ تَعْهَدْ ، وَأَشْهَدْتُكَ مَشْهَدًا مَا مِثْلُ
مَشْهَدٍ .

وَمَا تَبْنِيهِ فِي دُنْيَاكَ هَذِي	سَتَلْقَاهُ مِنْ الْأَيَّامِ هَدمُ
وَجِسْمُكَ وَيَكُ أَسْرَعُهُ انْهَدَامَا	وَهَلْ يَبْقَى مَعَ السَّاعَاتِ جِسْمُ
وَمَنْ تَتَّبِعُهُ تَابِعَهُ الْمَنَايَا	مُحَالٌ أَنْ تَبْقَى مِنْهُ رَسْمُ
وَلَيْتَكَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا مَنُونٌ	يُضَاعَفُ بَيْنَهَا كَرْبٌ وَغَمٌ
وَلَكِنْ بَعْدَهَا يَوْمٌ عَصِيبٌ	طَوِيلُ الْكَرْبِ ذِكْرَاهُ تَصُمُّ
وَمَا تِلْكَ الْكُرُوبُ كَمَا عَهِدْنَا	وَلَا هِيَ مَا يُعْبَرُ عَنْهُ فَهْمُ
وَلَا تَغْتَرِ بِالْأَسْمَاءِ جَهْلًا	فَرُبَّتْ مَعْنَيْنِ عَلَيْهِمَا اسْمُ
يُسَمَّى الْكُوكَبُ الدُّرِّيُّ نَجْمًا	وَمُنْبَسِطُ النَّبَاتِ كَذَاكَ نَجْمُ

اللَّهُمَّ الْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

خَطَبَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ خُطْبَةً يَلِيغَةُ فَقَالَ : إَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ وَمَبْعُوثُونَ مِنْ
بَعْدِ الْمَوْتِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
تُبْعَثُونَ ﴾ .

وَتُوقَفُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَتُجْزَوْنَ بِهَا فَلَا تُغْنِيكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا بِالْبَلَاءِ
وَالْمَصَائِبِ مَخْفُوفَةٌ ، وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَبِالْغَدْرِ مَوْصُوفَةٌ ، وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى
زَوَالٍ وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دَوْلٌ وَسِجَالٌ .

لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا نَزَائِلُهَا ، بَيْنَا أَهْلُهَا وَرِخَاءُ وَسُرُورٍ
وَنَعِيمٍ وَحُبُورٍ إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَغُرُورٍ ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالرِّخَاءُ فِيهَا
لَا يَدُومُ وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَعْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهَا بِسِهَامِهَا وَتَقْصِيئُهَا
بِحِمَامِهَا ، وَكُلُّ حَتْفَةٍ فِيهَا مَقْلُورٌ وَحِظَةٌ فِيهَا مَوْفُورٌ .

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى
مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَطْشاً وَأَعْمَرَ دِيَاراً
وَأَبْعَدَ آثَاراً فَأَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةٌ خَامِدَةٌ مِنْ بَعْدِ طُولِ ثَقْلِبِهَا وَأَصْبَحَتْ
أَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَدِيَارُهُمْ عَلَى غُرُوشِهَا خَاوِيَةً وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً .

وَاسْتَبْدَلُوا الْقُصُورَ الْمُشِيدَةَ ، وَالسُّرُرَ ، وَالنَّمَارِقَ الْمُتَهَّدَةَ بِالثَّرَابِ
وَالصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمُسْنَدَةَ فِي الْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ الْمُلْحَدَةَ فَمَحَلَّهَا مُقْتَرَبٌ
وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوَحِّشِينَ .

لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْعُمَرَانِ وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَا يَبْتَغِيهِمْ مِنْ قُرْبِ الْمَكَانِ وَالْجَوَارِ وَدُنُو الدَّارِ وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَوَاصِلٌ وَقَدْ أَكَلَتْهُمْ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى وَأَصْبَحُوا بَعْدَ الْحَيَاةِ أَمْوَاتًا وَبَعْدَ نَضَارَةِ الْعَيْشِ رُفَاتًا .

فَجِئَ بِهِمُ الْأَحْبَابُ وَسَكَنُوا تَحْتَ التُّرَابِ ظَعْنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابُ فَكَانَ صِرْثُهُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْوَحْدَةِ فِي دَارِ الْمَثْوَى وَارْتُهُنُّهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ .

فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا عَايَنْتُمُ الْأُمُورَ بُعِثَرِ الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ وَوُقِفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ فَطَارَتِ الْقُلُوبُ لِإِشْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ الذُّلُوبِ وَهَتَكَتِ الْحُجُبُ وَالْأَسْتَارَ وَظَهَرَتْ مِنْكُمْ الْعُيُوبُ وَالْأَسْرَارُ .

هُنَالِكَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الْآيَةُ .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :

تَبًا لِمَطَالِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا	كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَعْرِيفِهَا حُلْمٌ
صَفَاؤُهَا كَدَّرَ سُورُورُهَا ضَرَّرَ	أَمَانُهَا غَرَّرَ أُنْوَارُهَا ظَلَمَ
شَبَابُهَا هَرَمَ رَاحَاتُهَا سَقَمَ	لَذَاتُهَا نَدَمَ وَجَدَانُهَا عَدَمَ
لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الْأَنْكَادِ صَاحِبُهَا	لَوْ كَانَ يَمْلِكُ مَا قَدْ ضُمِنَتْ أَرْمُ
فَحَلَّ عَنْهَا وَلَا تُرْكَنُ لِزَهْرَتِهَا	فَإِنَّهَا نِعَمٌ فِي طَيْهَا نِقَمٌ
وَاعْمَلْ لِدَارِ نَعِيمٍ لَا تَفَادِلُهَا	وَلَا يُخَافُ بِهَا مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ

وَمَا قَالَه أَحَدُ الْحُكَمَاءِ فِي الدُّنْيَا لِيَكُنْ نَظْرُكَ إِلَى الدُّنْيَا اعْتِبَارًا وَرَفُضًا لَهَا اخْتِيَارًا وَطَلْبًا الْآخِرَةَ ابْتِدَارًا .

وقال بعضُ العلماء من عَجِيب ما نَقَدْتُ مِنْ أحوالِ الناسِ كثرة ما نأخُوا
على نَحْرَابِ الدِّيارِ ومَوْتِ الأَقاربِ والأسلافِ والتَّحَسُّرِ على الأَرْزاقِ بِذَمِّ
الزَّمانِ وأهلِهِ وذِكْرِ نَكْدِ العِيشِ فيه .

وقَد رَأَوْا مِنْ أَنْهَدَامِ الإسلامِ ومَوْتِ السُّنَنِ وظُهُورِ البِدْعِ وارْتِكَابِ
المَعَاصي وتقْضِي العُمُرِ في الفارِغِ الذي لا يُجْدِي والقَبِيحِ الذي يُؤْبِقُ
ويُؤْذِي .

فلا أَجْدُ مِنْهُمْ مَنْ نَاحَ على دِينِهِ ولا بَكَى على فارِطِ عُمُرِهِ ولا آسَى على
فائِتِ دَهْرِهِ .

وما أَرى لِذَلِكَ سَبَباً إِلَّا عَدَمَ مُبالاتِهِمْ في الأَذْيَانِ وعِظَمَ الدُّنيا في عُيُونِهِمْ .
ضِدَّ ما كانَ عليه السلفُ الصَّالِحُ يَرْضَوْنَ بالبلاغِ ويَنوَحُونَ على الدِّينِ اهـ .

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلَكِ الفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، واجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّتِكَ ، وأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
في الدُّنيا والآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ البَلَايا ، وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ
وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ
الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

وقال رحمه الله واعلم رحمنا الله وإياك وجميع المسلمين أن الشيء الممكن وجوده لا يعرف مقداره على الحقيقة إلا إذا عُدِم فلم يوجد .

فانتبه أيها الأحمي قبل هجوم الموت ، المال تقتّره والعمر ما يَهْمُكَ ذهابه سبَهْلًا ولا نسبة بين المال والعمر ولا تعرف قدر ضياع عُمرِكَ إلا بعدما تَمُوتُ وتطوى صحيفتك فلا يَزَادُ فيها ولا يُنْقَصُ وتندم ولات ساعة ندم .

يا أيها الساهون عن أخرائهم إن الهداية فيكم لا تعرف المال بالميزان يُصَرَفُ عندهم والعمر بينكم جزافاً يُصَرَفُ

آخر :

مرَّ الشَّبابُ ولم أقدر أرجعه ولم أحييه إلا بعد ما انصرفا والمرء يجهل قدر الشيء يمكنه حتى إذا فاتته إمكانه عرفا

ألا ترى رحمنا الله وإياك وجميع المسلمين أن الصّحة لا يعرف قدرها على الحقيقة إلا المَرَضَى ، والعافية لا يعرف مقدارها إلا المُبْتَلَى ، فكذلك الحياة لا يعرف مقدارها إلا المَوْتَى لأنهم قد ظهرت لهم الأمور وتبينت لهم الأشياء وانكشفت لهم الحقائق ، وتبدت لهم المنازل وعلموا مقدار الأعمال الصّالحة ، إذ ليس ينفق هناك إلا عمل صالح زكي ، ولا يرتفع هناك إلا عبدٌ بقي .

وكُلُّما ازداد هنا عملاً صالحاً كان هناك أرفع درجة وأشرف رتبة ، وأكثر وجاهة ، وكُلُّما ازداد في الدنيا من الأعمال الصّالحة فضيلة كان أقرب إلى الله وسيلة .

فَلَمَّا اسْتَبَانَ لَهُمْ ذَلِكَ وَعَلِمُوا مِقْدَارَ مَا ضَيَّعُوا وَقِيَمَةَ مَا فِيهِ فَرَّطُوا لِيَدْمُوا
وَأُسِفُوا وَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ إِلَى الدُّنْيَا رَجَعُوا وَإِلَى حَالَتِهِمُ الْأُولَى رُدُّوا وَكُلٌّ عَلَى
حَالِهِ .

فَالَّذِي عَمِلَ صَالِحًا يَوَدُّ لَوْ رَجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَازْدَادَ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَأَكْثَرَ
مِنْ مَشَجَرِهِ الرَّابِحِ ، وَالْمَقْصَرُّ يَوَدُّ لَوْ رُدَّ فَاسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ وَنَظَرَ فِيمَا فَرَّطَ فِيهِ .

فَالْمُفَرِّطُ الْمُهْمِلُ بِالْجُمْلَةِ يَكُونُ تَمَنِّيهِ الرُّجُوعُ أَكْثَرَ وَحِرْصُهُ عَلَى الْإِقَالَةِ
أَشَدَّ كُلِّ يَتَكَلَّمُ عَنْ حَالِهِ وَيُخْبِرُ عَمَّا هُوَ فِيهِ حَتَّى قَالَ الشَّهِيدُ الَّذِي قُتِلَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا قِيلَ لَهُ مَا تَشْتَهِي قَالَ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَأُقَاتِلَ فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى
وَذَلِكَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

وَقَالُوا : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدَمَ . قَالُوا وَمَا نَدَامَتُهُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ إِزْدَادَ وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ
لَا يَكُونَ نَزْعَ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَيُرَوَّى أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى الْقُبُورِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ فَنَامَ
فَرَأَى صَاحِبَ الْقَبْرِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ وَنَحْنُ
نَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ وَلَئِنْ تَكُنْ كَعَتَاكَ فِي صَحِيفَتِي أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا
فِيهَا .

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ مَاتَ أَخِي فِي اللَّهِ فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ لَهُ يَا فُلَانُ
مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ عِشْتَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ لِي لِأَنْ أَقْدِرَ يَعْنِي عَلَى أَنْ
أَقُولَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ قَالَ : أَلَمْ تَرَ حَيْثُ
كَانُوا يَدْفُنُونِي فَإِنَّ فُلَانًا جَاءَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لِأَنْ أَكُونَ أَقْدِرُ عَلَى أَنْ أَصْلِيَهُمَا
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

أَلَا تَرَى رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى نَدَمِهِمْ عَلَى تَفْرِيطِهِمْ وَتَأْسُفِهِمْ عَلَى تَضْيِيعِهِمْ ،
نَدِمُوا وَاللَّهُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ وَطَلَبُوا مَا لَا يُمَكِّنُ ، وَسَلَّوْا فِيمَا لَا يَجُوزُ
عَلَى حَالِهِمْ ، وَلَمْ يُسْتَغْفَرُوا فِي سُؤَالِهِمْ وَبَقِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا هُوَ فِيهِ .

شِعْرًا مَكْتُوبٌ عَلَى قَبْرِ :

أَيُّهَا الْمَاشِي بَيْنَ الْقُبُورِ	غَافِلًا عَنْ حَقِيقَةِ الْمَقْبُورِ
أَنَا مَيِّتٌ كَمَا تَرَانِي طَرِيحٌ	بَيْنَ أَطْبَاقِ رَضْمَةٍ وَصُخُورِ
أَذُنٌ مِنِّي أَنْبِيكَ عَنِّي	وَلَا يُنَبِّيكُ عَنِّي مِثْلُ خَبِيرِ
أَنَا فِي بَيْتِ غُرْبَةٍ وَانْفِرَادِ	مَعَ قُرْبٍ مِنْ جَبَرَةٍ وَعَشِيرِ
لَيْسَ فِيهِ مُؤْنِسٌ غَيْرُ سَعْيِ	مِنْ صَلَاحٍ سَعْيَتُهُ أَوْ فُجُورِ
وَكَذَا أَنْتَ فَاتَّعِظْ بِي وَإِلَّا	فَعَذِيرِي مِنْكَ الْعَدَاةَ عَذِيرِ

فَمَنْ رَأَى قَبْرًا فَإِنَّمَا رَأَى وَاعِظًا صَامِتًا يَعِظُهُ وَمُذَكِّرًا يُذَكِّرُهُ فَإِنْ كَانَ الْقَبْرُ
سَاكِنًا فَإِنَّهُ نَاطِقٌ وَوَاعِظٌ بِلِسَانِ الْحَالِ وَمُفْصِحٌ بِمَا يَكُونُ مِنْكَ فِي الْمَالِ فَكَأَنَّ
الَّذِي يُخَاطِبُكَ إِنْسَانٌ وَيُبَيِّنُ لَكَ عَاقِبَتَكَ وَيَقُولُ لَكَ يَا هَذَا كُنْتَ حَيًّا مِثْلَكَ
وَقَدْ مِتُّ وَكَذَلِكَ أَنْتَ تَمُوتُ فَتَأْهَبُ .

تَضَرَّعُ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ :

يَا رَبِّ يَا مَنْ هُوَ الْعَلَامُ فِي الْأَزَلِ	بِالسِّرِّ وَالْجَهْرِ مِنْ قَوْلِي وَمِنْ عَمَلِي
ثَبَّتْ بِفَضْلِكَ قَلْبِي يَا رَحِيمُ وَجُدْ	لِي بِالرِّضَا وَاعْفُ يَا رَحْمَنُ عَنْ زَلَّتِي
(جَرَّائِمِي لَسْتُ أُحْصِيهَا لِكَثْرَتِهَا	أَرْجُوكَ يَا سَيِّدِي عَنْهَا تَجَاوَزْ لِي
حَسْبِي رِضَاكَ وَلَا أَرْجُو سِوَاكَ وَلَا	أُحْصِي ثَنَّاكَ وَإِنِّي فِيكَ ذُو أَمَلٍ)
خَلَقْتَنِي مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ عَلَاقِي	وَسَوْفَ تَبْعَثُنَا لِلْمَوْقِفِ الْجَلِيلِ
ذُلِّي عَظِيمٍ وَقَلْبِي خَائِفٌ وَجِلٌّ	وَمِنْكَ يَرْجَى أَمَانُ الْخَائِفِ الْوَجِلِ

رَبِّ اكْفِنِي شَرَّ نَفْسِي وَاللَّعِينِ وَهَبْ
زَادَتْ عُيُوبِي فَأَمِّنْ رَوْعَتِي وَأَقِلْ
سَهْلَ بِفَضْلِكَ رِزْقِي وَاغْنِنِي أَبَدًا
شُغِلْتُ بِاللَّهُوِ عَنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ وَلَمْ
صَبَّأَتِي عَظُمْتُ إِذْ مُقَلَّتِي حُرِمْتُ
ضَيِّعْتُ عُمْرِي فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ
أَرْجُوكَ عَفْوَكَ يَا مَنْ قَدْ تَنَزَّهَ عَنْ
ظَنِّي جَمِيلٌ بِهِ أَرْجُو النِّجَاةَ غَدًا
عَامَلْتَنِي مِنْكَ بِالْأَلْطَافِ وَالْمِنْنِ
غَطَّيْتَ الصَّدَا قَلْبِي الصَّادِي فَقْنَهُ أَرْزُلْ
فَإِنَّ لِي فِيكَ ظَنًّا لَمْ يَزَلْ حَسَنًا
لِي تَوْبَةٌ وَاهْدِنِي قَبْلَ انْقِضَايَ أَجَلِي
يَا رَبَّنَا عَثَرْتَنِي وَانْظُرْ بِلُطْفِكَ لِي
عَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ يَا مَنْ لَا يَزَالُ عَلَيَّ
كُنْ عَفْوُهُ يَرْتَجِيهِ كُلُّ مُبْتَهِلٍ
طِيبَ الْكَرَى وَنَمَّا يَا سَيِّدِي زَلَّلِي
وَفِي فَتُورٍ وَفِي عَجْزٍ وَفِي كَسَلٍ
ضَيِّدٍ وَنِدٍ وَعَنْ كَيْفٍ وَعَنْ مَثَلٍ
وَالْعَفْوُ عَنْ مَا مَضَى يَا مُنْتَهَى أَمَلِي
مُذْ كُنْتُ طِفْلًا وَمِنْكَ اللَّطْفُ لَمْ يَزَلْ
حَتَّى لِعَيْسِكَ يَا مَوْلَايَ لَمْ أَمِلْ
فَعَايَنِي مِنْ أَدَى الْأَسْقَامِ وَالْعِلَلِ

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ
لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْغُرَقَى وَيَا
مُنْجِيَ الْهَلَكِيِّ وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ إِذْقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلُنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ
بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فوائد ومواعظ وحكم وقصص

قال بعض العلماء رحمه الله من ملك من الدنيا شيئاً فتناوله وأمسكه ليَقُومَ
به في حُقوق الله تعالى فهو مأجور .

وإنما هَرَبَ منها مَنْ هَرَبَ لِضَعْفِ قَلْبِهِ وَقِلَّةِ يَقِينِهِ خَافَ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَفْتِنَ

بِهَا وَتُصِيبُهُ حَلَاوُثُهَا وَأَفْرَاحُهَا حَتَّى تُنْهِيَهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِهِ .

فَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الْآيَةُ .

وَالصَّادِقُونَ أَلْهَاهُمْ حُبُّ اللَّهِ وَجَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ .

فَلَمْ يُلْهِهِمُ الْمَالُ لِأَنَّهُ حَلَاوَةٌ حُبِّ اللَّهِ غَالِبَةٌ عَلَى حُبِّ الْمَالِ .

وَمَنْ غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ عَظَمَةُ اللَّهِ وَجَلَالُهُ وَقُدْرَتُهُ لَمْ يَتَّقِ لِلْمَالِ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ السُّلْطَانِ مَا يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ مَا فِيهِ مِنْ عِلْمِهِ بِاللَّهِ وَعَظَمَتِهِ .

وَقَالَ آخِرُ : الْعَجَبُ أَنْ تَعْرِفَ اللَّهَ ثُمَّ لَا تُحِبُّهُ .

وَأَنْ تَسْمَعَ دَاعِيَهُ ثُمَّ تَتَأَخَّرَ عَنِ الْإِجَابَةِ .

وَأَنْ تُعْرِفَ قَدْرَ الرِّبْحِ فِي مُعَامَلَتِهِ ثُمَّ تُعَامِلَ غَيْرَهُ .

وَأَنْ تُلْزِقَ أَلَمَ الْوَحْشَةِ فِي مَعْصِيَتِهِ ثُمَّ لَا تُطَلِّبُ الْأَنْسَ بِطَاعَتِهِ .

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا عِلْمُكَ أَنَّكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ ، وَأَنَّكَ أَحْوَجُ شَيْءٍ إِلَيْهِ وَفِيمَا

يُبْعِدُكَ عَنْهُ رَاغِبٌ .

شِعْرًا :

أَتَيْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ الْعِبَادِ	بِأَفْلَاسِي وَذُلِّي وَائِفِرَادِ
وَهَا أَنَا وَاقِفٌ بِالْبَابِ أَبْكِي	زَمَانًا مَا بَلَغْتُ بِهِ مُرَادِ
عَسَى عَفْوٌ يُبَلِّغُنِي الْأَمَانِي	فَقَدْ بَعْدَ الطَّرِيقِ وَقَلُّ زَادِ
فَأَلَّتْ ذَخِيرَتِي وَبِكَ انْتِصَارِي	وَفِيكَ تَأَلَّهِي وَبِكَ اعْتِمَادِي
وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي	وَمِنْكَ عَلَى الْمَدَى حُسْنُ اعْتِقَادِي
وَلَوْ اقْصَيْتَنِي وَقَطَعْتَ خَيْلِي	وَحَقَّقْتَ مَا أُحْوِلُ عَنِ الْوِدَادِ

فَجِدْ بِالْعَفْوِ يَا مَوْلَايَ وَارْحَمْ عُبَيْدًا ظَلَّ عَنْ طَرِقِ الرَّشَادِ
وَقَدْ وَافَى بِبَابِكَ مُسْتَجِيرًا يَخَافُ مِنَ الْقَطِيعَةِ وَالْبِعَادِ
وَصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ الْبَرِّ حَقًّا شَفِيعِ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ

قال بعضهم إِذَا اسْتَعْنَى النَّاسُ بِالْدُنْيَا فَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ وَإِذَا فَرِحُوا بِالْدُنْيَا فَافْرِحْ
أَنْتَ بِاللَّهِ وَبِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وَإِذَا أَنْسُوا بِأَحْبَابِهِمْ فَاجْعَلْ أَنْسَكَ بِاللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَإِذَا تَعَرَّفُوا إِلَى مُلُوكِهِمْ
وَرُؤُسَائِهِمْ وَكُبَرَائِهِمْ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِمْ لِيَنَالُوا بِهِمُ الْعِزَّةَ وَالرِّفْعَةَ فَتَعَرَّفْ أَنْتَ إِلَى
اللَّهِ وَتَوَدَّدْ وَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ تَنَلْ غَايَةَ الْعِزَّةِ وَالرِّفْعَةَ .

مِنْ نَتَائِجِ الْمَعَاصِي قِلَّةُ التَّوْفِيقِ ، وَفَسَادُ الرَّأْيِ ، وَخَفَاءُ الْحَقِّ ، وَفَسَادُ
الْقَلْبِ ، وَغَمَى الْبَصِيرَةِ ، وَحُمُولُ الذِّكْرِ ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ ، وَنُفْرَةُ الْخَلْقِ ،
وَالْوَحْشَةُ مَعَ الرَّبِّ ، وَمَنْعُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ ، وَمَحْقُ بَرَكَةِ
الْعُمْرِ ، وَلِبَاسُ الذِّلِّ ، وَضِيقُ الصَّدْرِ .

لَا تُحَدِّثْ مَنْ تَخَافُ تَكْذِيبَهُ وَلَا تَسْأَلُ مَا تَخَافُ مَنَعَهُ وَلَا تَعُدُّ
مَا لَا تَمُكِّنُ مِنْ إِنْجَارِهِ وَلَا تَضْمَنُ مَا لَا تَثِيقُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَلَا تُقَدِّمُ عَلَى أَمْرِ
تَخَافُ الْعَجْزَ عَنْهُ .

وتوكل على الله في كل أمورك .

لَا تَشَاوِرْ مَشْعُولًا وَإِنْ كَانَ فِطْنًا حَازِمًا لَا خِتَابَ إِلَى التَّفَكِيرِ ،
وَلَا جَائِعًا وَإِنْ كَانَ فِيهِمَا لَوَذَعِيًّا ، وَلَا مُحْتَبَسَ الْبَوْلِ أَوْ الرِّيحِ أَوْ الْغَائِطِ ،
وَلَا خَائِفًا وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا ، وَلَا مَهْمُومًا وَإِنْ كَانَ فِطْنًا لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَفْكَارُهُمْ
عَلَيْهَا تَشْوِيشٌ .

لا تُجَالِسْ إِلَّا الْعُقَلَاءَ الْعُلَمَاءَ فَإِنَّ الْعُقُولَ تُلْقِحُ الْعُقُولَ وَانْظُرْ إِلَى مَنْ تَشْتَأُ
عِنْدَ النِّسَاءِ وَالسُّفَهَاءِ وَالْعَوَامِ ، وَقَارِنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ تَشْتَأُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ
الْعِلْمِ ، تَجِدُ بَيْنَهُمْ بُؤْنَ كَمَا بَيْنَ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ .

قال بعضُ العلماءِ مُجَالِسةُ الْعُقَلَاءِ لَا تَخْلُو مِنْ أَحَدٍ مَعْنِيَيْنِ إِمَّا تُذَكِّرُ
الْحَالَةَ الَّتِي يَحْتَاجُ الْعَاقِلُ إِلَى الْإِنْتِبَاهِ لَهَا ، أَوْ الْإِفَادَةَ بِالشَّيْءِ الْخَطِيرِ الَّذِي
يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ .

وسُئِلَ آخَرُ : أَيُّ الرِّجَالِ أَفْضَلُ ؟ فقال : مَنْ إِذَا حَاوَرْتَهُ وَجَدْتَهُ
حَكِيمًا ، وَإِذَا غَضِبَ كَانَ حَلِيمًا ، وَإِذَا ظَفِرَ كَانَ كَرِيمًا ، وَإِذَا اسْتُمْنِحَ مَنَحَ
جَسِيمًا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى ، وَإِنْ كَانَ الْوَعْدُ عَظِيمًا ، وَإِذَا شَكِيَ إِلَيْهِ وَجَدَ
رَحِيمًا .

مَوْعِظَةٌ

اِخْوَانِي اُنْكُمُ فِي دَارٍ هِيَ مَحَلُّ الْعِبَرِ وَالْآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَالطَّرِيقُ
كَثِيرَةُ الْمَخَافَاتِ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ الْمَمَاتِ ، وَتَذَارَكُوا هَفَوَاتِكُمْ قَبْلَ
الْفَوَاتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الْخُلُوتِ ، وَتَفَكَّرُوا فِيمَا أَرَاكُمْ مِنْ
الْآيَاتِ ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاسْتَكْثِرُوا فِي أَعْمَارِكُمُ الْقَصِيرَةِ مِنْ
الْحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِيَ بِكُمْ مُنَادِ الشَّتَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ،
قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الْأَيْنُ وَالزَّفَرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتِ ،
قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ مِنْ غَمِّ الْمَوْتِ الْعَمَرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُزَعَّجُوا مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ قَبْلَ
أَنْ تَتَمَنَّوْا رُجُوعَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ .

شعرا :

مَا دَارُ دُنْيَا لِلْمُقِيمِ بِدَارٍ وَبِهَا النُّفُوسُ فَرِيسَةُ الْأَقْدَارِ

مَا بَيْنَ لَيْلٍ عَاكِفٍ وَنَهَارِهِ نَفْسَانِ مُرْتَشِفَانِ لِلْأَعْمَارِ
 طُولُ الْحَيَاةِ إِذَا مَضَى كَقَصِيرِهَا وَالْيُسْرِ لِلْأُنْسَانِ كَالْإِعْسَارِ
 وَالْعِيشُ يَعْقِبُ بِالْمَرَارَةِ حُلُوهُ وَالصَّفْوُ فِيهِ مُخْلَفُ الْأَكْدَارِ
 وَكَأَنَّمَا تَقْضِي بُيُوتُ الرَّدَى لِفَنَائِنَا وَطَرًا مِنَ الْأَوْطَارِ
 وَالْمَرْءُ كَالطُّيْفِ الْمُطِيفِ وَعُمُرُهُ كَالنُّومِ بَيْنَ الْفَجْرِ وَالْأَسْحَارِ
 خَطْبُ تَضَاءَلَتِ الْخَطُوبُ لِهَوْلِهِ أَخْطَارُهُ تَعْلُو عَلَى الْأَخْطَارِ
 تُلْقَى الصَّوَارِمَ وَالرَّمَاخَ لِهَوْلِهِ وَتَلَوُذُ مِنْ حَرْبٍ إِلَى اسْتِشْعَارِ
 إِنَّ الَّذِينَ بَنَوْا مَشِيدًا وَانْثَنُوا يَسْعَوْنَ سَعَى الْفَاتِكِ الْجَبَّارِ
 سَلَبُوا النَّصَارَةَ وَالنَّعِيمَ فَاصْبَحُوا مُتَوَسِّدِينَ وَسَائِدَ الْأَحْجَارِ
 تَرَكُوا دِيَارَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَتَوَسَّدُوا مَدْرًا بِغَيْرِ دِثَارِ
 تَحَلَطَ الْحِمَامُ قَوِيَهُمْ بِضَعْفِهِمْ وَغَنِيَهُمْ سَاوَى بَذِي الْأَقْتَارِ
 وَالْخَوْفُ يُعْجِلُنَا عَلَى آثَارِهِمْ لَا بُدَّ مِنْ صُبْحِ الْمُجِددِ السَّارِ
 وَتَعَاقَبُ الْمَلَوَيْنِ فِينَا نَائِرٌ بِأَكْرَّ مَا نَظَمَا مِنَ الْأَعْمَارِ

ثُمَّ إَعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَذُمُّ لِذَاتِهَا وَكَيْفَ يُذَمُّ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ
 وَمَا هُوَ ضَرُورَةٌ فِي بَقَاءِ الْآدَمِيِّ وَسَبَبٌ فِي إِعَانَتِهِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ
 مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْجِدٍ يُصَلَّى فِيهِ وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ أَخْذُ الشَّيْءِ مِنْ
 غَيْرِ حِلِّهِ أَوْ تَنَاوُلُهُ عَلَى وَجْهِ السَّرَفِ لَا عَلَى مِقْدَارِ الْحَاجَةِ وَيُصَرَّفُ النَّفْسَ
 فِيهِ بِمُقْتَضَى رِعُونَاتِهَا لَا بِإِذْنِ الشَّرْعِ فَالْعَاقِلُ يَجْعَلُهَا مَطِيَّةً لِلْآخِرَةِ فَيُنْفِقُهَا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْمَشَارِيعِ الدِّينِيَّةِ مِنْ طِبَاعَةِ مَصَاحِفَ وَكُتُبِ دِينِيَّةٍ وَعِمَارَةِ مَسَاجِدَ
 وَبَذْلِ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا مَوَارِدَ لَهُمْ وَتَفَقَّاتٍ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمَعَ رَجُلًا يَسُبُّ الدُّنْيَا فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّهَا لَدَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا ، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ
 تَزَوَّدَ مِنْهَا .

مَسْجِدُ أَحْبَابِ اللَّهِ ، وَمَهَبْتُ وَحْيِهِ وَمُصَلَّى مَلَائِكَتِهِ وَمَشَجَرُ أَوْلِيَائِهِ .
اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَرَبُّحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّ الدُّنْيَا وَقَدْ آذَنْتْ
بِفِرَاقِهَا ، وَنَادَتْ بِعَيْبِهَا ، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا ، فَمَثَلْتُ بِبِلَائِهَا وَشَوْقَتْ
بِسُرُورِهَا إِلَى أَهْلِ السُّرُورِ .

فَذَمَّهَا قَوْمٌ عِنْدَ الدَّامَةِ وَمَدَحَهَا آخَرُونَ ، حَدَّثْتُهُمْ فَصَدَقُوا وَذَكَرْتُهُمْ
فَذَكَّرُوا .

فِيهَا أُيُّهَا الْمُعْتَرُّ بِالدُّنْيَا الْمُعْتَرُّ بِغُرُورِهَا ، مَتَى اسْتَلَأَمْتُ إِلَيْكَ الدُّنْيَا ، بَلِ
مَتَى غَرَّتْكَ أَيْمَضَايَجُ آبَائِكَ تَحْتَ الثَّرَى ، أَمْ بِمَصَارِعِ أُمَّهَاتِكَ مِنَ الْبَلَى .
كَمْ قَلْبٌ بِكَفَيْكَ وَمَرَضَتْ بِيدِكَ تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ وَتَسْأَلُ لَهُ الْأَطِبَاءَ فَلَمْ
تَظْفَرْ بِحَاجَتِكَ وَلَمْ تُسَعِّفْ بِطَلْبِكَ قَدْ مَثَلْتَ لَكَ الدُّنْيَا بِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ
غَدًا وَلَا يُغْنِي عَنْكَ بُكَاءُكَ وَلَا يَنْفَعُكَ أَحْبَابُكَ .

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
فَبَيَّنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الدُّنْيَا لَا تُذَمُّ مُطْلَقًا وَأَنَّهَا تُحْمَدُ بِالنِّسْبَةِ
إِلَى مَنْ تَزُودُ مِنْهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ وَأَنَّ فِيهَا مَسَاجِدُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهَبْتُ الْوَحْيَ .
وَهِيَ دَارُ التِّجَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَرَبُّحُوا بِهَا الْجَنَّةَ فَهِيَ نِعَمُ
الدَّارِ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ .

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهَا تَغُرُّ وَتُخَدِّعُ فَإِنَّهَا تُنَادِي بِمَوَاعِظِهَا وَتَنْصَحُ بِعِبَرِهَا
وَتُبْدِي عُيُوبَهَا بِمَا تُرَى مِنْ أَهْلِهَا مِنْ مَصَارِعِ الْهَلَكَةِ .

وَتَقْلِبُ الْأَحْوَالَ مِنَ الصُّحَّةِ إِلَى السُّقْمِ وَمِنَ الشَّيْبَةِ إِلَى الْهَرَمِ وَمِنَ الْغِنَى
إِلَى الْفَقْرِ وَمِنَ الْعِزِّ إِلَى الذُّلِّ وَلَكِنْ مُجِيبُهَا قَدْ أَعْمَاهُ وَأَصَمَّهُ حُبُّهَا . انتهى اهـ .

وقال بعض العلماء :

إِعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَا يَشْغُلُ عَنِ اللَّهِ قَبْلَ الْمَوْتِ ، فَكُلَّمَا لَكَ فِيهِ حَظٌّ وَغَرَضٌ وَنَصِيبٌ وَشَهْوَةٌ وَلَذَّةٌ فِي عَاجِلِ الْحَالِ قَبْلَ الْوَفَاةِ فَهِيَ الدُّنْيَا .
وَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ بَلِ الْمَذْمُومُ الْمَنْهِيُّ عَنْ مَحَبَّتِهِ هُوَ كُلُّ مَا فِيهِ حَظٌّ عَاجِلٌ وَلَا ثَمَرَةٌ لَهُ فِي الْآخِرَةِ .

وَإِذَا سَمِعْتَ بِذَمِّ الدُّنْيَا فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ رَاجِعاً إِلَى زَمَانِهَا الَّذِي هُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ الْمُتَعاقِبَانِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَهُمَا خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا .
وَلَيْسَ الذَّمُّ رَاجِعاً إِلَى مَكَانِ الدُّنْيَا وَهُوَ الْأَرْضُ وَلَا إِلَى مَا أُثْبِتَهُ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ وَالزَّرْعِ .

فَإِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ لِمَا لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ وَالْإِعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِذَلِكَ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ .

قَالَ جَلُّ وَعَلَا : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ .

وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ أَفْعَالُ بَنِي آدَمَ مِنَ الْمَعَاصِي الْكُبَرِ وَالصَّغَائِرِ كَالشِّرْكِ وَتَرْكِ الصَّلَاةِ وَتَرْكِ الزَّكَاةِ أَوْ الصَّوْمِ أَوْ الْحَجِّ وَكَالْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ أَوْ عَلَى رَسُولِهِ أَوْ كِرَاهَةِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ بَغِيرِ حَقٍّ أَوْ ظَلَمٍ أَوْ شَهَادَةِ زُورٍ وَكَذَا الْكِبَرِ وَالْحَسَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

شِعْرًا :

مَنْ يَذُمُّ الدُّنْيَا فَإِنِّي
وَعَظَمْتُهَا بِكُلِّ شَيْءٍ لَوَانًا
تَصَحَّحْتُهَا فَلَمْ تَرَ النُّصْحَ نُصْحًا
أَعْلَمْتُهَا أَنَّ الْمَالَ يَقِينًا
كَمْ رَأَيْنَا مَصْرَعَ الْأَهْلِ وَالْ
وَلَكَمْ مُهْجَةً بِزَهْرَتِهَا اغْ
أَتَرَاهَا أَبْقَتْ عَلَى سَبِيلٍ مِنْ
يَوْمٍ بُوسَ لَهَا وَيَوْمٍ رَحَاءٍ
وَيَقِينُ زَوَالِ ذَاكَ وَهَذَا
دَارُ زَادٍ لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا
مَهْبُطُ الْوَحْيِ وَالْمُصَلَّى الَّتِي كَمْ
مَتَجَرُّ الْأَوْلِيَاءِ قَدْ رَبَحُوا أَلْ
رَغَبْتُ ثُمَّ رَهَبْتُ لِيَرَى كُ
فَإِذَا أَنْصِفْتُ تَعَيَّنَ أَنْ يُثْ

بِطَرِيقِ الْإِنْصَافِ أَثْنِي عَلَيْهَا
حِينَ جَادَتْ بِالْوَعْظِ مِنْ مُصْطَفَيْهَا
حِينَ أَبَدَتْ لِأَهْلِهَا مَا لَدَيْهَا
لِلْبَلَى حِينَ جَدَّدَتْ عَصْرِيهَا
أَحْبَابٍ لَوْ نَسْتَفِيقُ بَيْنَ يَدَيْهَا
سَرَّتْ فَأَدَمْتُ نَدَامَةً كَفَّيْهَا
قَبْلَنَا حِينَ بَدَّلَتْ جَنَّتِيهَا
فَتَزَوَّدَ مَا شِئْتَ مِنْ يَوْمِيهَا
تَسْأَلُ عَنْ مَا تَرَاهُ مِنْ حَادِثِيهَا
وَعُرُورٍ لِمَنْ يَمِيلُ إِلَيْهَا
عَفَرْتُ صُورَةَ بِهَا خَدَّيْهَا
سَجَنَةً فِيهَا وَأُورِدُوا عَيْنِيهَا
لَلْ لَيْبِ عُقْبَاهُ مِنْ حَالَتِيهَا
سِنِي عَلَيْهَا الْبَارُّ مِنْ وَلَدِيهَا

اللهم يا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنُبِّهْنَا
لَا غَتْنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا
انْطَلَوْتُ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَّهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا
مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ قِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَكْثَرُ آيَةٍ فِي الْمَوَآخِذَةِ .

وَلَمَّا نَزَلَتْ بِكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ﴾ .

قال بعضُ الزهاد لا يكون العبد من المتقين حتى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِّيكِ لِشَرِّيكِهِ وَالشَّرِّيكَانِ يَتَحَاسَبَانِ بَعْدَ الْعَمَلِ .

وقال الحسنُ المؤمنُ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ يُحَاسِبُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِنَّمَا خَفَّ الْحِسَابُ عَلَى قَوْمٍ حَاسِبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا شَقَّ الْحِسَابُ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ . وَفِي حَدِيثٍ طَلَحَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا شَغَلَهُ الطَّيْنُ فِي صَلَاتِهِ فَتَدَبَّرَ شُغْلُهُ .

فَجَعَلَ حَائِطَهُ صَدَقَةً لِلَّهِ تَعَالَى نَدْمًا وَرَجَاءً لِلْعِوَضِ مِمَّا فَاتَهُ وَتَأْدِيبًا لِنَفْسِهِ .

المهم أن يعلم العبد أن أعدى عدو له نفسه التي بَيْنَ جَنَبَيْهِ وَقَدْ خُلِقَتْ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ أَمَارَةٌ بِالشَّرِّ قَرَارَةٌ مِنَ الْخَيْرِ .

وَالْإِنْسَانُ مَأْمُورٌ بِتَرْكِهَا وَتَقْوِيمِهَا وَقَوْدِهَا بِسَلْسِلِ الْعِبَرِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهَا وَخَالِقِهَا وَمَنْعِهَا عَنْ لَذَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا الْمُهْلِكَةِ .

فَإِنْ أَهْمَلَهَا شَرَّدَتْ وَجَمَحَتْ وَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَإِنْ لَازَمَهَا بِالتَّوْبِخِ وَالتَّقْرِيعِ وَالْمُعَاتَبَةِ وَالْعَذْلِ وَالْمَلَامَةِ وَلَمْ يَغْفُلْ عَنْ تَذْكِيرِهَا وَعِتَابِهَا اعْتَدَلَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَالنَّفْسُ كَالْطِفْلِ إِنْ تُمِهِّلُهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تُفْطِمُهُ يَنْفَطِمِ .

ثم يقول لنفسه فمالك تفرحين وتضحكين وتستغلين باللهو وأنت مطلوبة
لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم ، وبين يديك إحدى منزلتين الجنة أو النار
فكيف يهنؤك نوم أو يلد لك مأكول أو مشروب وأنت لا تدرين في أي الفريقين
تكونين ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ .

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدري في أي المكائين تنزل
وقل لها أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ما ليس آت .
أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة
وأنه لا يأتي في شتاء دؤن صيف ولا في صيف دؤن شتاء ولا في نهار دؤن ليل
ولا في ليل دؤن نهار ولا يأتي في الصبا دؤن الكبر ولا في الكبر دؤن الصبا .
بل كل نفس يمكن أن يأتيها الموت بغتة فإن لم يأت الموت بغتة
جاء المرض لا محالة ثم المرض يفضي إلى الموت فمالك يا نفس لا تستعدين
والموت أقرب إليك من حبل الوريد .

فهكذا معاملة الزهاد والعباد في توييح أنفسهم وعتايها فإن مطلبهم من
المناجاة الاسترضاء ومقصودهم من المعتابة التنبه والاستراعاء .
فمن أهمل معاتبة نفسه وتوييحها وأهمل مناجاتها لم يكن لنفسه مراعيًا
فَسأَل الله العظيم الحي القيوم معرفة حقيقة بأحوال أنفسنا وغرورها .

شِعْرًا تَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ جَل جلاله :

أَتَيْتُكَ رَاجِيًا يَا ذَا الْجَلَالِ	فَفَرَّجْ مَا تَرَى مِنْ سُوءِ حَالِي
عَصِيَّتُكَ سَيِّدِي وَيْلِي بِجَهْلِي	وَعَيْبُ الذَّنْبِ لَمْ يَخْطُرْ بِنَالِي
إِلَى مَنْ يَشْتَكِي الْمَمْلُوكُ إِلَّا	إِلَى مَوْلَاهُ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي
لَعَمْرِي لَيْتَ أُمِّي لَمْ تُلْذِنِي	وَلَمْ أَغْضِبْكَ فِي ظُلْمِ اللَّيَالِي
فَهَا أَنَا عَبْدُكَ الْعَاصِي فَقِيرٌ	إِلَى رَحْمَاكَ فَاقْبَلْ لِي سُؤَالِي

فَإِنْ عَاقَبْتَ يَا رَبِّي تُعَاقِبْ مُحِقّاً بِالْعَذَابِ وَبِالنَّكَالِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ كَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ لَهُ زَوْجَةٌ لَا تَرْحَمُهُ ، وَوَلَدٌ يَعُقُّهُ وَلَا يَعْذُرُهُ ،
 وَجَارٌ سُوءٌ لَا يَأْمَنُهُ ، وَصَاحِبٌ مُتَمَلِّقٌ لَا يَنْصَحُهُ ، وَشَرِيكَ لَا يَنْصِفُهُ ،
 وَعَدُوٌّ حَسُودٌ لَا يَهْدُو عَنْ عَدَاوَتِهِ وَأَذِيَّتِهِ .

وَنَفْسٌ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ وَتَنْهَى عَنِ الْخَيْرِ ، وَدُنْيَا مُتَزَيِّنَةٌ ، وَهَوًى مُهْلِكٌ ،
 وَشَهْوَةٌ غَالِبَةٌ لَهُ ، وَغَضَبٌ قَاهِرٌ ، وَشَيْطَانٌ مُغْوِيٌّ مُزَيِّنٌ لَهُ الْمَعَاصِي وَضَعْفٌ
 مُسْتَوِلٌ عَلَيْهِ .

فَإِنْ تَوَلَّاهُ اللَّهُ وَلَطَفَ بِهِ وَانْقَذَهُ انْقَهَرَتْ لَهُ هَذِهِ كُلُّهَا وَإِنْ تَحَلَّى عَنْهُ
 وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ وَأَهْلَكَتُهُ .

يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ وَيَنْظُرَ مَا
 كَسَبَ فِي يَوْمِهِ مِنْ حَسَنَةٍ فَيَحْمَدُ اللَّهَ وَيَشْكُرُهُ عَلَيْهَا .

وَمَا اكْتَسَبَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَيَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهَا وَيُهَيِّئُ نَفْسَهُ وَيُرْتَّبُ
 أَعْمَالَهُ الْمُسْتَقْبَلَةَ وَيَجْتَهِدُ فِي أَنْ تَكُونَ أَوْقَاتُهُ كُلُّهَا مُسْتَعْرِقَةً فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ وَيُكْثِرُ سُؤَالَ اللَّهِ الْإِعَانَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَالتَّسْدِيدَ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

شِعْرًا :

لَيْبِكَ عَلَى الشَّيْبَةِ مَنْ بَكَاهَا	كَمَا أَبْكِي عَلَيْهَا مِلءَ جَفْنِي
وَمَنْ يَكُ بَاتَ ذَا حُزْنٍ عَلَيْهَا	فَمِثْلِي فَلَيْبَتْ فِي فَرْطِ حُزْنٍ
وَمَنْ يَكُ سَالِيًا يَوْمًا فَإِنِّي	قَطَعْتُ عَلَاقَ السُّلُوفِ عَنِّي
عَجِبْتُ لِبَاكِ رَسْمًا لِذَا	عَفْتُ آثَارَهَا أَوْ سِيرَ ظَعْنٍ
وَيَتْرُكُ نَفْسَهُ يَبْكِي عَلَيْهَا	وَقَدْ جُبِلْتُ عَلَى ضَعْفٍ وَوَهْنٍ

وَقَدْ صَاخَ الْحِمَامُ بِهَا أَجِيبِي إِلَامَ وَفِيمَ وَيْلَكَ ذَا التَّائِي
وَمِنْ بَعْدِ الْحِمَامِ لَهُ حَدِيثٌ يَرِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ كُلِّ فَنِّ
حَدِيثٌ مَا حَدِيثٌ مَا حَدِيثٌ يُبَيِّنُ لَهُ الْيَقِينَ مِنَ التَّظَنِّي
وَعُمَرُ يَنْقُضِي فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَلَكِنْ فِي الْمُحَالِ مِنَ التَّمَنِّي
وَيَعْذُلْنِي إِذَا أُرْسَلْتُ دَمْعًا عَلَى وَجَنَاتِ ذِي حُسْرِ وَغَبْنِ
أَيَا صَاخَ وَالْبَلَوَى ضُرُوبٌ وَدَعْتُكَ لِلَّذِي تَهْوَى فَدَعْنِي
إِذَا أَنَا لَمْ أَبْكِ ذَهَابَ عُمْرِي فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَبْكِيهِ عَنِّي

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَتَجَنَّبْنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ الْفَزَعِ
الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَلَدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ جِرْصُهَا عَلَى عِمَارَةِ الدُّنْيَا وَالتَّكْثُرُ مِنْهَا .
وَمُدَاوَاتُهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ
وَالْعَاقِلُ مَنْ يَعْمَلُ لِدَارِ قَرَارِهِ لَا لِمَرَاجِلِ سَفَرِهِ إِلَّا بِقَدَرِ مَا يَتَزَوَّدُ بِهِ لِلدَّارِ
الْآخِرَةِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ وَلَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَالْآخِرَةُ
خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَإِنَّ
الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ كَثْرَةُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي إِلَى أَنْ يَقْسَى الْقَلْبُ ،
وَعِلَاجُهَا كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَالتَّوْبَةُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَمُداوِمَةُ
التَّهَجُّدِ ، وَالصِّيَامِ وَمُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ ، وَحُضُورُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ .

وَمِنْ عُيُوبِهَا سُرُورُهَا بِمَذْحِهَا وَطَلْبُهَا الرَّاحَةَ ، وَهِيَ مِنْ نَتَائِجِ الْعَفْلَةِ .
وَعِلَاجُهَا التِّيَقُّظُ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَعِلْمُهَا بِتَقْصِيرِهَا فِيمَا أَمَرَتْ بِهِ وَارْتِكَابِهَا
مَا نُهِى عَنْهُ وَتَوَطُّيْنُهَا بِأَنَّ الدُّنْيَا لَا سُرُورَ فِيهَا وَلَا رَاحَةَ .

وَأَنَّهَا سَجَنٌ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ
الْكَافِرِ » فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَيْشُهُ فِيهَا عَيْشَ الْمَسْجُونِينَ .

وَمِنْ عُيُوبِهَا الْإِعْجَابُ بِطَاعَاتِهَا وَالْمُنَّةُ بِهَا وَنِسْيَانُ الْمُنْقِصَاتِ لِلْأَعْمَالِ
وَمُداوَأَتِهَا أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَفْعَالَهَا وَإِنْ أَخْلَصَتْهَا فِيهِ مَعْلُومَةٌ بِأَنَّ أَفْعَالَهَا لَا تَخْلُو مِنْ
الْعِلَلِ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ فِي إِسْقَاطِ رُؤْيَا اسْتِحْسَانِهِ مِنْ أَفْعَالِهَا .

وَمِنْ عُيُوبِهَا قِلَّةُ الْإِعْتِبَارِ بِمَا يَرَاهُ مِنْ أَمْهَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ فِي ذُنُوبِهِ ، وَمُداوَأَتِهَا
دَوَامُ الْخَشْيَةِ وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْإِمْهَالِ لَيْسَ بِإِمْهَالٍ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسَائِلُهُ .

شعرا :

فِيَا رَبِّ إِنَّ الْعَبْدَ يُخْفِي عُيُوبَهُ فَاسْتُرْ بِحِلْمِكَ مَا بَدَأَ مِنْ عَيْبِهِ
وَلَقَدْ أَتَاكَ وَمَالَهُ مِنْ شَافِعٍ لِدُذُوبِهِ فَاقْبَلْ شَفَاعَةَ شَيْبِهِ

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ الْعَفْلَةُ وَالتَّسْوِيفُ وَالتَّوَانِي وَالِإِصْرَارُ ، وَتَقَرُّبُ
الْأَمَلِ ، وَتَبْعِيدُ الْأَجَلِ ، وَمُداوَأَتِهَا بِتَوِيَّةٍ تَحِلُّ الْإِصْرَارَ وَخَوْفٍ يُزِيلُ
التَّسْوِيفَ وَرَجَاءٍ يَبْعَثُ عَلَى قَصْدِ مَسَالِكِ الْعَمَلِ وَذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى
اِخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ وَإِهَانَةِ النَّفْسِ بِتَقَرُّبِهَا مِنَ الْأَجَلِ وَبُعْدِهَا عَنِ الْأَمَلِ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ رُؤْيُهَا الشَّفَقَةَ عَلَيْهَا وَمُدَاوَاتُهَا رُؤْيَهُ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي
جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ تَأْلُفُ الْخَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ فَتَسْتَحْكِمُ عَلَيْهَا الْمَخَالَفَاتِ .
وَمُدَاوَاتُهَا رَدُّ تِلْكَ الْخَوَاطِرِ فِي الْإِبْتِدَاءِ لِئَلَّا تَسْتَحْكِمَ وَذَلِكَ بِالذِّكْرِ
الدَّائِمِ وَمُلَازِمَةِ الْخَوْفِ بِالْعِلْمِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَعْلَمُ مَا فِي سِرِّكَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ وقال تبارك وتعالى :
﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ .

وقال عز من قائل : ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ اشْتِغَالُهَا بِإِصْلَاحِ الظَّاهِرِ لِزِينَةٍ وَغَفْلَةُ عَنْ إِصْلَاحِ
الْبَاطِنِ مَوْضِعُ نَظَرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
وَعَلَّاجُهَا أَنْ يَتَيَقَّنَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا يُكْرِمُونَهُ إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ فِي
قُلُوبِهِمْ .

وَيَعْلَمُ أَنَّ بَاطِنَهُ مَوْضِعُ نَظَرِ اللَّهِ فَهُوَ أَوْلَى بِالْإِصْلَاحِ مِنَ الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ
مَوْضِعُ نَظَرِ الْخَلْقِ .

قال الله جل وعلا : ﴿ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وقال صلى الله عليه
وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى
قُلُوبِكُمْ » أخرجه مُسْلِمٌ .

ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ وَتَضَرُّعٌ إِلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعِلَا تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتُمْنَعُ

إِلَهِي وَخَلَّاقِي وَحِرْزِي وَمَوْلِي
إِلَهِي لَيْنُ أَبْعَدْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي
إِلَهِي لَيْنُ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتِي
إِلَهِي لَيْنُ أَعْطَيْتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا
إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُرِغْ
إِلَهِي فَأَنْسِنِي بِتَلْقَيْنِ حُجَّتِي
إِلَهِي أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا
وَلَا تَحْرِمْنِي مِنْ شَفَاعَةِ أَحْمَدٍ
وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا دَعَاكَ مُوَحِّدٌ
إِلَيْكَ لَدَى الْإِغْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو وَمَنْ أَتَشْفَعُ
فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ
فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
فَوَادِي فَإِنِّي خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ
إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوًى وَمَضْجَعُ
بُنُونٌ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَشْفَعُ
وَصُحْبَةٌ أَخْيَارٌ هُنَالِكَ تُضْضَعُ
وَنَاجَاكَ أَقْوَامٌ بِبَاكَ تُحْشَعُ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حَزَبَكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ ،
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

فصل

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ مَحَبَّتُهَا الْخَوْضِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَحَدِيثُهَا ، وَمُدَاوَاتُهَا
الِاشْتِغَالُ بِالْفِكْرِ الدَّائِمِ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهِ فِيمَا أَمَامَهُ مِنَ الْأُمُورِ الشَّدَائِدِ ،
وَالْكُرُوبِ ، وَالْأَهْوَالِ ، وَالْبَغْثِ ، وَالنُّشُورِ ، وَالْحِسَابِ ، وَالْمِيزَانِ ،
وَالصِّرَاطِ ، وَالْجَنَّةِ ، وَالنَّارِ ، وَالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

فَفِي التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا يُشْغِلُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، وَالْخَوْضِ فِيمَا
هُمْ ضَائِعُونَ فِيهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَغْنِيهِ فَيَتْرُكُهُ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَمِنْ عُيُوبِهَا إِظْهَارُ الطَّاعَاتِ وَمَحَبَّةُ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ مِنْهُ ذَلِكَ أَوْ يَرَوْهُ .
وَعِلَاجُهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَى الْخَلْقِ نَفْعُهُ وَلَا ضَرَرُهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا :
﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ
يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ
يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وَيَجْتَهِدُ فِي مُطَالَبَةِ نَفْسِهِ بِالْإِخْلَاصِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ لِيُزِيلَ عَنْهُ هَذَا الْعَيْبَ
فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا ليعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى :
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾
الآية .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ
عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
يَقُولُ أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ شَرِيكًا فَهُوَ لِشَرِيكِي » .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ
إِلَّا مَا تَخَلَّصَ لَهُ » أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ لَا بِأَسَ بِهِ .

وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ
الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتِغَايَ بِهِ وَجْهَهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« الدنيا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا ابْتَغَيْ بِه وَجْهَهُ » أخرجه الطبراني بإسناد لا
بأس به .

سُئِلَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ مَا أَخْلَصَ الْعَمَلِ وَمَا أَصَوَّبُهُ قَالَ إِنْ الْعَمَلُ إِذَا كَانَ
خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى
يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ .

وَتَنْجُو مِنْ يَوْمٍ مَهُولٍ عَصَبَصِبِ	إِذَا رُمْتَ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمًا
وَتَرْفُلَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْمَجْدِ مُعْجِبِ	وَتُحْظَى بِجَنَاتٍ وَحُورٍ خَرَائِدِ
عَزِيزًا حَمِيدًا نَائِلًا كُلَّ مَطْلَبِ	وَفِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَعِيشُ مُنْعَمًا
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِأَهْلِ التَّقَرُّبِ	فَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ فَاسْتَلِكْ سَبِيلَهَا
يُؤَالِي وَأَبْغِضُ فِي الْإِلَهِ وَأُحِبِّ	فَعَادِ الَّذِي عَادَى وَوَالَ الَّذِي لَهُ
يُؤَالِي وَلَمْ يُبْغِضْ وَلَمْ يَتَجَنَّبِ	فَمَنْ لَمْ يُعَادِ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ لَهُمْ
وَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ قَوْمٍ مُقَرَّبِ	فَلَيْسَ عَلَى مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدِ
إِلَيْهِ مُنِيبًا فِي الْعِبَادَةِ مُدْبِ	وَأَخْلَصَ لِمَوْلَاكَ الْعِبَادَةَ رَاغِبًا
وَلَا مُبْغِضًا أَوْ سَالِكًا مِنْهَجًا وَبِ	مُحِبًّا لِأَهْلِ الْخَيْرِ لَا مُتَكَرِّهًا
كَرِيمًا طَلِيقَ الْوَجْهِ سَامِي التَّطَلُّبِ	وَكُنْ سَلِسًا سَهْلًا لَيْبًا مُهَذَّبًا
فَخَيْرُ الْوَرَى أَهْلُ التَّقَى وَالتَّقَرُّبِ	إِلَى كُلِّ مَنْ يَدُوتُو إِلَى مِنْهَجِ التَّقَى
وَمَوْكِبُهُمْ يَوْمَ اللَّقَا خَيْرُ مَوْكِبِ	وَمِنْهُمْ خَيْرُ الْمَنَاهِجِ كُلُّهَا
وَهَذَا الَّذِي يُنْجِي يَوْمَ عَصَبَصِبِ	فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى لِكُلِّ مُوَحِّدِ
لَيْتَ لَعَمْرِي سَاهِدًا ثَقَلْبِ	وَذَلِكَ يَوْمٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلِهِ
وَأَصْبَحْتَ فِيهَا خَائِفًا ذَا تَرْقُبِ	وَلَمْ تَتَلَذَّذْ بِالْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حَزْبَكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ

وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

وقال رحمه الله :

فَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ فَقْدَانُ لَذَّةِ الطَّاعَةِ ، وَذَلِكَ مِنْ سُقْمِ الْقَلْبِ ،
وَمُتَدَاوَاتِهَا أَكْلُ الْحَلَالِ وَمُتَدَاوَمَةُ ذِكْرِ اللَّهِ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ طَلَبُ الرِّئَاسَةِ بِالْعِلْمِ وَالتَّكَبُّرِ وَالْإِفْتِخَارِ بِهِ وَالْمُبَاهَاتِ
بِهِ ، وَمُتَدَاوَاتِهَا رُؤْيَةُ مِنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي أَنْ جَعَلَهُ وَعَاءً لِأَحْكَامِهِ .

وَرُؤْيَةُ تَقْصِيرِ شُكْرِهِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، وَالتَّزَامِ
التَّوَاضِعِ وَالْإِنْكَسَارِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّصِيْحَةِ لِعِبَادِ اللَّهِ .

فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ
بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَّاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَلْتَبَرَّأَ مَقْعَدُهُ مِنَ
النَّارِ .

وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَنْ إِرْدَادَ عِلْمًا فَلْيَزِدْ خَشْيَةً فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وقال رجلٌ لِلشَّعْبِيِّ أَيُّهَا الْعَالِمُ فَقَالَ إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ .

شعرا :

يَا رَبِّ حَقَّقْ تَوْبَتِي بِقَبُولِهَا وَاشْفِ الْقُلُوبَ بِأَمْرِكَ الْفَعَالِ

وَأَمَحُ الشَّقَاوَةَ بِالسَّعَادَةِ وَاكْفَنِي
 أَرْجُوكَ فِي الدَّارَيْنِ قَطَعَ عَلَائِقِي
 بِكَفَايَةِ يَرْتَسَاخُ مِنْهَا بَالِي
 عَمَّنْ سِوَاكَ فَأَنْتَ أَوْلَى وَآلِي
 عَوَّدْتَنِي اللَّطْفَ الْجَمِيلَ تَكْرُمًا
 ثُمَّ اكْسِنِي سِتْرَ الْحَيَاةِ فِي الْمَمَا
 وَبِكَلِمَةٍ التَّوْحِيدِ يَا مَوْلَى الْوَرَى
 فَاجْعَلْهُ دَوْمًا يَا عَظِيمُ نَوَالِي
 بَ وَبَعْدَهُ وَاشْمِلْ بِذَلِكَ عِيَالِي
 اجْعَلْ خِتَامَ الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ
 أَهْلَ الْوَفَا وَالصِّدْقِ فِي الْأَقْوَالِ

ومما يعالج به العُجب والكبر والافتخار ما يلي :

أولاً : أَنْ يَعْتَقِدَ وَيَجْزِمَ بِأَنَّ التَّوْفِيقَ الَّذِي حَصَلَ لَهُ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّهُ إِذَا رَأَى
 التَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا اشْتَغَلَ بِشُكْرِ اللَّهِ .

الثاني : أَنْ يَنْظُرَ إِلَى النِّعَمَاءِ الَّتِي تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ إِذَا نَظَرَ فِيهَا اشْتَغَلَ
 بِشُكْرِ الْمَنَعِمْ وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ .

الثالث : أَنْ يَخَافَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ ، فَإِذَا اشْتَغَلَ بِخَوْفِ عَدَمِ الْقَبُولِ
 ذَهَبَ عَنْهُ الْعُجْبُ بِنَفْسِهِ .

الرابع : أَنْ يَنْظُرَ فِي ذُنُوبِهِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ وَرَبَّمَا أَنْ
 يَكُونَ صَدَرَ مِنْهُ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يُحْبِطُ الْعَمَلَ ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ هَذَا خَافَ وَذَهَبَ
 عَنْهُ عُجْبُهُ .

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ اسْتِكْشَافُ الضَّرِّ مِمَّنْ لَا يَمْلِكُهُ ، وَرَجَاؤُهُ النَّفْعِ مِمَّنْ
 لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَاهْتِمَامُهُ بِالرِّزْقِ وَقَدْ تَكَفَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ .

وَمُدَاوَنَةُ الرُّجُوعِ إِلَى صَحَةِ الْإِيمَانِ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ
 وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا
 رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ الآية وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَمَا مِنْ
 دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ .

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ كَثْرَةُ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَالَاه .

وَمُدَاوَاتُهَا تَحْقِيقُهُ بِأَنَّهُ مَأْخُودٌ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ وَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُ
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا
تَفْعَلُونَ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ الْآيَةُ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ
فِي النَّارِ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » .

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ كَثْرَةُ التَّمَنِّي ، وَمُدَاوَاتُهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَذِرِي مَا
يَعْقِبُ التَّمَنِّي أَيْجُرُّهُ إِلَى خَيْرٍ وَهُوَ مَا يُرْضِيهِ أَوْ يَجُرُّهُ إِلَى مَا يُسْخِطُهُ .

فَإِذَا أُتِّقِنَ إِتْهَامَ عَاقِبَةِ تَمَنِّيهِ اسْقَطَ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ وَرَجَعَ إِلَى الرِّضَا
والتَّسْلِيمِ .

فَيُسْتَرِيحُ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ
لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

فَائِدَةٌ نَفِيسَةٌ : يَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَأَمَّلَهَا وَيَأْخُذَ لِمُسْتَقْبَلِهِ فِكْرَةً
قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَمْ أَزَلْ بُرْهَةً مِنْ عُمْرِي أَنْظُرُ اخْتِلَافَ الْأُمَّةِ وَالتَّمَسُّسُ الْمُنْهَاجَ
الْوَاضِحَ وَالسَّبِيلَ الْقَاصِدَ وَأَطْلُبُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَاسْتَدِلُّ عَلَى طَرِيقِ
الْآخِرَةِ بِإِرْشَادِ الْعُلَمَاءِ .

وَعَقَلْتُ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِتَأْوِيلِ الْفُقَهَاءِ وَتَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ
الْأُمَّةِ وَنَظَرْتُ فِي مَذَاهِبِهَا وَأَقَاوِيلِهَا فَعَقَلْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا قُدِّرَ لِي .

ورأيت إختلافهم بحرًا عميقًا غرق فيه ناسٌ كثيرٌ وسَلِمَ مِنْهُ عِصَابَةٌ
قليلة .

ورأيتُ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ النِّجَاةَ لِمَنْ تَبِعَهُمْ وَأَنَّ الْمَهَالِكَ لِمَنْ
خَالَفَهُمْ .

ثُمَّ رَأَيْتُ النَّاسَ أَصْنَافًا فَمِنْهُمْ الْعَالِمُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ لِقَاؤُهُ عَسِيرٌ وَوُجُودُهُ
عَزِيزٌ .

وَهُوَ مَنْ يُعِدُّ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ .

وَمِنْهُمْ الْجَاهِلُ فَالْبُعْدُ مِنْهُ غَنِيمَةٌ .

وَمِنْهُمْ الْمُتَشَبِّهُ بِالْعُلَمَاءِ مَشْغُوفٌ بِدُنْيَاهُ مُؤَثِّرٌ لَهَا .

وَمِنْهُمْ حَامِلٌ عِلْمٍ مَنسُوبٌ إِلَى الدِّينِ مُلْتَمِسٌ بِعِلْمِهِ التَّعْظِيمَ وَالْعُلُوَّ .

يَنَالُ بِالدِّينِ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا .

وَمِنْهُمْ حَامِلٌ عِلْمٍ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا حَمَلَ .

وَمِنْهُمْ الْمُتَشَبِّهُ بِالنِّسَاكِ مُتَحَرِّ لِلْخَيْرِ لَا غِنَاءَ عِنْدَهُ وَلَا نَفَاذَ لِعِلْمِهِ وَلَا

مُعْتَمَدَ عَلَى رَأْيِهِ .

وَمِنْهُمْ الْمَنسُوبُ إِلَى الْعَقْلِ وَالذِّهَانِ مَفْقُودُ الْوَرَعِ وَالتَّقَى .

وَمِنْهُمْ مُتَوَادُونَ عَلَى الْهَوَىٰ وَاقِفُونَ وَلِلدُّنْيَا يَذَلُّونَ وَرِيَّاسَتِهَا يَطْلُبُونَ .

وَمِنْهُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ عَنِ الْآخِرَةِ يَصُدُّونَ وَعَلَى الدُّنْيَا يَتَكَالَبُونَ وَإِلَى

جَمْعِهَا يُهْرَعُونَ وَفِي الْأَسْتِكَثَارِ مِنْهَا يَرْغَبُونَ .

فَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَحْيَاءُ وَفِي الْعُرْفِ مَوْتَى .

فَتَفَقَّدْتُ فِي الْأَصْنَافِ نَفْسِي وَضِيقْتُ بِذَلِكَ ذَرْعًا فَقَصَدْتُ إِلَى هُدَى

الْمُهْتَدِينَ بِطَلَبِ السَّدَادِ وَالْهُدَى وَاشْتَرَشَدْتُ الْعِلْمَ وَأَعْمَلْتُ الْفِكْرَ وَأُطْلْتُ

النَّظَرَ .

فَتَبَيَّنَ لِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ أَنَّ
اتِّبَاعَ الْهَوَى يُعَمِّي عَنِ الرُّشْدِ وَيُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ وَيُطِيلُ الْمَكْثَ فِي الْعَمَى .
فَبَدَأْتُ أَوَّلًا بِإِسْقَاطِ الْهَوَى عَنْ قَلْبِي وَوَقَفْتُ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأُمَّةِ مُرْتَادًا
لِطَلَبِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ .

حَذَرًا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ وَالْفِرْقَةِ الْهَالِكَةِ مُتَحَرِّزًا مِنَ الْاِقْتِحَامِ قَبْلَ
الْبَيَانِ وَالتَّمَسُّسِ سَبِيلَ النِّجَاةِ لِنَفْسِي .

ثُمَّ وَجَدْتُ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُتَزَّلِ أَنَّ سَبِيلَ النِّجَاةِ فِي
التَّمَسُّكِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ .
وَالْوَرَعِ فِي حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَجَمِيعِ حُدُودِهِ .
وَالِإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ .

وَالْتَّأْسِي بِرَسُولِهِ ﷺ فَطَلَبْتُ مَعْرِفَةَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي
الْأَثَارِ فَرَأَيْتُ إِجْتِمَاعًا وَاخْتِلَافًا وَوَجَدْتُ جَمِيعَهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَنَّ عِلْمَ
الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَأَمْرَهُ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ اللَّهِ الْعَامِلِينَ
بِرِضْوَانِهِ .

الْوَرَعِينَ عَنْ مَحَارِمِ الْمُتَأْسِينَ بِرَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤَثِّرِينَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا
أُولَئِكَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَسُنَنِ الْمُرْسَلِينَ .
فَالْتَمَسْتُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَّةِ هَذَا الصَّنْفَ الْمُجْتَمِعَ عَلَيْهِمُ وَالْمُوصُوفِينَ
بِأَثَارِهِمْ وَاقْتَبَسْتُ مِنْ عِلْمِهِمْ فَرَأَيْتُهُمْ أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلِ .
وَرَأَيْتُ عِلْمَهُمْ مُنْدَرِسًا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا
وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطَوَّبَى لِلْغُرَبَاءِ وَهُمْ الْمُتَفَرِّدُونَ بِدِينِهِمْ .
فَعَظُمَتْ مُصِيبَتِي لِفَقْدِ الْأَوْلِيَاءِ الْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرَارِ وَخَشِيتُ بَغْتَةَ الْمَوْتِ أَنَّ
يَفْجَأَنِي عَلَى اضْطِرَابٍ مِنْ عُمْرِي لِاخْتِلَافِ الْأُمَّةِ .

فَانْكَمَشْتُ فِي طَالِبِ عِلْمٍ لَمْ أَجِدْ لِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ بُدًّا وَلَمْ أَقْصُرْ فِي
الْإِحْتِيَاظِ .

فَقَيَّضَ لِي الرُّءُوفُ بِعِبَادِهِ قَوْمًا وَجَدْتُ فِيهِمْ دَلَائِلَ التَّقْوَى وَأَعْلَامَ
الْوَرَعِ وَإِثَارَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا .

وَوَجَدْتُ إِرْشَادَهُمْ وَوَصَايَاهُمْ مُوَافِقَةً لِأَفَاعِيلِ أَيْمَةِ الْهُدَى .

وَوَجَدْتُهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى نُصْحِ الْأُمَّةِ لَا يُرْجُونَ أَبَدًا فِي مَعْصِيَتِهِ وَلَا
يُقْنَطُونَ أَبَدًا مِنْ رَحْمَتِهِ .

يَرْضَوْنَ أَبَدًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالشُّكْرَ عَلَى
النِّعْمَاءِ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى الْعَبْدِ بِذِكْرِهِمْ أَيْادِيهِ وَإِحْسَانِهِ وَيَحْتُونُ الْعِبَادَةَ عَلَى الْإِنَابَةِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عُلَمَاءُ بِعَظَمَتِهِ تَعَالَى عُلَمَاءُ بِعَظِيمِ قَدَرَتِهِ وَعُلَمَاءُ بِكِتَابِهِ وَسُتَّةِ
فُقَهَاءُ فِي دِينِهِ عُلَمَاءُ بِمَا يُحِبُّ وَيَكْرَهُ وَرِعِينَ عَنِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ تَارِكِينَ لِلتَّعَمُّقِ
وَالْإِغْلَاءِ مُبْغِضِينَ لِلْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ مُتَوَرِّعِينَ عَنِ الْاِغْتِيَابِ وَالظُّلْمِ مُخَالِفِينَ
لِأَهْوَائِهِمْ مُحَاسِبِينَ لِأَنْفُسِهِمْ مَالِكِينَ لِجَوَارِحِهِمْ وَرِعِينَ فِي مَطَاعِمِهِمْ
وَمَلَابِسِهِمْ وَجَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مُجَانِبِينَ لِلشُّبُهَاتِ تَارِكِينَ لِلشَّهَوَاتِ مُجْتَزِينَ بِالْبُلْغَةِ
مِنَ الْأَقْوَاتِ مُتَقَلِّلِينَ مِنَ الْمُبَاحِ مُشْفِقِينَ مِنَ الْحِسَابِ وَجِلِينَ مِنَ الْمَعَادِ عُلَمَاءُ
بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَأَقَاوِيلَ الْقِيَامَةِ رَاجِينَ مِنَ الْكَرِيمِ الْمَنَانِ جَزِيلِ الثَّوَابِ وَخَائِفِينَ
مِنَ الْإِلِيمِ الْعِقَابِ وَذَلِكَ أَوْرَثَهُمُ الْخَوْفَ الدَّائِمَ وَالْهَمَّ الْمُقِيمَ فَشُغِلُوا عَنْ
سُرُورِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا فَتَبَيَّنَ لِي فَضْلُهُمْ وَاتَّضَحَ لِي نَصْحُهُمْ وَاتَّقَنَتْ أَنَّهُمْ
الْعَامِلُونَ بِطَرِيقِ الْآخِرَةِ وَالْمَتَأَسُّونَ بِالْمُرْسَلِينَ وَالْمَصَابِيحَ لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِمْ
وَالْهَادُونَ لِمَنْ اسْتَرْشَدَ أ . ه . قُلْتُ فَبِمِثْلِ هَؤُلَاءِ إِنْ وَجَدُوا فَلْيَقْتَدِ
الْمُقْتَدُونَ .

ما هَذِهِ الدَّارُ إِلَّا لِلْفَنَاءِ خُلِقَتْ ما هَذِهِ الدَّارُ إِلَّا دَارُ مِضْمَارٍ
 يَا رَبِّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا طَالَمَا غَفَلَتْ ما هَذِهِ الدَّارُ إِلَّا عِبْرُ أَسْفَارٍ
 وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا كَأَنَّا غَنَمٌ فِي يَتِّ جَزَارٍ
 نَلْهُو وَنَلْعَبُ فِي دَارِ الْغُرُورِ وَمَا فِي الْقَلْبِ مِنْ وَاعِظٍ نَاهٍ بِإِنذَارٍ
 فَخُذْ لِنَفْسِكَ زَادًا لِلرَّحِيلِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ وَلَا تَرْحَلْ بِأَوْزَارِ
 أَتَيْنَ الْمُلُوكَ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ وَمَنْ شَادُوا الْمَصَانِعَ مِنْ بُرٍّ وَجَبَّارِ
 أَتَى عَلَى الْكُلِّ مَا أَوْدَاهُمْ وَسَطًا رَبُّ الْمُنُونِ بِهَا أَمْضَاءُ نَهَارِ

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِمًا
 لِلْحَسَنَاتِ ، وَوَقِّنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، واجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ ،
 وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ ، وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾
 وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ
 هِيَ الْمَأْوَى ﴾ .

فَعَلَى الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ وَيَتَفَقَّهَهَا وَلَا يَغْفُلَ عَنْهَا وَيَنْظُرَ فِي
 عُيُوبِهَا بِدِقَّةٍ وَيُصْلِحُهَا وَيُعَالِجُهَا بِالْأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ لَهَا مِمَّا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَشَهْوَةِ الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ لِأَنَّهُ أَصْلُ
 جَمِيعِ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ وَعَدَمُ الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ أَصْلُ الصِّفَاتِ الْحَمُودَةِ ،

وذلك لأن الرضا عن النفس يُوجب تغطية عُيوبها ومساوئها وقبائحها فيصير قبيحها حسنا عنده كما قيل :

وعَيْنُ الرضا عن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذِرُ الْمَسَاوِيَا

وعَدَمُ الرضا عن النَّفسِ على العكس من هذا لأن العبد إذ ذاك يَتَّهِمُ نَفْسَهُ وَيَتَطَلَّبُ عُيُوبَهَا وَلَا يَغْتَرُّ بِمَا يَظْهَرُ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْإِثْقَادِ كَمَا فِي الشَّطْرِ الْآخِرِ مِنْ بَيْتِ الشَّعْرِ :

كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذِرُ الْمَسَاوِيَا

آخر : وَلَسْتُ بِرَاءٍ عَيْبَ ذَالِدٍ كَلِيلٌ وَلَا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتُ رَاضِيَا

واعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ اسْتَحْسَنَ حَالَهَا وَسَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ اسْتَحْسَنَ حَالَ نَفْسِهِ وَسَكَنَ إِلَيْهَا اسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ الْعَقْلَةُ .

وبالْعَقْلَةِ يَنْصَرِفُ قَلْبُهُ عَنِ التَّفَقُّدِ وَالْمُرَاعَاةِ لِخَوَاطِرِهِ فَتُورُ حِينَئِذٍ دَوَاعِي الشَّهْوَةِ عَلَى الْعَبْدِ .

وليس عنده من المراقبة والملاحظة والتذكير ما يدفعها به ويقهرها . فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي . وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن إليها .

ومن كان بهذا الوصف كان متيقظاً منتبهاً للطوارق وبالتيقظ والتنبه يتمكن من تفقد خَوَاطِرِهِ وَمُرَاعَاتِهَا .

وعند ذلك تَحْمَدُ نِيرَانُ الشَّهْوَةِ فَلَا يَكُونُ لَهَا عَلَيْهِ غَلَبَةٌ وَلَا قُوَّةٌ فَيَضَعُ الْعَبْدُ حِينَئِذٍ بِصِفَةِ الْعِفَّةِ .

فإذا صار عَفِيفاً كَانَ مُجْتَنِباً لِكُلِّ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ مُحَافِظاً عَلَى جَمِيعِ مَا أَمَرَهُ بِهِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَصْلُ هَذَا عَدَمُ الرِّضَا عَنْ نَفْسِهِ .

فإذا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَلْزِمُ مِنْ ذَلِكَ عَدَمُ الرِّضَا عَنْهَا وَبِقَدْرِ تَحَقُّقِ الْعَبْدِ فِي مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ يَصْلَحُ لَهُ حَالُهُ وَيَعْلُو مَقَامُهُ .

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ الْمُخْلِصُونَ يَذُمُونَ نَفْسَهُمْ وَيَتَهَمُونَهَا وَلَا يَرْضُونَ عَنْهَا . قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ وَلَمْ يُخَالِفْهَا وَلَمْ يَجْرِهَا إِلَى مَكْرُوهِهَا فَهُوَ مَغْرُورٌ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا بِاسْتِحْسَانٍ شَيْءٌ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا .

وَكَيْفَ يَرْضَى عَنْهَا عَاقِلٌ وَهِيَ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَا تَسْكُنْ إِلَى نَفْسِكَ وَإِنْ دَامَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ .

وَقَالَ آخَرُ : مَا رَضِيتُ عَنْ نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَيُّهَا الْعَبْدُ حَاسِبْ نَفْسَكَ فِي خَلَوَاتِكَ وَتَفَكَّرْ فِي انْقِضَاءِ مَدَّتِكَ ، وَذَهَابِ أَوْقَاتِكَ ، وَاعْمَلْ فِي زَمَانِ فَرَاغِكَ ، لَوْ قَتِ شِدَّتِكَ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَةُ وَالْفَرَاغُ » .

وَتَدَبَّرْ ، وَاحْرَصْ عَلَى مَا تَمَلَّأُ بِهِ صَحِيفَتِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، وَانْظُرْ هَلْ نَفْسَكَ مَعَكَ أَوْ عَلَيْكَ فِي مُجَاهَدَتِكَ لَقَدْ سَعِدَ مَنْ حَاسَبَهَا ، وَفَازَ وَاللَّهُ مَنْ حَارَبَهَا وَقَامَ بِاسْتِيفَاءِ الْحَقُوقِ مِنْهَا ، وَطَالَبَهَا ، وَكُلَّمَا وَنَتْ وَتَكَاسَلَتْ عَائِبَهَا وَوَبَّخَهَا وَكُلَّمَا تَوَقَّفَتْ جَذَبَهَا وَكُلَّمَا مَالَتْ إِلَى آمَالِ هَوَاهَا رَدَّهَا وَغَلَبَهَا . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا

وَطَالِبُوهَا بِالصَّدَقِ فِي الْأَعْمَالِ قَبْلَ أَنْ تُطَالَبُوا وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا
فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا وَتَزِينُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ
لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ .

شِعْرًا :

تَجَهَّزِي بِجَهَازٍ تَبْلُغِينَ بِهِ	يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تُخْلَقِي عَبَثًا
وَسَابِقِي بَغْتَةً الْآجَالِ وَانْكِمِشِي	قَبْلَ الْإِلْزَامِ فَلَا مَلْجَأَ وَلَا غَوْثًا
وَلَا تَكْذِبِي لِمَنْ يَبْقَى وَتَفْتَقِرِي	إِنَّ الرَّدَى وَارِثُ الْبَاقِي وَمَا وَرَثًا
وَاحْشِي حَوَادِثَ صَرْفِ الدَّهْرِ فِي مَهَلٍ	وَاسْتَيْقِظِي لَا تُكُونِي كَالَّذِي بَحَثًا
عَنْ مُدِيَّةٍ كَانَ فِيهَا قَطْعُ مُدَّتِهِ	فَوَافَتْ الْحَرثَ مَحْرُوثًا كَمَا حُرِثًا
مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ	أَوْ الْغُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنِ وَالشَّعَثَا
وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيَّ تَبْقَى بِشَاشَتِهِ	فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدَثًا
فِي قَعْرِ مُوَحِّشَةٍ غِبْرَاءَ مُقْفَرَةٍ	يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَا فِي جَوْفِهَا اللَّبَثَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أُيقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ
وَنُبِّهْنَا لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا
وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

مَوَاعِظُ وَفَوَائِدُ وَنَصَائِحُ

في وصية الإمام علي بن أبي طالب لابنه الحسن أحيي قلبك بالموعظة وأمتك بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذله بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره بفجاء الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام وأعرض عليه أخبار الماضين وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين وسر في ديارهم وآثارهم وانظر فيما فعلوا وعمما انتقلوا وأين حلوا ونزلوا فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحيبة وحلوا في دار غربة وكأنتك عن قليل قد هيرت كأحدهم فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بذنباك إلى أن قال - يا بني ، أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه حتى يأتيك وقد أخذت جذرك وشددت له إزررك ولا يأتيك بغتة فيبهرك وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها وتكالبهم عليها فقد نبأك الله عنها ونعتت لك نفسها وتكشفت لك عن مساوئها فإن أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضا أي ينبح بعضها على بعض ويأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة وأخرى مهملة قد أضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة ليس لها راع يقيمها ولا مقيم يسيئها سلكت بهم الدنيا طريق العمى وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى فتأهوا في خيراتهم وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فليبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها ، واعلم أن من كان مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن كان واقفا ويقطع المسافة وإن كان مقيما .

وقال بعضُ السلف لَوْلَا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُعْصَى اللَّهُ ، تَمَنَيْتُ أَنْ لَا يَبْقَى فِي
هَذَا الْمَصْرِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَعَ فِيَّ وَاعْتَابَنِي .

فَأَيُّ شَيْءٍ أَهْنَأُ مِنْ حَسَنَةٍ يَجِدُهَا الرَّجُلُ فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَعْمَلْهَا
وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا .

وقال يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ لَسْتُ أَمُرُّكُمْ بِتَرْكِ الدُّنْيَا أَمُرُّكُمْ بِتَرْكِ الذُّنُوبِ ، تَرْكُ
الدُّنْيَا فَضِيلَةٌ وَتَرْكُ الذُّنُوبِ فَرِيضَةٌ وَأَنْتُمْ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرِيضَةِ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى
الْحَسَنَاتِ .

وقال لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَفْضَحُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ مِيرَاثُهُ ، وَيَوْمَ حَشْرِهِ مِيرَاثُهُ .
وقال إِبْرَاهِيمُ الْخَوَّاصُ دَوَاءُ الْقَلْبِ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ : قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ
بِالتَّدْبِيرِ ، وَخَلَاءِ الْبَطْنِ ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ ، وَالتَّضَرُّعِ عِنْدَ السَّحَرِ ، وَمُجَالَسَةِ
الصَّالِحِينَ .

وقال عَلِيُّ بْنُ قَدْرِ إِعْزَازُ الْمَرْءِ لِأَمْرِ اللَّهِ يُلْبِسُهُ اللَّهُ مِنْ عِزِّهِ ، وَيُقِيمُ لَهُ الْعِزَّ فِي
قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ .

وقال يَوْسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَى قَدَرِ خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ يَهَابُكَ الْخَلْقُ ، وَعَلَى قَدَرِ
حُبِّكَ لِلَّهِ يُحِبُّكَ الْخَلْقُ ، وَعَلَى قَدَرِ شُغْلِكَ بِأَمْرِ اللَّهِ يُشْغَلُ الْخَلْقُ بِأَمْرِكَ .
وقال آخَرُ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الصُّحْبَةِ فَقَالَ مَعَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ بِحُسْنِ الْأَدَبِ
وَدَوَامِ الْهَيَبَةِ وَالْمِرَاقِبَةِ .

وَالصُّحْبَةُ مَعَ الرَّسُولِ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَلُزُومِ ظَاهِرِ الْحُكْمِ .
وَالصُّحْبَةُ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالْإِحْتِرَامِ وَالْخِدْمَةِ .
وَالصُّحْبَةُ مَعَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ .
وَالصُّحْبَةُ مَعَ الْإِخْوَانِ بِدَوَامِ الْبِشْرِ لَهُمْ وَالْإِتِّسَاطِ مَعَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا .

وَالصَّحْبَةُ مَعَ الْجُهَّالِ بِالْذُّعَاءِ لَهُمْ وَالرَّحْمَةُ عَلَيْهِمْ وَرُؤْيَا نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ إِذْ عَافَاكَ مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لَقِيتُ رَجُلًا فِي بَرِيَّةٍ فَقُلْتُ مِنْ أَينَ ، فَقَالَ مِنْ قَوْمٍ ﴿ لَا تَلْهِيمَ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قُلْتُ وَإِلَى أَينَ قَالَ إِلَى قَوْمٍ ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ﴾ .

يَا هَذَا مَثَلُ لِنَفْسِكَ صَرَعَةَ الْمَوْتِ وَمَا قَدْ عَزَمْتَ أَنْ تَفْعَلَ حَيْثُذِ وَقْتَ الْأَسْرِ فافْعَلْهُ وَقْتَ الْإِطْلَاقِ .

وَمَثَلُ نَفْسِكَ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا جَهَنَّمَ وَأَنْتَ تَبْكِي أَبَدًا وَأَبْوَابُهَا مُغْلَقَةٌ وَسُقُوفُهَا مُطَبَّقَةٌ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ .

لَا رَفِيقَ تَأْسُ بِهِ وَلَا صَدِيقَ تَشْكُو إِلَيْهِ وَلَا نَوْمَ يُرِيحُ وَلَا نَفْسَ وَلَا طَعَامَ إِلَّا الزُّقُومَ وَلَا شَرَابَ إِلَّا الْحَمِيمَ .

قَالَ كَعْبُ إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَأْكُلُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمَنَاكِبِ مِنَ النَّدَامَةِ عَلَى تَفْرِيطِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ .

فَانْتَبِهْ يَا غَافِلٌ لَا غَتَامَ عُمرِكَ وَازْرَعْ فِي رَيْعِ حَيَاتِكَ قَبْلَ جُدُوبَةِ أَرْضِ شَخْصِكَ .

وَادْخِرْ مِنْ وَقْتِ قُدْرَتِكَ لِمَنْ عَجَزَكَ وَاعْتَبِرْ رَحْلَكَ قَبْلَ رَحِيلِكَ .

فَكَأَنَّكَ بِحَرْبِ الثَّلَفِ قَدْ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ وَانْهَزَمَتْ جُيُوشُ الْأَمَلِ .

وَإِذَا بِمَلِكِ الْمَوْتِ قَدْ بَارَزَ الرُّوحَ يَجْتَذِبُهَا بِخَطَاطِيفِ الشَّدَائِدِ مِنْ تَيَّارِ

الْعُرُوقِ .

وَقَدْ أَوْثَقَ كِتَافَ الدِّيْعِ وَحَارَ الْبَصَرَ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ .

وَلَا تُسْأَلُ عَنْ حَالِ الْمُخْتَضِرِ وَمَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْكُرُوبِ وَالسَّكَرَاتِ .

فَتَيْقِظْ يَا مُسْكِينُ وَتَهَيَّأْ لِتِلْكَ السَّاعَةِ وَحَصِّلْ زَاداً قَبْلَ الْعُوزِ .

سَتَنْدُمُ إِنْ رَحَلْتَ بِغَيْرِ زَادٍ وَتَشْقَى إِذْ يُنَادِيكَ الْمُنَادِي
فَمَا لَكَ لَيْسَ يَعْمَلُ فِيكَ وَعَظُّ وَلَا زَجْرُكَ أَمَّاكَ مِنْ جَمَادٍ
فَلَا تَأْمَنْ لِيذَى الدُّنْيَا صَاحِباً فَإِنَّ صِلَاحَهَا عَيْنُ الْفَسَادِ
وَلَا تَفْرَحْ بِمَالٍ تَقْتَنِيهِ فَإِنَّكَ فِيهِ مَعْكُوسُ الْمُرَادِ
وَتُبَّ عَمَّا جَنَيْتَ وَأَنْتَ حَيٌّ وَكُنْ مُتَيَقِضاً قَبْلَ الرُّقَادِ
أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادٍ

وقال أحدُ العلماء أنَّ من النَّاسِ ناسٌ لو مَاتَ نِصْفُ أَحَدِهِمْ مَا انْزَجَرَ
النِّصْفُ الْآخَرُ وَلَا أَحْسَبُنِي إِلَّا مِنْهُمْ .

وقال آخَرُ : فَائِدَةُ الصُّحْبَةِ إِنَّمَا هِيَ لِلزِّيَادَةِ فِي الْحَالِ وَعَدَمِ النُّقْصَانِ فِيهَا
فَإِيَّاكَ وَصُحْبَةً مَنْ لَا يُنْهَضُكَ حَالُهُ وَلَا يَذُكُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ .
فَصُحْبَةُ مَنْ يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ عَالِماً شَرِّ مَحْضٍ وَلَا فَائِدَةٍ فِيهَا لِأَنَّ
عِلْمَهُ فِي الْغَالِبِ غَيْرُ نَافِعٍ لَهُ .

وجلهُ الذي أَوْجَبَ رِضَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ صَارَ غَايَةَ الضَّرَرِ لِأَنَّهُ فَاتَهُ الْعِلْمُ
الَّذِي يُرِيهِ عَيْبَهُ حَتَّى لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ .
فعلى العاقل اللَّيِّيبِ مُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ دَائِماً وَالْمُحَاسَبَةُ هِيَ مَطَالَعَةُ الْقَلْبِ
وإِعْمَالُ اللِّسَانِ وَإِعْمَالُ الْجَوَارِحِ .

فاجْعَلْ ذُنُوبَكَ نَصَبَ عَيْنَيْكَ فَإِنْ غَفَلْتَ عَنْهَا اجْتَمَعَتْ بِسُرْعَةٍ وَكَثُرَتْ .
وتأمل وفكر فلو أَنَّكَ وَضَعْتَ فِي كُلِّ مَعْصِيَةٍ تُحْدِثُهَا حَجَراً فِي دَارِكَ
لَا امْتِلَأَ بَيْتُكَ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ .

فمثلاً عندك غيبةٌ أو عندك كذبٌ أو عندك رياءٌ أو عندك عقوقٌ أو قطيعةٌ
رحم .

أو ظلمٌ لمُسلمٍ أو لِنَفْسِكَ أو لأَهْلِكَ أو لأَوْلادِكَ أو لِجيرانِكَ أو تُعامل
معاملةً لا تُجوز .

أو عندك كُفَّارٌ تُحْدِثُهُ أو سَوَّاقِينٌ أو عندك مَلاهي كالْتلفاز والفيديو أو
عندك صُورٌ أو تشرب الدُّخان أو حلق لحية أو إسْبَالٌ أو تشبه بكفارٍ أو سفر
لبلادهم .

أو لك أولادٌ يَدْرُسُونَ عند الكفار برضا منك أو أَكَلْتَ وشَرِبْتَ ولُبِسْتَ
مِنْ شَرَكَاتٍ تَتَعَامَلُ بِالرِّبَا أو أَنَّ عَمَلَكَ لا تُؤَدِّيهِ كامِلاً مُكَمِّلاً وتأخذ ما عليه
كامِلاً .

وأنت تَقْرَأُ : ﴿ ويلٌ للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾
الآية .

أولاً تَتَنَسَّخُ مِنَ الزَّكَاةِ أو نحو ذلك ممَّا لا يَحْصُرُهُ الْعَدُّ .
فَتَقِيقُظُ وَحَاسِبُ نَفْسِكَ وَفَتَشْ عَلَيْهَا بِدِقَّةٍ وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ أَنْ
يَتَجَاوَزَ عَنْكَ .

فَيَا وَيْحَ أَهْلَ الظُّلْمِ وَاللُّهُوِّ وَالْغِنَا	إِذَا أَقْبَلْتَ يَوْمَ الْحِسَابِ جَهَنَّمَ
وَرَاعَهُمْ مِنْهَا تَغِيظُ مُخْنَقٍ	لِخَوْفِ عَذَابٍ فِي لُظَاهَا يُحَطَّمُ
إِذَا مَرَّآهَا الْمُجْرِمُونَ وَآيَقَنُوا	بِأَنَّ لَهُمْ فِيهَا شَرَابٌ وَمَطْعَمٌ
ضَرِيعٌ وَزَقُومٌ وَيَتْلُوهُ مَشْرَبٌ	حَمِيمٌ لَأَمْعَاءِ الشَّقِيقِينَ يَهْدِمُ
وَمَنْ قَطْرَانٍ كَسَوَةٌ قَدْ تَسَّرَ بُلُؤَا	وَسَيَقُؤُوا لِمَا فِيهِ الْعَذَابُ الْمُحِيطُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ
بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ
عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْبِتِينَ ، الْغُرِّ الْمُحَجِّجِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبِّلِينَ وَاللَّهِ
أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصْلٌ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سِمْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا
يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا .
وإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ إِنَّهُ أَتَانِي آتِيَانِ فَقَالَا لِي انْطَلِقْ فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا
فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ .
وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَنْثَلِعُ رَأْسُهُ
فَيَتَدَهَّدُهُ الْحَجَرُ هَهُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرُ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِيحَ رَأْسُهُ كَمَا
كَانَ ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى .
قُلْتُ لَهُمَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَا لِي انْطَلِقْ فَأَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ
مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَى
وَجْهِهِ فَيَشْرُ شِرُّ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ .
ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ فَمَا
يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِيحَ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ
مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى .
قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ قَالَا لِي انْطَلِقْ فَأَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ الثَّوْرِ فَإِذَا

فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ فَاطْلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ فَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ
مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا .

قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَا لِي انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ أَحْمَرَ مِثْلَ الدَّمِ وَإِذَا
فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ عِنْدَهُ حِجَارَةٌ كَثِيرَةٌ وَإِذَا
ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا سَبَحَ ثُمَّ يَأْتِي الَّذِي جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ
فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَّ لَهُ فَاهُ فَالْقَمَةُ
حَجَرًا .

قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَانِ قَالَا انْطَلِقْ فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرَاةِ كَأَكْرَهٍ مَا
أَنْتَ رَأَيْتَ وَإِذَا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يَحْشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَقُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا قَالَا لِي
انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَوَرٍ الرَّبِيعِ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي
الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوْلًا فِي السَّمَاءِ وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ
أَكْثَرِ الْوِلْدَانِ رَأَيْتُهُمْ قَطُ .

قَالَا لِي انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُ أَعْظَمَ مِنْهَا
وَلَا أَحْسَنَ قَالَا لِي إِرْقَ فِيهَا فَارْتَقَيْنَا فَأَتَيْنَاهَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنٍ ذَهَبٍ
وَلَبِنٍ فِضَّةٍ فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ .

فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرُ مَنْ خَلَقَهُمْ مِنْ أَحْسَنِ مَا
أَنْتَ رَأَيْتَ وَشَطْرُ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ .

قَالَا لَهُمْ إِذْهَبُوا فَفَعُّوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ ، فَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ
الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ السُّوءُ عَنْهُمْ
فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ .

قَالَا لِي هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ فَسَمَا بَصْرِي صُعْدًا فَإِذَا قَصْرٌ

مِثْلَ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ قَالَا لِي هَذَا مَنَزْلُكَ قُلْتُ لَهُمَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي
فَادْخُلْهُ قَالَا لِي أَمَّا الْآنَ فَلَا وَأَنْتَ دَاخِلُهُ .

قُلْتُ لَهُمَا فَإِنِّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ .
قَالَا أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أُتِيَتْ عَلَيْهِ يُلْتَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ
الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُفَعِّلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أُتِيَتْ عَلَيْهِ يُشَرُّ شَرُّ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ
إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُ مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكِذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ .

وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ الثَّنُورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي .
وَأَمَّا الرَّجُلُ أُتِيَتْ عَلَيْهِ يَسْبُحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا .
وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الْمِرَاةُ الَّذِي عِنْدَهُ النَّارُ يَحْشُشُهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ نَحَازِنُ
جَهَنَّمَ .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَأَمَّا الْوُلْدَانُ الَّذِينَ حَوَّلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ قَالَ « وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ » .

وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطَطَ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ .

وَأَخْرَجَ بَنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِيٍّ نَحْوَهُ : فَمَضَيْتُ وَإِذَا بَيْتٌ اسْوَدَّ عَلَيْهِ قَوْمٌ
مُخْبَلُونَ تَنْفَخُ النَّارُ فِي أَدْبَارِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَنَاخِرِهِمْ وَأَذَانِهِمْ
وَأَعْيُنِهِمْ .

إلى أن قال : وأما صاحبُ الكُوبِ الذي رَأَيْتَ فأولئك الذين كانوا يَمْشُونَ
 بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّمِيمَةِ فَيُفْسِدُونَ بَيْنَهُمْ فَهُمْ يُعَذَّبُونَ بِهَا حَتَّى يُصِيرُوا إِلَى النَّارِ .
 اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ
 صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَحَسَنَ عَاقِبَتِنَا وَأَكْرَمَ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

وَاللَّخَطِيبِ عَنْ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا رَأَيْتُ رَجُلًا تُقْرَضُ جُلُودُهُمْ بِمَقَارِضَ
 مِنْ نَارٍ قُلْتُ مَا شَأْنُ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَزَيَّنُونَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُمْ وَرَأَيْتُ
 نِجْبَاءً نَحِيطَ الرِّيحُ فِيهِ صِيَاحٌ قُلْتُ مَا هَذَا قَالَ هُنَّ نِسَاءٌ يَتَزَيَّنْنَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَهُنَّ .

وَاللَّبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ قَالَ : « ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا
 أَنَا بِأُخُوْنَةٍ عَلَيْهَا مُشَرَّحٌ لَيْسَ يَقْرُبُهُ أَحَدٌ وَإِذَا أَنَا بِأُخُوْنَةٍ عَلَيْهَا لَحْمٌ قَدْ أُرْوَحَ
 وَتَنَنَ ، عِنْدَهَا أَنَاسٌ يَأْكُلُونَ مِنْهَا قُلْتُ يَا جَبْرِيلُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِكَ
 يَتْرَكُونَ الْحَلَالَ وَيَأْتُونَ الْحَرَامَ .

ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ بُطُونُهُمْ أَمْثَالُ الْبُيُوتِ كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُمْ
 خَرَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ وَهُمْ عَلَى سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ فَتَجِيءُ السَّابِلَةُ
 فَتَطَأُهُمْ فَسَمِعْتُهُمْ يَضِجُونَ إِلَى اللَّهِ .

قُلْتُ يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَاءَ ثُمَّ

مَضِيَّتْ هُنَيْهَةٌ فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ مَشَافِرُهُمْ كَمَشَافِرِ الْإِبْلِ فَتُفْتَحُ أَفْوَاهُهُمْ وَيُلْقَمُونَ
مِنْ ذَلِكَ الْجَمْرِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ، ثُمَّ
مَضِيَّتْ هُنَيْهَةٌ فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ يُقْطَعُ مِنْ جُثُوبِهِمُ اللَّحْمُ فَيُلْقَمُونَ فَيَقَالُ كُلُّ كَمَا
كُنْتَ تَأْكُلُ مِنْ لَحْمِ أَخِيكَ .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ اللَّمَّازُونَ .

وله عن عدي عن أبي هريرة في حديث الإسراء ثم أتى على قوم على أقبالهم
رِقَاعٌ وَعَلَى أذْبَارِهِمْ رِقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ وَيَأْكُلُونَ الضَّرِيعَ
وَالزُّقُومَ وَرَضَفَ جَهَنَّمَ وَحِجَارَتَهَا .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ ثُمَّ أَتَى عَلَى
قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ يَنْضِجُ فِي قِدْرِ وَلَحْمٌ آخَرُ خَبِيثٌ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ
النَّبِيِّ وَيَدْعُونَ النَّضِيجَ الطَّيِّبَ .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ الرَّجُلُ يَقُومُ مِنْ عِنْدِ امْرَأَتِهِ حَلَالًا فَيَأْتِي الْمَرْأَةَ الْحَبِيثَةَ
فَيَبِيتُ مَعَهَا حَتَّى يُصْبِحَ وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا فَتَأْتِي الرَّجُلَ
الْحَبِيثَ فَتَبِيتُ عِنْدَهُ حَتَّى تُصْبِحَ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حُزْمَةَ عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا
فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ يَكُونُ عِنْدَهُ أَمَانَاتُ النَّاسِ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهَا وَهُوَ
يَحْمِلُ عَلَيْهَا .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا
قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ قَالَ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ
خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ .

ولاي داوود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا
عُرِجَ لِي مَرَرْتُ بِأَقْوَامٍ لَهُمْ أَطْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمِشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ
قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي
أَعْرَاضِهِمْ .

وأُخْرِجَ ابْنُ خَزِيمَةَ وَابْنُ حَبَانَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ فَقَالَ : « إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا وَهِيَ حَقٌّ
فَاعْقِلُوهَا أَتَانِي رَجُلٌ فَأَخَذَ بِيَدِي فَاسْتَتَبَعَنِي حَتَّى أَتَى جَبَلًا وَغَرًّا فَقَالَ لِي إِرْقَهُ
فَقُلْتُ لَا أَسْتَطِيعُ فَقَالَ إِنِّي سَأُسَهِّلُهُ لَكَ فَجَعَلْتُ كُلَّمَا رَفَعْتُ قَدَمِي وَضَعْتُهَا
عَلَى دَرَجَةٍ حَتَّى اسْتَوَيْتُ إِلَى سَوَاءِ الْجَبَلِ .

فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهُمْ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ .

ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُسَمَّرَةٍ أُعْيِنَهُمْ وَأَذَانَهُمْ قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ
قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرُونَ أُعْيِنَهُمْ وَيُسْمِعُونَ أَذَانَهُمْ مَا لَا يَسْمَعُونَ .

ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِنِسَاءٍ مُعَلَّقَاتٍ بِعَرَاقِبِهِنَّ مُصْبُوبَةً رُؤُوسُهُنَّ تَنْهَشُ
أَقْدَامَهُنَّ الْحَيَّاتُ قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الْآتِي يَمْنَعُنْ أَوْلَادَهُنَّ أَلْبَانُهُنَّ .

فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِبِهِمْ مُصْبُوبَةً رُؤُوسُهُمْ
يَلْحَسُونَ مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ وَحَمِيمٍ قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَصُومُونَ ثُمَّ
يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ .

ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ أَقْبَحَ شَيْءٍ مَنْظَرًا وَأَقْبَحَهُ لُبُوسًا وَأَنْتَهُ
رِيحًا كَانَ رِيحُهُمُ الْمَرَا حِيضُ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الزَّانُونَ وَالزَّانَاةُ .

ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِمَوْتَى أَشَدَّ شَيْءٍ إِنْتِفَاحًا وَأَقْبَحَهُ رِيحًا قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ
قَالَ هَؤُلَاءِ مَوْتَى الْكُفَّارِ .

ثم انطلقنا فإذا نحن برجالٍ تحت الشجر قلتُ من هؤلاء قال هؤلاء موتى المسلمين .

ثم انطلقنا فإذا نحن بـغلمانٍ وجوارٍ يلعبون بين نهرين قلتُ من هؤلاء قال هؤلاء ذرية المؤمنين .

ثم انطلقنا فإذا نحن برجالٍ أحسنَ شيءٍ وجوهاً وأحسنه لبوساً وأطيبه ريحاً كأن وجوههم القراطيس قلتُ ما هؤلاء قال هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون .

ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة يشربون خمرأ لهم ويتغنون قلتُ من هؤلاء قال زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة .

وللترمذي وصححه عن عمارة بن عمير قال لما قُتل عبيد الله بن زياد أتى برأسه ورؤس أصحابه فألقيت في الرحبة فجاءت حية عظيمة فتفرق الناس من فرعها فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد .

ثم خرجت من فيه ثم دخلت من فيه وخرجت من أنفه ففعلت به مراراً ثم ذهبَتْ ثم عادت ففعلت به مثل ذلك مراراً من بين الرؤوس ولا يدرُونَ من أين جاءت ولا أين ذهبَتْ .

وقال ابن القيم رحمه الله وحدثنا أبو عبد الله محمد بن الحراني أنه خرج من داره بآمد بعد العصر إلى بُستان فلما كان قبل غروب الشمس توسط القبور وإذا قبرٌ منها وهو جَمرة نارٍ مثل كُور الزجاج والميث في وسطه قال وسألت عن صاحب القبر فإذا هو مكاسٌ قد ثوفي في ذلك اليوم .

وللبیهقي في الشعب عن عبد الحميد بن محمود المعولي قال كنتُ جالساً

عند ابن عباس فأتاه قوم فقالوا إنا نخرجنا ومعنا صاحب لنا حتى أتينا ذا الصفاح فمات فتهيئناه ثم انطلقنا فحفرنا له قبراً ولحدنا له فلما فرغنا من لحده فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد وحفرنا له مكاناً آخر فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد فقال ابن عباس ذلك عمله الذي كان يعمل انطلقوا فادفنوه في بعضها فوالذي نفسي لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيها فانطلقنا فدفنناه في بعضها « نسأل الله أن يوفقنا للأعمال الصالحة وحسن الخاتمة إنه جواد كريم .

قصيدة فيها تضرع إلى رب العزة والجلال والكبرياء والعظمة :

يا ذا الجلال ويا ذا الجود والكرم	قد جئتك خائفاً من زلة القدم
ذبي عظيم وأرجو منك مغفرة	يا واسع العفو والغفران والكرم
دعوت نفسي إلى الخيرات فامتنت	وأعرضت عن طريق الخير والنعم
خسرت عمري وقد فرطت في زمني	في غير طاعة مولاي فيا ندي
حملت ثقلًا من الأوزار في صغري	يا خجلي في غدٍ من زلة القدم
راح الشباب وولى العمر في لعب	وما تحصلت من خير ولم أقم
زمان عزمي قد ضيعته كسلاً	والعمر مني انقضى في غفلة الحلم
قد انقضت عيشتي بالذل والأسفي	إن لم تجد خالقي بالعفو والكرم
ذي حالي وانكساري لا تخيبي	إذا وقعت ذليلاً خافي القدم
أثيت بالذل والتقصير والندم	أرجو الرضا منك بالغفران والكرم
سار المجذون في الخيرات واجتهدوا	يا فوزهم غنموا الجنات والنعم
شفاء قلبي ذكر الله خالقنا	يا فوز عبدي إلى الخيرات يستقيم
صفت لأهل التقى أوقاتهم سعدوا	نألو الهنا والمنى بالخير والكرم
ضيعت عمري ولا قدمت لي عملاً	أنجو به يوم هول الخوف والزحم

طُوبَى لِعَبِيدِ أَطَاعَ اللَّهَ خَالِقَهُ
ظَهَرِي ثَقِيلٌ بِذَنْبِي آهِ وَأَسْفِي
أَرْجُوكَ يَا ذَالْعَلَا كَرِّبْ تَفَرُّجَهُ
وَقَامَ جَنَحَ الدُّجَى بِالدَّمْعِ مُنْسَجِمِ
يَوْمَ اللِّقَاءِ إِذَا الْأَقْدَامُ فِي رَحِمِ
وَاشْفِ بِفَضْلِكَ لِي بَلَوَايَ مَعَ سَقَمِي

غَفَلْتُ عَنْ ذِكْرِ مَعْبُودِي وَطَاعَتِهِ
فَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَكُنْ يَا رَبِّ مُنْقِذَنَا
قَدْ أَثْقَلْتَنِي ذُنُوبٌ مَا لَهَا أَحَدٌ
كُنْ مُنْجِدِي يَا إِلَهِي وَاعْفُ عَنْ زَلَلِي
لَاخَ الْمَشِيبُ وَوَلَّى الْعُمُرُ فِي لَعِبِ
مَضَى زَمَانِي وَمَا قَدَّمْتُ مِنْ عَمَلٍ
نَامْتُ عُيُونِي وَأَهْلُ الْخَيْرِ قَدْ سَهَرُوا
قَامُوا إِلَى ذِكْرِ مَوْلَاهُمْ فَقَرَّبَهُمْ
وَلَيْسَ لِي غَيْرَ رَبِّ الْخَلْقِ مِنْ سَنَدٍ
لَا أَرْتَجِي أَحَدًا يَوْمَ الرِّحَامِ سِوَى
ثَمِ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
وَقَدْ مَشَيْتُ إِلَى الْعَصِيَّانِ فِي هِمِ
مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَاللُّثَمِ
سِوَاكَ يَا غَافِرَ الزَّلَّاتِ وَاللَّمَمِ
وَتُبَّ عَلَيَّ مِنَ الْآثَامِ وَاللَّمَمِ
وَصِرْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَوْزَارِ فِي نَدَمِ
يَا تَحْجَلْتَنِي مِنْ إِلَهِي بَارِي النَّسَمِ
أَجْفَانُهُمْ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ لَمْ تَنَمِ
وَنَحْصَهُم بِالرِّضَا وَالْفَضْلِ وَالكَرَمِ
أَرْجُوهُ يُؤَلِّينِي بِالْغُفْرَانِ وَالكَرَمِ
رَبِّ الْبَرِّيَّةِ مُوَلَّى الْفَضْلِ وَالكَرَمِ
مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمَخْصُوصِ بِالكَرَمِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبِسْنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَخُصَّنَا مِنْكَ
بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا
مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا
وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا ذَكِيًّا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ
دَاءٍ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل)

عن بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم أني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أخرجه أبو داود والترمذي .

وعن أنس رضى الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام يا حي يا قيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، أخرجه أصحاب السنن .

عن سعد بن أبي وقاص قال قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذي النون إذ دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين » .

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « مَنْ دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه (لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك

وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة
إلا بالله) رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً وهو
يقول (يا ذا الجلال والإكرام) فقال « قد استجيب لك فسل » رواه
الترمذي .

اللهم اجعلنا مُكْثَرِينَ لِذِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ
رَاجِينَ لَوَعْدِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا عَنْكَ .
رَاضِينَ فِي كُلِّ أَمْرِنَا إِلَيْكَ مُؤْمِلِينَ لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ
لِنِعَمِكَ .

يَا مَنْ يَجِبُ الْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ ، وَيَأْمُرُ بِهِمَا أَعْفُ عَنَّا ،
وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا .

فَإِنَّكَ بِالَّذِي أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عَفْوِكَ أَحَقُّ مِنَّا بِالَّذِي نَحْنُ لَهُ
أَهْلٌ مِنْ عُقُوبَتِكَ .

اللهم ثَبِّتْ رَجَاءَكَ فِي قُلُوبِنَا ، واقطعه عَمَّنْ سِوَاكَ ، حَتَّى
لَا نَرْجُوا غَيْرَكَ وَلَا نَسْتَعِينَ إِلَّا بِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا أَكْرَمَ
الْأَكْرَمِينَ .

اللهم هب لنا اليقين والعافية ، وإخلاص التوكل عليك ،
والاستغناء عن خلقك .

واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا .

اللهم أغننا بما وفقتنا له من العلم ، وزينا بالحلم وأكرمنا
بالتقوى وجملنا بالعافية .

اللهم افتح مَسَامِعَ قُلُوبِنَا لِذِكْرِكَ وَاِرْزُقْنَا طَاعَتَكَ وَطَاعَةَ
رَسُولِكَ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِكِتَابِكَ وَسُنَّةِ رَسُولِكَ .

اللهم إنا نسألك الهدى ، والتقى والعافية والغنى ، ونعوذ
بك من درك الشقاء ، ومن جهد البلاء ومن سوء القضاء ومن
مُهمات الأعداء .

اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ،
وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره ، أهل الحمد والثناء أنت ،
لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شيء قدير .

اللهم اغفر لنا جميع ما سلف منا من الذنوب ، واعصمنا
فما بقى من أعمارنا ، ووفقنا لعمل صالح ترضى به عنا .
اللهم يا سامع كل صوت ، ويا بارئ النفوس بعد الموت ،
يا من لا تشبه عليه الأصوات ، يا عظيم الشأن ، يا واضح
البرهان ، يا من هو كل يوم في شأن ، اغفر لنا ذنوبنا إنك أنت
الغفور الرحيم .

اللهم يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ،
يا ذا الجلال والإكرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .
اللهم يا حيُّ ويا قيومُ فرغنا لما خلقتنا له ، ولا تُشغلنا بما
تكفَّلت لنا به ، واجعلنا ممن يؤمن بقلائك ، ويرضى بقضائك ،
ويقنع بعطائك ، ويخشاك حقَّ خشيتك .

اللهم اجعل رزقنا رَغداً ، ولا تشمت بنا أحداً .
اللهم رَغِبْنَا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يفنى ، وهب لنا اليقين
الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعولُ في الدين إلا عليه .
اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام
وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيننا شر ما أهمنا وما لا نهتم
به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء يا مَنْ تَعَنُّوا له الوجوه وتخشع له الأصوات .

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير .

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ، وتلم بها شعنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظ بها غائبنا ، وتزكى بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم أرزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، وأحفظ علينا ديننا وصحة أبداننا .

اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيلَ عثرات العائرين ، نسألك أن تُلْحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير . نسألك أن تزيقنا برد عفوكم ، وحلاوة رحمتكم ، يا أرحم الراحمين وأرأف الرائيين وأكرم الأكرمين .

اللهم اغتقنا من رقِّ الذنوب ، وخلصنا من أسر النفوس ، وأذهب عنا وحشة الإساءة ، وطهرنا من دنس الذنوب ، وباعد بيننا وبين الخطايا وأجرنا من الشيطان الرجيم .

اللهم طيِّبْنَا لِلْقَائِكَ ، وَأَهْلُنَا لَوْلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ
مِنْ أَوْلِيَائِكَ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

اللهم أعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ
كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ
الْمُنْصُورِينَ ، وَارْزُقْنَا مُرَافَقَةَ الْبَازِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

اللهم يَا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، يَا مُنْشِئَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلَى
يَا مُؤَيِّ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انْقَطَعَ الرَّجَاءُ إِلَّا
مِنْكَ ، وَخَابَتِ الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعُفَ الْاعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُنْطِرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا مِنْ سَحَابِ بَرَكَ وَاحْسَانِكَ وَأَنْ تَوْفِقَنَا
لِمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْفٌ غَفُورٌ
رَحِيمٌ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَلًا ،
وَنَسْأَلُكَ بَرَكَ الْحَيَاةِ وَخَيْرِ الْحَيَاةِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَيَاةِ ، وَشَرِّ
الْوَفَاةِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَغْرَّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ
الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجِبْتَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ .
وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ
الْوُجُوهُ ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، يَا ذَا
الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ .

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا مَالِكَ الْمُلْكِ ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ ،
وَمِنْ عَذَابِكَ نَسْتَجِيرُ .

اللهم اجعلنا نَحْشَاكَ حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ ، واسْعِدْنَا بِتَقْوَاكَ ،
ولا تُشَقِّنَا بِمَعْصِيَتِكَ .

اللهم إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامَنَا ، وَتَرَى مَكَانَنَا ، وَتَعْلَمُ سِرَّاتَنَا ،
وَعَلَانِيَتَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ
إِلَيْكَ ، الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ الْوَجِلُونَ الْمَشْفُقُونَ الْمُعْتَرِفُونَ
بِذُنُوبِنَا .

نَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمَسْكِينِ ، وَنَبْتَهِلُ إِلَيْكَ إِبْتِهَالَ الْمُذْنِبِ
الذَّلِيلِ ، وَنَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ .

اللهم يَا مَنْ خَضَعَتْ لَهُ رِقَابُنَا ، وَفَاضَتْ لَهُ عِبَارَاتُنَا ،
وَذَلَّتْ لَهُ أَجْسَامُنَا ، وَرَغِمَتْ لَهُ أَنْفُسُنَا لَا تَجْعَلْنَا بِدُعَائِكَ أَشْقِيَاءَ ،
وَكُنْ بِنَا رَوْفًا يَا خَيْرَ الْمُسْؤُلِينَ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى
بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرَأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ
صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .
اللهم اجعلنا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْبِتِينَ ، الْغُرِّ الْمُحَجِّلِينَ الْوَفْدِ
الْمُتَقَبِّلِينَ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَّةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً ،
وَمِيتَةً سَوِيَّةً ، وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللهم اجعلنا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنْ
الْمُؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

« اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ

تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

يَا وَدُّودُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مُبْدِيُّ يَا مُعِيدُ يَا فَعَالُ مَا تُرِيدُ
نَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ
بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَسَيِّئَاتِنَا وَأَنْ تَبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ
رَوْفٌ رَحِيمٌ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، ، ،

عبدالعزیز بن محمد بن سلمان

مكتبة
مطابع
الكتاب
الاسلامي
الاسلامي
الاسلامي

Bibliotheca Alexandrina



0207733